شرح منازل السائرين



شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد٢، ص ٣٢٣

الجزء الثاني

منازل السّائرين إلى الحقّ المبين لأبي إسماعيل الهروي ۴٨١ هـ ١٠٨٩ م شرح عفيف الدّين سليمان بن علي التّلمساني ۶٩٠ هـ ١٢٩١ م الجزء الثاني اعدّه للنشر:

عبد الحفيظ منصور مركز الدراسات و الأبحاث الاقتصادية و الاجتماعية تونس

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد٢، ص ٣٢۴

[قسم الأودية]

و أمّا قسم الأودية، فهو عشرة أبواب، و هي:

الإحسان و العلم و الحكمة و البصيرة و الفراسة و التّعظيم و الإلهام و السّكينة و الطمأنينة و الهمّة

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد٢، ص ٣٢۵

[باب الإحسان]

باب الإحسان قال الله عزّ و جلّ: هَلْ جَزٰاءُ الْإِحْسٰانِ إِلاَّ الْإِحْسٰانُ.

ذكرنا في صدر هذا الكتاب أنّ الإحسان اسم جامع لجميع أبواب الحقائق، و هو أن تعبد الله كأنّك تراه.

هذا المقام سمّاه الرّسول صلّى الله عليه و سلم و جبرئيل عليه السّلام في حديث صحيح خرّجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلّى الله عليه و سلم يوما بارزا للنّاس، فأتاه رجل فقال: «يا رسول الله، ما الإيمان؟ فقال: أن تؤمن باللّه و ملائكته و كتابه و لقائه و رسله، و تؤمن بالبعث الأخير، قال: يا رسول الله، ما الإسلام؟ قال: أن تعبد الله و لا تشرك به شيئا، و تقيم الصلاة المكتوبة، و تؤدي الزّكاة المفروضة، و تصوم رمضان، قال: يا رسول الله، ما الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنّه يراك» الحديث بكماله، ففسّر صلّى الله عليه و سلم الإحسان بقوله: أن تعبد الله كأنّك تراه، و هو عين ما قاله الشيخ رحمه الله.

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد٢، ص ٣٢۶

[درجات الإحسان]

و هو على ثلاث درجات:

[الدّرجة الأولى الإحسان في القصد بتهذيبه علما، و إبرامه عزما، و تصفيته حالا.]

الدّرجة الأولى:

الإحسان في القصد بتهذيبه علما، و إبرامه عزما، و تصفيته حالا.

قوله: بتهذيبه علما، يعني أن تجعل القصد على مقتضى العلم، فلا تقصد ما لا يجوز في العلم، و التّهذيب هو الإصلاح، فكأنّه يصلح القصد بالعلم حتّى لا يكون مخالفا لعلم الشّريعة.

قوله: و إبرامه عزما، الإبرام هو إمضاء الحكم، فكأنّه يقول:/ أن يقترن بالقصد عزم يمضيه.

قوله: و تصفيته حالا، أي يجتهد القصد بحال صحيح صاف من الكدر.

[الدّرجة الثانية الإحسان في الأحوال]

الدّرجة الثانية:

الإحسان في الأحوال، و هو أن يراعيها غيرة، و يسترها تطرّفا، و يصحّحها تحقيقا.

الأحوال هي الواردات التي يحصل بعضها من ثمرات الأعمال الصّالحة الخالصة من الكدر، و بعضها من المواهب الإلهيّة الخارجة عن الاكتساب.

قوله: أن يراعيها غيرة، معناه أن يغار عليها، فيراعي حفظها بالحضور معها، و الانقياد إلى أحكامها خشية أن يحول، فإنّ الأحوال تحول.

قوله: و يسترها تطرّفا، أي يسترها عن النّاس، لئلا يعلموا بها، فإنّ ستر الأحوال عند أهل هذه الطّريق ظرافة، فإنّ من أطلع النّاس على

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ٢، ص ٣٢٧

حاله مع الله تعالى فقد دنّس طريقه، خصوصا إن كان يريد بذلك أن يعظّموه، فإنّه يسقط بذلك من عين الله عزّ و جلّ.

قوله: و يصحّحها تحقيقا، أي يجتهد في تحقيق أحواله و تخليصها، فإنّ الحال قد يمتزج بحقّ و باطل، و للحقّ علامات، فالوارد الذي يبتدئ العبد من جانبه الأيمن، هو حقّ في أكثر الأمر.

و جميع الأمثلة و الهواتف و الأشخاص التي تجيء من الجانب الأيمن قد حقّقت التجربة أنّها حقّ بما ينكشف من أمرها بعد انفصالها.

و جميع الواردات التي تبتدئ العبد من جانبه الأيسر هي في الغالب كاذبة، و أيضا فإنّ كل وارد يبقى بعد انفصاله الإنسان نشيطا مسرورا نشوانا، فإنّه وارد ملكيّ.

و كلّ وارد يبقى بعد انفصاله الإنسان كسلانا خبيث النّفس توجعه مفاصله و أعضاؤه و يجنح إلى النّوم، فهو وارد شيطانيّ، و التّجربة تحقّق ذلك.

و كلّ وارد انفصل و ترك في القلب معرفة باللّه تعالى، فهو وارد إلهيّ، و التّجربة تحقّق ذلك.

فإذا كان العبد من أرباب الأحوال، و رأى في أحواله ما يخرج عن الاستقامة، فليسع في تحقيقه مع أنّه لا ينفع السعي إلاّ في الأحوال التي تكون من نتائج الأعمال.

و أمّا الأحوال التي هي من عين/المنّة و الموهبة، فلا يفيد في تحصيلها السعي و لا الاجتهاد.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ٢، ص ٣٢٨

[الدّرجة الثالثة الإحسان في الوقت]

الدّرجة الثالثة:

الإحسان في الوقت، و هو أن لا تزايل المشاهدة أبدا، و لا تخلط بهمّتك أحدا، و تجعل هجرتك إلى الحقّ سرمدا.

قوله: و هو أن لا تزايل المشاهدة، أي لا تفارق المشاهدة.

و أقول: إن هذه الوصيّة لا تفيد إلاّ لأهل التّمكين الذين ارتفع عنهم الحجاب بالكليّة، و زال عنهم رعب المشاهدة و جلال الهيبة، و هم أهل المشاهدة الذاتيّة، فإنّ هؤلاء متى أرادوا يتشاغلوا بالصور و الأغيار أمكنهم ذلك، و إن كانت الصور لا تحجبهم، لكنّهم يشتغلون بتفاصيل عالم الخلق عن تفاصيل عالم الأمر، فالشيخ رضي الله عنه يوصي هؤلاء بترجيح عالم الأمر على عالم الخلق، قال تعالى: **أَلاٰ لَهُ الْخَلْقُ وَ الْأَمْرُ تَبٰارَكَ اللّٰهُ رَبُّ الْعٰالَمِينَ**.

و أمّا من دون هؤلاء في المنزلة، فإن كانوا أهل مشاهدة قويّة الحال، فهم لا يقدرون على مفارقة المشاهدة، فإنّ الوارد يحكم، و إن كانوا أهل مشاهدة ضعيفة الحال، فإنّهم لا يقدرون على مداومة الشّهود، لأنّ الحجاب يغشاهم كرها منهم، و لا يقدرون على رفع الحجاب بحيلة، إذ الشّهود إنّما هو موهبة، لا حيلة في تحصيله، فإذا الوصيّة إنّما هي لأهل التّمكين لا غير.

قوله: و لا تخلط بهمّتك أحدا، يعني، أن تعلّق همّتك بالحقّ، و لا تعلّقها بأحد غيره، فإنّ ذلك شرك في طريق الحقيقة.

قوله: و تجعل هجرتك إلى الحقّ سرمدا، يعني أنّ كلّ متوجّه إلى الله تعالى فإنّه من المهاجرين إليه، فإن خلط توجّهه إليه بغرض من

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ٢، ص ٣٢٩

الأغراض، انفصل عن أن يكون مهاجرا إلى الله تعالى، كما قال صلّى الله عليه و سلم:

«من كانت هجرته إلى الله و رسوله، فهجرته إلى الله و رسوله، و من كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو امرأة يتزوّجها، فهجرته إلى ما هاجر إليه»، و كان رجل قد هاجر من مكّة إلى المدينة يريد أن يتزوّج امرأة، فكان المسلمون يقولون له: مهاجر أمّ فلان، فالشيخ يوصي أن يكون التوجّه إلى الله تعالى خالصا من الأغراض، فإنّ التوجّه كالهجرة.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ٢، ص ٣٣١

[باب العلم]

باب العلم / قال الله تعالى: وَ عَلَّمْنٰاهُ مِنْ لَدُنّٰا عِلْماً.

العلم ما قام بدليل و رفع الجهل،

[درجات العلم]

و هو على ثلاث درجات.

قوله: العلم ما قام بدليل، يعني ما ثبت عندك بدليل، و جميع الأدلّة ترجع إلى العقل، لأنّ النقل إنّما يركن إليه أهل العقل، فبالعقل يثبت النّقل، و أمّا المعرفة فهو ما ورد بخرق عادة، إمّا في الحسّ، و إمّا في العقل.

قوله: و رفع الجهل ظاهر، لأنّ العلم بالشيء يرفع الجهل به، أي يزيل الجهل.

[الدّرجة الأولى علم جليّ به يقع العيان، أو استفاضة صحيحة، أو صحّة تجربة قديمة]

الدّرجة الأولى:

علم جليّ به يقع العيان، أو استفاضة صحيحة، أو صحّة تجربة قديمة.

قوله: علم جليّ، أي علم واضح.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ٢، ص ٣٣٢

قوله: به يقع العيان، أي يستفاد من العيان، و هو المعاينة بالبصر، و يدخل في هذا المعنى جميع الحواسّ، فإنّها أيضا يحصل بطريقها العلم.

قوله: أو استفاضة صحيحة، الاستفاضة هي الشّهرة في النّقل، تقول استفاض الخبر إذا اشتهر، و هو أيضا يفيد العلم، أو غلبة الظنّ.

قوله: أو صحّة تجربة قديمة، يعني أنّ التّجربة أيضا تفيد العلم، كالأدوية التي جرّبت الأطبّاء فعلها، فحصل عندهم علم بمنافعها و مضارّها، و كذلك ما أشبه ذلك، و بالجملة فالعلم هو ما حصل بدليل.

و أمّا المعرفة فهي المشاهدة لنفسها، لأنّها أمور وجدانيّة، لا يمكن صاحبها أن يشكّ فيها، و إن انتقل عنها، فما يكون انتقاله بسبب ظهور بطلانها، بل لأنّه ارتفع عن مقامها فصار له حكم آخر يطلب به، و تبقى تلك المعرفة في طورها صحيحة في مرتبتها، و هذا معروف عند أهل الترقّيات في المعارف.

[الدّرجة الثانية علم خفيّ يثبت في الأسرار الطّاهرة من الأبدان الزاكية بماء الرّياضة الخالصة]

الدّرجة الثانية:

علم خفيّ يثبت في الأسرار الطّاهرة من الأبدان الزاكية بماء الرّياضة الخالصة، و يظهر في الأنفاس الصّادقة لأهل الهمّة العالية في الأحايين

الخالية في الأسماع الصّاحية، و هو علم يظهر الغائب، و يغيب الشّاهد، و يشير إلى الجمع.

قوله: علم خفيّ، يعني هو خفيّ عن علماء الدّرجة الأولى، و هو عند أهله ظاهر جليّ، و هذا هو المسمّى المعرفة.

قوله: يثبت في الأسرار الطّاهرة، يعني من كدر طلب الدّنيا و الاشتغال بها، و العلائق و العوائق، فإنّ هذه أكدار على مرآة النّفس/ المطمئنّة،

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۳۳۳

فإذا جليت المرآة بإذهاب هذه الأكدار صفت، فثبت فيها العلم العرفانيّ، أي ظهر.

قوله: من الأبدان الزاكية، أي من الأبدان النقيّة من الحرام، و دنس البشريّة التي تغلب العقل و تثير الشّهوات، فإذا نقيت الأبدان من درن الشّهوات الجسمانيّة، و طهرت الأنفس من علائق الدّنيا، فهي أرض زاكية، تقبل زرع المعرفة.

قوله: بماء الرّياضة الخالصة، أي يثبت العلم في أرض الأسرار الطّاهرة بماء الرّياضة، شبّه القلوب بالأرض، و شبّه الرّياضة بالماء، و شبّه العلم العرفانيّ بالزّرع، و الرّياضة قد شرح معناها في بابها، و الخالصة التي خلصت من المفسدات.

قوله: و تظهر في الأنفاس الصّادقة ساعات الصّفاء، و أوقات النّفحات الإلهيّة و المواهب الربانيّة، و يجوز أن يريد بالأنفاس النيّات الخالصة و القلوب الحاضرة مع الله تعالى، فإنّها هي التي تلازم الباب، و تتلقّى مواهب الوهّاب جلّ جلاله.

قوله: لأهل الهمم العالية، يعني القوم الذين لا يطلبون إلاّ العبوديّة لله تعالى بصفة المحبّة لا رغبة في الجنّة، و لا رهبة من النّار، فهؤلاء هم أهل الهمم العالية، فإنّ هممهم تعلّقت بأعلى المقاصد، فدلّ ذلك على علوّها في نفسها.

قوله: في الأحايين الخالية، أي يثبت ذلك العلم في أسرارهم في الأحايين الخالية، و الأحايين جمع حين، و هو الوقت.

قوله: في الأسماع الصاحية، أراد بالأسماع القلوب، فإنّ من علامة تلقّي المعرفة أن يتّحد العقل و الحواسّ في وقت التنزّل، فيسمع بما به

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۳۳۴

يفهم، و يبصر بما به يسمع، و تتّحد قواه و مداركه، فلا تبقى منه ذرّة إلاّ تشارك في الإدراك، و ربّما أراد الشيخ بالأسماع ما يخصّ الخطاب خاصّة.

و أقول: إنّ الخطاب إمّا أن يكون من المخلوق، و إمّا أن يدّعي أنّ الحقّ خاطبه، فأمّا من المخلوق فتارة يكون بالحروف و الأصوات، و تارة بالأمثلة و الإشارات، و تارة بالإلهام و المرائي الصّادقة، و غير ذلك ممّا لا تحصر جزئيّاته، و إن كانت أصوله محصورة.

و أمّا خطاب الحقّ تعالى لغير الأنبياء عليهم السّلام، فإنّما هو تجلّ نورانيّ لا نطق فيه، و إن كان بعض المشايخ الضّعفاء يدّعون ورود الخطاب عليهم لفظا، و ذلك غلط، و سبب الغلط أنّ اللّطيفة المدركة من الإنسان/ إذا صفت و ورد عليها التجلّي، حرّفت العادة معناه إلى النّطق في إدراك الإنسان لضعفه، لا لأنّ التجلّي في نفسه هو نطق، و أكّد الغلط نطق الإدراك، بحيث صار ما يفهم بالنّفس الزّكيّة بمنزلة ما يسمع بالجارحة، حتّى التبس عليه الإدراك، فظنّ أنّه بالجارحة.

و أمّا الأنبياء عليهم السّلام، فهم معصومون من الغلط، و إنّما القول عمّن دونهم، و قد تقدّم لي نظم في هذا المعنى و هو:

إذا وافى خطابك عن تجلّ	بلا مثل و لا صوت و حرف
فذاك القصد لا ما جاء قطعا	على قانون عادات و عرف
جميع خطاب أهل الله معنى	بلا حرف و كشف دون كشف

معنى قولي: و كشف دون كشف، أي هو كشف، لكنّه ليس كما يكشف الغطاء عن الآنية، أو الستر عن الباب، بل هو أمر إذا ظهر يرى

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۳۳۵

العبد أنّ ذلك لم يكن مستترا بشيء، و إنّما الإدراك كان ضعيفا عن الوصول إليه، فقوّاه الحقّ تعالى، فأدرك ما كان ظاهرا.

و أمّا قوله: الصّاحية، فإنّ الجهل بمنزلة السّكر، و الإدراك بمنزلة الصّحو، فقوله: الأسماع الصّاحية، أي السّالمة ممّا يوجب لها الصّمم الذي هو عدم الإدراك. قال الله تعالى: **صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ**، و لم يرد الصّمم الحسيّ، و لا البكمة المعروفة، و لا العمى الذي هو كفّ البصر، بل عدم الإدراك للحقائق، قال الله تعالى: **فَإِنَّهٰا لاٰ تَعْمَى الْأَبْصٰارُ، وَ لٰكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**.

قوله: و هو علم يظهر الغائب، أي يكشف ما كان غائبا من المعارف.

قوله: و يغيب الشّاهد عن شهود غير الحقيقة بقدر ما حصل له من رتبة الشّهود.

قوله: و يشير إلى الجمع، يعني أنّ المعارف كلّها إشارات وجدانيّة، كلّها تشير إلى الجمع، و يعني بالجمع مقام الفردانيّة، و هو مقام كان الله و لا شيء معه، و هو الآن على ما عليه كان، و ذلك باضمحلال رسوم الشّاهد في المشهود.

[الدّرجة الثالثة علم لدنّي]

الدّرجة الثالثة:

علم لدنّي، إسناده وجوده، و إدراكه عيانه، و نعته حكمه، ليس بينه و بين الغيب حجاب.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۳۳۶

قوله: علم لدنّي،/ إشارة في قوله تعالى في حقّ الخضر عليه السّلام مع موسى صلّى الله عليه و فتاه، و هو قوله عزّ و جلّ: **فَوَجَدٰا عَبْداً مِنْ عِبٰادِنٰا آتَيْنٰاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنٰا وَ عَلَّمْنٰاهُ مِنْ لَدُنّٰا عِلْماً**، فالعلم الذي هو من شهود بغير كسب، يقال: إنّه من لدن ربّنا عزّ و جلّ، فسمّي بذلك العلم اللدنّي الذي هو من لدن ربّنا لا من كسبنا.

قوله: إسناده وجوده، يعني أنّ طريق حصول هذا العلم هو وجدانه، كما أنّ طريق العلم إسناده، و حاصل الكلام أنّ هذا العلم لا يوجد بالإسناد، بل بالوجود، فوجوده هو إسناده.

قوله: و إدراكه عيانه، أي، إنّ العلم المعقول يوجد بالفهم، و هذا يوجد بالعيان، مع أنّ تسميته عيانا مجاز، لأنّ الشّهود هو إدراك تجتمع فيه الحواسّ الظّاهرة جميعا، و يتّحد إدراكها كلّها بوصف واحد، و الذي يوجب اتّحادها هو نور من جناب المشهود يمحو قواها كلّها، و يقوم هو مقامها وحده، فيرى الحقّ بنوره، و يفنى كلّ من سواه بظهوره، و شاهد ذلك قوله صلّى الله عليه و سلم حكاية عن ربّه عزّ و جلّ، أنّه قال: ما تقرّب إليّ المتقرّبون بأفضل من أداء ما افترضت عليهم، و لا يزال العبد يتقرّب إليّ بالنّوافل حتّى أحبّه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، و بصره الذي يبصر به، الحديث بكماله، فقوله: إدراكه عيانه، إن أراد بالعيان الشّهود، فهو بالصّفة التي ذكرناها لا بالبصر.

قوله: و نعته حكمه، يعني أنّ نعوته هي ممّا لا يوصل إليها إلاّ به، فأمّا العبارة فهي قاصرة عنه.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۳۳۷

و كذلك قال الشيخ أبو حامد الغزاليّ رضي الله عنه في كتاب المنقذ من الضلال عند ما فضّل الصوفيّة على سائر الطّوائف فقال: و الطّائفة الذين هم على الحقّ دون سائر الخلق، و إنّهم يصلون إلى مقام لا يعبّر أحدهم عن معناه إلاّ وجد لفظه قد اشتمل على غلط لا يمكنه الاحتراز عنه، و نهاية أحدهم أن يقول:

قد كان ما كان ممّا لست أذكره فظنّ خيرا و لا تسأل عن الخبر

فإذا نعت هذا العلم هو حكم هذا العلم لنفسه، فشاهده منه، و عبارته هي حكمه لنفسه أنّه الحقّ الذي لا يقبل شكّا.

/ قوله: ليس بينه و بين الغيب حجاب، يريد بالغيب حضرة الجمع، أي، ليس بينه و بين حضرة الغيب حجاب، و هذا هو التجلّي الذاتيّ.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۳۳۹

[باب الحكمة]

باب الحكمة قال الله تعالى: يُؤْتِي الْحِكْمَةَ من يَشاءُ وَ من يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً.

الحكمة اسم لأحكام وضع الشيء في موضعه،

[درجات الحكمة]

و هو على ثلاث درجات: الشيخ رحمه الله جعل الحكمة هي وضع الشيء في موضعه، و لا شكّ أنّ وضع الشيء في موضعه هو من فعل صاحب الحكمة، و الحكمة و الله أعلم هي الاطّلاع على أسرار الأشياء، و معرفة ارتباط الأسباب بمسبّباتها، و معرفة ما ينبغي على ما ينبغي بالشّروط التي تنبغي، فمن عرف الحكمة و يسّر للعمل بها، فقد أوتي خيرا كثيرا.

[الدّرجة الأولى: أن يعطي كلّ شيء حقّه]

الدّرجة الأولى:

أن يعطي كلّ شيء حقّه، و لا يعدّيه حدّه، و لا يعجّله وقته.

قوله: يعطي كلّ شيء حقّه، أي يعرف لكلّ شيء حقّه، فإن كنت ممّن يقدر على إيصاله إليه، أوصلته إليه، و إلاّ فاعرف ذلك، و لا تعارضه

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد۲، ص ۳۴۰

في حقّه، و حقّه هو ما خلقه الله تعالى له، قال عزّ من قائل: **أَعْطىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ، ثُمَّ هَدىٰ**، أي هداه حتى استوفى حقّه، فمن حصل له من أبيه آدم ميراث الخلافة، فهو الذي يعطي الأشياء حقوقها، لأنّه خليفة الله تعالى، و ذلك هو كامل الوقت، و قطب الأقطاب. و من لم يستحقّ الميراث الكامل فما هو رجل، لأنّ الرجل هو الذي يأخذ ميراثه كاملا، و المرأة تأخذ النصف ممّا يأخذ الرّجل، فمن حصل له بعض ميراث الرجوليّة، فعلى قدر ما نقص عنه يكون حظّه من الأنوثة، حتّى أنّ من لم يحصل له من سرّ الخلافة سوى نصف الميراث، فهو أنثى لا شكّ في ذلك، فإن نقص عن النّصف فهو دون درجة الأنوثة بمقدار ما نقص عنها، لأنّ النّصف إنّما هو فرض الأنثى التي كملت في الأنوثة. فأمّا الأنثى إذا نقصت عن النّصف فهي كالرّجل الذي نقص عن الكلّ، فمرتبتها في النّقصان بقدر ما فاتها حتّى ينتهي النّقصان إلى درجة/ البهائم، أو ينتهي في الكمال إلى درجة نصف الإنسان، و لا يمكنها الزّيادة على ذلك، إلاّ أن تبلغ درجة الإنسان الكامل، لأنّها لا تنحصر أحكامه، لكن أمّهات الكمالات محصورة.

و أمّا الفروع فما تنحصر، فأبونا آدم عليه السّلام علّمه الله تعالى الحكمة الكاملة، و هو قوله: **وَ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمٰاءَ كُلَّهٰا**، و بذلك استحقّ الخلافة، قال تعالى: **إِنِّي جٰاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً**، و هو آدم أبو البشر صلوات الله عليه، فقوله: أن يعطي كلّ شيء حقّه، هذه هي علامة من أوتي الحكمة.

قوله: و لا يعدّيه حدّه، أي لا يعطيه إلاّ مقدار ما أعطاه الحقّ تعالى **جَزٰاءً وِفٰاقاً**، و لا يقدر على ذلك إلاّ الكمّل من الأقطاب، و هو معنى

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد۲، ص ۳۴۱

قوله صلّى الله عليه و سلم: نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن نخاطب النّاس على قدر عقولهم، ثمّ أمرنا صلّى الله عليه و سلم فقال: خاطبوا النّاس على قدر عقولهم، أ تحبّون أن يكذّب الله و رسوله. و إنّما أراد عليه السّلام أن نجتهد جهد طاقتنا، و إلاّ فهذه المرتبة لا يقدر عليها غيره، لأنّه أخبر و هو الصّادق صلّى الله عليه و سلم فقال: «علّمت علم الأولّين و الآخرين، و أوتيت جوامع الكلم»، فكانت جوامع الكلم للتّعبير عن علم الأوّلين و الآخرين، و مجموع هذا هو علم الأسماء التي علّمها الله تعالى أبانا آدم، لكنّها في محمّد صلّى الله عليه و سلم أكمل، و بذلك كان أفضل.

قوله: و لا يعجله وقته، هو ما ذكرناه من أنّه يفعل ما ينبغي في الوقت الذي ينبغي، فقولنا في الوقت الذي ينبغي، هو معنى قوله: و لا يعجله وقته.

[الدّرجة الثانية أن يشهد نظر الحقّ تعالى في وعيده، و يعرف عدله في حكمه]

الدّرجة الثانية:

أن يشهد نظر الحقّ تعالى في وعيده، و يعرف عدله في حكمه، و يلحظ برّه في منعه.

قوله: أن يشهد نظر الله تعالى في وعيده، أي يعرف الحكمة في الوعيد، و الوعيد هو التّهديد.

قوله: و يعرف عدله في حكمه، أي يرى أنّ أقسامه التي قدّمنا من حكمها أن تعلم، أنّ الله عادل في حكمه، و يشهد حقائق معنى قوله تعالى: **إِنَّ الله لا يَظْلِمُ مِثْقالَ ذَرَّةٍ، وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضاعِفْها وَ يُؤْتِ من لَدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً.**

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۳۴۲

قوله: و يلحظ برّه في منعه، أي يشهد أنّ الله تعالى ما منع أحدا أمرا إلاّ و له في منعه حكمة، فأمّا المؤمنون فكلّ قضاء يقضي الله تعالى به عليهم، فلهم فيه خيرة/ لذلك قال صلّى الله عليه و سلم: ما يقضي الله لعبده المؤمن من قضاء إلاّ كان خيرا له.

[الدّرجة الثالثة أن تبلغ في استدلالك البصيرة، و في إرشادك الحقيقة، و في إشارتك الغاية.]

الدّرجة الثالثة:

أن تبلغ في استدلالك البصيرة، و في إرشادك الحقيقة، و في إشارتك الغاية.

قوله: أن تبلغ في استدلالك البصيرة، أي تبلغ إلى حقائق العلم النقليّ و العقليّ اللذين يكونان بالاستدلال، و معنى البصيرة نهاية لا يدركها العقل، لا أنّ البصيرة هي العقل، و عبّر بالبصيرة عمّا يدرك بالبصيرة.

قوله: و في إرشادك الحقيقة، معناه إنّك إن كنت من أهل الإرشاد، مثل أن تكون من المشايخ المسلّكين، فشرط ذلك أن تكون ممّن يوصل في الإرشاد إلى الحقيقة، فهذا معنى قوله: و في إرشادك إلى الحقيقة، و يعني بالحقيقة حضرة الجمع.

قوله: و في إشارتك إلى الغاية، يعني أن يكون من أهل الوجود الذين إذا أشاروا لم يشيروا إلاّ إلى الغاية المطلوبة، و ليس وراء الله مرمى، و الإشارة هنا بمعنى الإخبار عن الله تعالى، و سمّاه إشارة لأنّ أفصح العبارات تقصر عن جناب الحقّ تعالى، فتصير كالإشارة، فالكامل من كانت إشارته إلى الغاية العالية، و لا يكون ذلك إلاّ لأهل الفردانيّة الذين فنيت رسومهم، ثمّ أبقاهم الحقّ تعالى به لا بأنفسهم، و أمّا من دونهم، فإشارتهم إنّما تكون إلى مراتب دون الغاية، و الذين أوتوا الحكمة الكبرى و تحقّقوا بالاسم الحكيم، فإشارتهم بالغة إلى الغاية.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۳۴۳

باب البصيرة

قال الله تعالى: **قُلْ هٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى الله عَلىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَ من اتَّبَعَنِي.**

البصيرة ما يخلّصك من الحيرة.

[درجات البصيرة]

و هي على ثلاث درجات.

قوله: البصيرة ما يخلّصك من الحيرة، هو إمّا الإيمان، و إمّا العيان، و ليس بينهما قسم ثالث.

[الدّرجة الأولى أن تعلم أنّ الخبر القائم بتمهيد الشّريعة يصدر عن عين لا تخاف عواقبها]

الدّرجة الأولى:

أن تعلم أنّ الخبر القائم بتمهيد الشّريعة يصدر عن عين لا تخاف عواقبها، فيرى من حقّه أن يؤدّيه يقينا، و يغضب له غيرة.

الخبر القائم بتمهيد الشّريعة، هو ما أخبر به رسول الله صلّى الله عليه و سلم، فإن مضمونه هو تمهيد الشّريعة، و الشّريعة هي الدّين.

/ قوله: يصدر عن عين لا تخاف عواقبها، أي يصدر عن حقيقة صادقة لا تخاف إذا اتّبعتها فيما بعد مكروها، بل تكون آمنا من عاقبة اتّباعها، لأنّها حقّ، و من يتّبع الحقّ فهو آمن العاقبة.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۳۴۴

قوله: فترى من حقّه أن تؤدّيه يقينا، يعني، فترى من حقّ ذلك الخبر عليك أن تؤدّي ما أمرك به يقينا، أي لا تكون في شكّ منه، فإنّ حقّه عليك يقين، فلا تبرئ ذمّتك منه إلاّ بيقين، أي بتصديق محقّق لا يصحبه شكّ.

قوله: و تغضب له غيرة، أي تغضب على من يخالف ذلك الخبر القائم بتمهيد الشّريعة غيرة عليه أن تضيع حقّه و تهمل جانبه، فإنّ الغيرة هي علامة المحبّة، فمن أحبّ الشّريعة المطهّرة لحقه الغيرة عليها ممّن لا ينصفها بوجه من الوجوه، فكيف من يجحدها. و قد قيل: المحبّ غيور.

[الدّرجة الثانية أن تشهد في هداية الحقّ و إضلاله إصابة العدل]

الدّرجة الثانية:

أن تشهد في هداية الحقّ و إضلاله إصابة العدل، و في تلوين أقسامه رعاية البرّ، و تعاين في جذبه حبل الوصال.

قوله: أن تشهد في هداية الحقّ و إضلاله إصابة العدل، يعني إنّك إذا رأيت شخصا قد هداه الله تعالى لطاعته، و شخصا قد أضلّه الله تعالى و طرده عن طاعته، فتشهد أنّه في حكمه بينهما عادل، و أنّه ما فعل في حقّ كلّ واحد منهما إلاّ ما هو لائق به، و أنّه ما حابى من هداه إلى الطّاعة، و لا جار على من صرفه عنها، و هذا أمر يقتضيه الكشف، أي لا يظهر إلاّ لأهل الكشف، و لذلك قال: أن تشهد، و لم يقل: أن تؤمن.

قوله: و في تلوين أقسامه رعاية البرّ، تلوين أقسامه هي اختلافها، و يعني بالقسمة قسمة الأرزاق، لأنّ أقسامها تكثر عند قوم، و تقلّ عند قوم، فالشيخ رضي الله عنه يقول: إنّ البصيرة إذا حصلت للعبد شهد أنّ الحقّ تعالى قد راعى أهل الغنى، فكثّر لهم الرّزق، كما راعى أهل الفقر، و قلّل عليهم الرّزق، لأنّه يعلم وجه المصلحة، فلا يبرّ أحدا إلاّ

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۳۴۵

بما يعلم أنّه خير له، فإذا تلونّت أقسام الرّزق، فكثرت عند قوم، و قلّت عند قوم، فقل: إنّ الحقّ أراد رعاية البرّ/ في حقّ هؤلاء، و قد ورد في الخبر النبويّ حكاية عن الله عزّ و جلّ: «إنّ من عبادي من لا يصلحه إلاّ الفقر، و لو أغنيته لأفسده ذلك، و إنّ من عبادي من لا يصلحه إلاّ الغنى، و لو أفقرته لأفسده ذلك»، فهذه رعاية الله تعالى برّ عباده، و البرّ هو الإحسان.

قوله: و يعاين في جذبه حبل الوصال، الجذب هو التّوفيق للطّاعة، و الوصال هنا هو التّقريب، و لا يعاين الوصال في الجذب إلاّ أهل الكشف، خصوصا أهل المحبّة.

و قد اتّفق لي في بعض اللّيالي سهر في الذّكر، فورد عليّ الأنس، فوجدت سرورا و فرحا، فقلت: يا ربّ و عزّتك إنّي سعيد، لا أشكّ في ذلك، و لهذا أيقظتني في ظلمة هذا اللّيل لمناجاتك، و أكثر خلقك نائمون، فهذا القدر و إن كان في ذلك الوقت ما كان إقراري بذلك عن عيان، لكنّي فيما بعد ذلك وجدت معناه، فوجدته جذب وصال، و أراد بالحبل استعارة الوصلة، و سبب القرب، قال الله تعالى: **وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً**، أي تمسّكوا بسبب القرب، و الحبل يسمّى سببا.

[الدّرجة الثالثة بصيرة تفجّر المعرفة و تثبت الإشارة]

الدّرجة الثالثة:

بصيرة تفجّر المعرفة، و تثبت الإشارة، و تنبت الفراسة.

البصيرة التي تفجّر المعرفة هي الكشف و الشّهود، و قد تقدّم قولي في أوّل هذا الباب أنّ البصيرة هي إمّا الإيمان، و إمّا العيان، فالدّرجة الأولى هي بصيرة بالإيمان، و الثانية و الثالثة هي بصيرة بالعيان.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۳۴۶

و معنى قوله: تفجّر المعرفة، أي تحصّل للقلب منها منازلات المعارف، يعني كشفها و شهودها، و شبّهها بالماء المتفجّر من العيون، لأنّ الماء المتفجّر من العيون يأتي من وراء مكان غائب عن الحسّ، فيظهر للحسّ، و كذلك المعرفة تأتي من الغيب، فتظهر للشّهادة، و كما أنّ ماء العيون يأتي بلا كلفة و لا اكتساب و لا بئر و لا دولاب، كذلك المعارف تأتي من الغيب موهبة من الوهّاب بغير اكتساب، فلذلك قال:

بصيرة تفجّر المعرفة، على حكم التّشبيه بتفجير الأنهار من العيون، و قد تقدّم القول أنّ المعرفة هي روح العلم،/ و هي فوق ما يدرك بالأفكار، و أكثر ما يظهر لأهل الأذكار، و لذلك قال الله تعالى: **أَلاٰ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**، و إنّما تطمئنّ القلوب بالمعرفة.

قوله: و تثبت الإشارة، يعني أنّ إشارات الصوفيّة ينكرها أهل العلم، و يثبتها أهل المعرفة، و لا يزال الإنسان ينكرها ما دام في طور العلم، إلاّ إن كان من أهل الإيمان بطريق القوم، فأمّا إذا وردت عليه المعرفة، فإنّه يثبت الإشارة، هذا معنى قوله: و تثبت الإشارة.

قوله: و تنبت الفراسة، يعني أنّ بصيرة المكاشفة تنبت في القلب الفراسة، شبّه القلب بالأرض، و الفراسة بالنّبات، و ذلك أنّ كلّ قلوب بني آدم في الأصل تصلح للفراسة كلّها، لأنّ الله تعالى جعل آدم خليفة، و الخلافة تقتضي أن يكون في الخليفة أسرار المستخلف الحقّ تبارك و تعالى، و بنو آدم لهم الميراث من أبيهم آدم، فقلوبهم مؤهّلة للعلم الإلهيّ، لكنّهم أعرضوا عن عبادة الله تعالى و أقبلوا على معاصيه، فأظلمت بواطنهم، و اكتسبوا الحرام، فأصبحت قلوبهم في أكنّة، أي في حجب، قال الله تعالى: **كَلاَّ بَلْ رٰانَ عَلىٰ قُلُوبِهِمْ ما كٰانُوا يَكْسِبُونَ**،

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۳۴۷

و الرّين هو الكدر و الظلمة المانعة للقلب من البصيرة، فإذا خلّص الله تعالى عبده من هذه الظّلمات، و طهّره من الكدورات، و جذبه بحبل الوصال، و فجّر في قلبه المعرفة حتّى أنبت الإشارة، فإنّ قلبه ينبت فيه الفراسة، و ذلك موجود في المؤمن، فكيف في المعاين، قال رسول الله صلّى الله عليه و سلم:

«اتّقوا فراسة المؤمن، فإنّه ينظر بنور الله».

و الذي ثبت عندي بالتّجربة، أنّ فراسة أهل المعرفة إنّما هي في تمييزهم من يصلح لحضرة الله عزّ و جلّ ممّن لا يصلح، و يعرفون أهل الاستعداد الذين اشتغلوا باللّه تعالى، و وصلوا إلى حضرة الجمع، فهذه فراسة أهل المعرفة.

و أمّا فراسة أهل الرّياضة بالجوع و الخلوة و تصفية البواطن من غير وصلة إلى جانب الحقّ تعالى، فلهم فراسة كشف الصور و الأخبار بالمغيّبات المختصّة بالخلق، فهم لا يخبرون إلاّ عن الخلق، لأنّهم محجوبون عن الحقّ، و أمّا أهل المعرفة/ فلاشتغالهم بما يرد عليهم ممّا هو من معارف الحقّ تعالى، فإخبارهم إنّما هو عن الله تعالى.

و لمّا كان العالم أكثرهم أهل انقطاع عن الله تعالى، و اشتغال بالدّنيا مالت قلوبهم إلى أهل كشف الصور و الأخبار عمّا غاب من أحوال المخلوقات، فعظّموهم و اعتقدوا أنّهم هم أهل الله تعالى، و خاصّته، و أعرضوا عن أهل كشف الحقيقة، و اتّهموهم فيما يخبرون به عن الله تعالى: لو كانوا هؤلاء أهل حقّ كما يزعمون لأخبرونا عن أحوالنا و أحوال المخلوقات، و إذا كانوا لا يقدرون على كشف أحوال المخلوقات، فكيف يقدرون على كشف أمور أعلى من هذه، فكذّبوهم بهذا القياس الفاسد، و عميت عليهم الأنباء الصّحيحة، و لم يعلموا أنّ الله تعالى قد

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۳۴۸

حمى هؤلاء عن ملاحظة أهل الخلق، و خصّهم به، و شغلهم عمّا سواه حماية لهم و غيرة عليهم، و لو كانوا ممّن يتعرّض إلى أحوال الخلق ما صلحوا للحقّ، و أهل الحقّ لا يصلحون للخلق، كما أنّ أهل الخلق لا يصلحون للحقّ.

و قد رأينا أهل الحقّ إذا التفتوا أدنى التفاتة إلى كشف الصّور، أدركوا منها ما لا يقدر غيرهم على إدراكه، فالفراسة التي تثبتها المعرفة هي الفراسة فيما يتعلّق بالحقّ و القرب منه، و أمّا فراسة أهل الصّفاء الخارجين المتعلّقين بالخلق، فلا يتعلّق بجناب الحقّ و لا بالقرب منه، و

يشترك المسلمون و النّصارى و اليهود و سائر الطّوائف فيها، لأنّها ليست شريعة عند الله تعالى، فيخصّ بها أهله. و سيأتي في باب ما تعلمه إن شاء الله تعالى.

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد۲، ص ۳۴۹

[باب الفراسة]

باب الفراسة قال الله تعالى: إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ.

التوسّم التفرّس، و هو استيناس حكم غيب من غير استدلال بشاهد، و لا اعتبار بتجربة،

[درجات الفراسة]

و هي على ثلاث درجات.

الفراسة معروفة، و هي أيضا تسمّى التوسّم.

قوله: استيناس حكم غيب، أي إدراك حكم غيب، لأنّ الاستيناس مثل الإيناس، قال الله تعالى حكاية عن موسى عليه السّلام: **إِنِّي آنَسْتُ نٰاراً**، أي أدركت ببصري ضوء نار، فالإيناس هو الاستيناس، فإن أدركت به حكم غيب كان فراسة، و إن/ أدركت به محسوسا كان من معاني الحواسّ في عالم الشّهادة.

قوله: من غير استدلال بشاهد، الاستدلال بالشّاهد على الغائب، كما يستدلّ بالبرق على المطر، و كما يستدلّ رؤساء البحر بالكدر الذي يرونه في جانب من جوانب الأفق على تحدّر ريح، و كما يستدلّ أهل مصر على زيادة النّيل و نقصه بوزن الماء في وقت مخصوص و من بئر مخصوص، فيحكمون بالاستدلال، و كما يستدلّ الذين يخطّون في

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد۲، ص ۳۵۰

الرّمل بتلك الأشكال على المغيّبات، فهذا كلّه استدلال بالشّاهد، أي الحاضر على الغائب، فهذا كلّه لا يسمّى فراسة، و كذلك التّجربة، و هي معروفة.

[الدّرجة الأولى فراسة طارئة نادرة تسقط على لسان وحشيّ في العمر مرّة لحاجة سمع مريد صادق إليها]

الدّرجة الأولى:

فراسة طارئة نادرة تسقط على لسان وحشيّ في العمر مرّة لحاجة سمع مريد صادق إليها، لا يوقف على مخرجها، و لا يؤبه لصاحبها، و هذا شيء لا يخلص من الكهانة، و ما ضاهاها، لأنّها لم تشر عن عين، و لم تصدر عن علم، و لم تسبق بوجود.

قوله: تسقط على لسان وحشيّ، أراد بالوحشيّ الذي لم يأنس بذكر الله عزّ و جلّ، و المقصود أنّه لسان رجل ليس من أهل الله أو امرأة، كذلك قوله: في العمر مرّة، يعني نادرا، كما يقال: رمية من غير رام.

قوله: بحاجة سمع مريد صادق، يعني أن يكون سبب وجودها احتياج بعض المريدين الصّادقين إلى سماعها.

قوله: لا يوقف على مخرجها، يعني لا يعلم الشّخص الذي صدرت منه ما سبب حصولها له، لأنّه ليس من أهل الكرامات.

قوله: و لا يؤبه لصاحبها، أي لا يحترم، لأنّه ليس من أهل الحرمة.

قوله: و هذا شيء لا يخلص من الكهانة، يعني بالكهانة حال الكهّان الذين كانوا في زمان الجاهليّة، كانوا يخبرون بالمغيّبات، حتّى أنّهم أخبروا بمبعث النبيّ صلّى الله عليه و سلم، مثل سطيح الذي كان في الحجاز،

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد۲، ص ۳۵۱

و أشباهه، و قد قال النبيّ صلّى الله عليه و سلم في حقّهم: من صدّق كاهنا فقد كذّب أبا القاسم،/ و ذلك لما ورد أيضا أنّ الشّياطين الذين

يسترقون السّمع يسمعون الكلمة حقّا، فيضيفون إليها مائة كذبة، ثمّ يوحون إلى أوليائهم، فهو قوله تعالى: وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ.

قوله: و ما ضاهاها، الذي يضاهي الكهانة، أي يشابهها هو النّجوم و الضرب بالحصا و الشّعير، و ما أشبه ذلك، إلاّ الخطّ بالرّمل، فإنّ النبيّ صلّى الله عليه و سلم أباحه بشرط أن يوافق في خطّه الخطّ الذي يخطّه بعض الأنبياء، و يقال إنّه كان من معجزاته، و ذلك قوله صلّى الله عليه و سلم: «إنّه كان نبيّ من الأنبياء يخطّ، فمن وافق خطّه فذاك».

قوله: لأنّها لم تشر عن عين، أي لم تكن عن عين الحقيقة.

قوله: و لم يقدر عن علم، يعني إنّها عن ظنّ لا عن علم، لأنّ صاحبها الذي صدرت منه يكون شاكّا هل يصحّ أم لا؟ فلو كانت عن علم لكانت لا شكّ فيها، و إن قويت فهي عن ظنّ، و لا يزيد عن ذلك.

قوله: و لم يسبق بوجود، يعني بوجود الشّهود، و أهل المشاهدة يسمّون أهل الوجود.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۳۵۲

[**الدّرجة الثانية فراسة تجنى من غرس الإيمان، و تطلع من صحّة الحال، و تلمع من نور الكشف.**]

الدّرجة الثانية:

فراسة تجنى من غرس الإيمان، و تطلع من صحّة الحال، و تلمع من نور الكشف.

قوله: تجنى من غرس الإيمان، يعني أن تكون تلك الفراسة ثمرة الإيمان، و شبّه الإيمان بالغرس، لأنّه يزداد و ينمو كما يزداد الغرس، و الإيمان في قلوب المؤمنين كالغرس في الأرض الطيّبة.

قوله: و تطلع من صحّة الحال، و قد عرفت أنّ الحال هو الوارد بالتجلّي الجزئيّ، فإذا صدق الحال صدقت الفراسة.

قوله: و يلمع من نور الكشف، يعني أنّ النّور الكشفيّ بحلوله في جملة ما يجلو الفراسة، و هذه هي التي تسمّى الكرامة.

[**الدّرجة الثالثة فراسة سريّة لم تجتلبها رويّة على لسان مصطنع تصريحا أو رمزا.**]

الدّرجة الثالثة:

فراسة سريّة لم تجتلبها رويّة على لسان مصطنع تصريحا أو رمزا.

قوله: فراسة سريّة، أي شريفة، لأنّ الرّجل السريّ هو الرّجل الشّريف.

قوله: لم تجتلبها رويّة/ أي لا تكون عن فكرة، لأنّ الرويّة هي الفكرة.

قوله: على لسان مصطنع، هو المصطفى، قال الله تعالى في حقّ موسى عليه السّلام: وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي، أي اصطفيتك.

قوله: تصريحا أو رمزا، يعني أنّ هذا المصطنع يخبر بهذه الفراسة عن أمور مغيبة، إمّا تصريحا بالنّطق، و إمّا أن يجعل ذلك كالرّمز، بحيث

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۳۵۳

لا يصرّح بها، و سبب كونه يرمزها رمزا، و لا يصرّح بها، هو كونه ينزّه نفسه عن نسبة الفراسة إليه، إذ هو أشرف مقاما منها، و ليس كما يزعم كثير من النّاس أنّهم إنّما يتركونها خوفا من العجب أن يلحق نفوسهم، أو خوفا من الرّياء، أن يطرأ عليهم، أو شبه ذلك، فإنّ هذا لا يليق بالمصطنعين، لأنّه في مقام البدايات، بل لا يتركون ذلك إلاّ تظرّفا و تنزيها لمقامهم عن ذكرها.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۳۵۵

[**باب التّعظيم**]

باب التّعظيم قال الله تعالى: مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً.

التّعظيم معرفة العظمة مع التذلّل لها.

[درجات التعظيم]

و هو على ثلاث درجات:

[الدّرجة الأولى تعظيم الأمر و النّهي]

الدّرجة الأولى:

تعظيم الأمر و النّهي، و هو أن لا يعارضا بترخّص جاف، و لا يعترضا بتشديد غال، و لا يحملا على علّة توهن الانقياد.

تعظيم الأمر و النّهي قد فسّره الشيخ، و هو قوله: أن لا يعارضا بترخّص جاف، يعني أنّ الأمر و النّهي يجب أن يقابلا بالسّمع و الطّاعة، فإنّ ورد في معناهما بعض ترخيص، فلا ينبغي لأهل التّعظيم أن يميل إليه كلّ الميل، و لا يوغل في ذلك التّرخيص كلّ الإيغال، فإنّ الإفراط في ذلك جفاء، و لذلك قال: هو أن لا يعارضا بترخّص جاف، فسمّي الإفراط جافيا.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۳۵۶

قوله: و لا يعارضا بتشديد غال إذا حملنا اللّفظ على ظاهره، و يجوز أن يريد بذلك أن لا يتعرّض أهل التّعظيم إلى التّشديد على أنفسهم، بحيث يفرطون في ذلك، فإنّ الله تعالى أعظم رحمة من أن يكلّفهم ما يكون عليهم فيه مشقّة مفرطة، و الغالي هو المفرط، و قد نهى الله تعالى عن الغلوّ في الدّين فقال: **لا/ تَغْلُوا في دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ**، فسمّى الإفراط غير الحقّ، و هذا المعنى الأخير أنسب لتطابق الكلام، فإنّه قابل الترخّص بالغلوّ، كما قابل الإفراط بالتّفريط.

قوله: و لا يحملا على علّة توهن الانقياد، أي لا يتأوّل في الأمر و النّهي تأويلا يفتّر النّفس عن الانقياد، مثل ما تأوّل في تحريم الخمر بعض المفسّرين على أنفسهم، حتّى أوهن الانقياد إلى النّهي عنها، فارتكب المحظور، و هو القائل:

أدرها فما التّحريم فيها لذاتها	و لكن لأسباب تضمّنها السّكر
إذا لم يكن سكر يضلّ عن الهدى	فسيّان ماء في الزّجاجة أم خمر

فهذا القائل لمّا تأوّل في النّهي هذا التأويل ضعف انقياده، و كذلك لو تأوّل متأوّل الأمر بالوضوء، فقال: إنّ المقصود منه الوضاءة، و هي النّظافة، فظنّ أنّ أعضاءه إذا كانت نظيفة أغناه ذلك عن الوضوء، فصلّى محدثا اعتمادا على هذا التأويل، لم تصحّ صلاته، و كان ضعف انقياده للأمر لأنّه حمله على علّة توهن الانقياد إليه، و لذلك نهى المشايخ عن طلب علل التّكاليف، و قد ورد في بعض التنزّلات: يا عبدي إذا أمرتك بأمر فامض لما أمرتك به، و لا تنتظر به علمه، إنّك إن تنتظر بأمري علم أمري تعص أمري.

قوله: توهن الانقياد، أي تضعفه، فإنّ الوهن هو الضعف.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۳۵۷

[الدّرجة الثانية تعظيم الحكم أن لا يبغى له عوجا، أو يدافع بعلم، أو يرضى بعوض.]

الدّرجة الثانية:

تعظيم الحكم أن لا يبغى له عوجا، أو يدافع بعلم، أو يرضى بعوض.

الحكم هو باطن العلم، و هو ثمرة العمل الصّالح، أي هو يكون بعد العمل الصّالح في غالب الأمر، إلاّ أنّه موهبة، و هو مبدأ تنزّلات المعارف، و قد مضى شرحه، فيعظمه أن يبغى له عوج، أي ينزّه عن احتمال العوج، و ذلك لأنّه قد ينافر ظاهر العلم، فيحتاج أن يرجح معناه على معنى العلم، فيترك على حاله، و لا يقبل من العلم، فإنّ العلم يثبت فيه عوجا، فلا يجوز لك إن عظّمته أن تبتغي له عوجا ترجيحا للعلم عليه.

و أنا أقول: إنّ الشيخ رضي الله عنه لم يرد بهذا الكلام أن يوصي صاحب مقام التّعظيم/ باطّراح ظاهر العلم، و لكن أشار إلى أنّ صاحب هذه

الدّرجة الثانية من هذا المقام يعرض له أن يرجّح الحكم على العلم، و لا يبغي للحكم عوجا، أي لا يجد فيه عوجا، و ذلك لأنّ الحكم هو حاكم لنفسه بالغلبة، قاهر للعلم لظهور آياته على صدقه، و صاحبه ينقاد إليه طوعا و كرها.

قوله: أو يدافع بعلم، أي لا يدافع معنى الحكم بعلم، فكأنّه قال:

أن يمضي معنى الحكم و يلغي ظاهر العلم، هذا هو مضمون كلامه.

و أنا أقول: إنّ الحكم لا ينافي العلم الصّحيح، لكن ربّما ذهب العلماء إلى أمر، و الصواب خلافه، و هم لا يشعرون و يعتقدون إنّهم ذهبوا إلى الصّواب، فالحكم ينافي مثل هذا، و يخصّص من العلم ما هو الحقّ و الصّواب، فكان العارف يطّلع من مقام الحكم على مقام العلم

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۳۵۸

فيصحّحه كما علمت من كلام الشيخ في أوّل الكتاب، و هو قوله:

أنّه لا يمكن تصحيح مقام إلاّ من المقام الذي هو فوقه، و لا شكّ أنّ مقام الحكم فوق مقام العلم، فإذا إنّما يصحّح العلم من الحكم، ألا ترى أنّ الشيخ جعل باب الحكمة فوق باب العلم، و ذلك لأنّ الحكمة شبيهة بالحكم.

قوله: أو يرضى بعوض، يعني يعظم الحكم أن يرضى صاحبه بعوض، و معنى هذا أنّ العامل بالعلم طالب للجنّة، و هارب من النّار، فمضمون عمله للعوض، فأمّا من وصل إلى مقام الحكم، فإنّه لا يعمل للعوض، بل عبوديّة لله تعالى، و قد أجرى الله تعالى العادة فيمن أوصله إلى مقام الحكم أنّه لا يكون ممّن يعبد الله للعوض، فأخبر الشيخ رضي الله عنه عن ذلك بقوله: أو يرضى بعوض، و جعل عدم الرّضا بالعوض هو من تعظيم الحكم.

و عندي أنّ تعظيم الحكم و عدم الرّضا بالعوض يكونان متقارنين متجاورين في شخص واحد، و ليس واحد منهما سببا للآخر.

[الدّرجة الثالثة تعظيم الحقّ]

الدّرجة الثالثة:

تعظيم الحقّ، و هو أن لا تجعل دونه سببا، و لا ترى عليه حقّا، و لا تنازع له اختيارا.

قوله: تعظيم الحقّ، يعني تعظيم الحقّ تعالى ليس هو تعظيم الحقّ الذي هو ضدّ الباطل.

قوله: و هو أن لا تجعل دونه سببا، أي لا تجعل للوصلة إليه سببا غيره،/ فدونه هو بمعنى غيره.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۳۵۹

قوله: و لا ترى عليه حقّا لأحد من عبيده، و تصحيح هذا عندي هو أن تشهد أنّ الحقوق التي يدّعيها العبيد هي حقوق الله تعالى لا حقوق العبيد، و ليس في ذلك إشكال، إلاّ كون أنّ حقوق العبيد التي هم محتاجون إليها كيف تصير حقوقا لله تعالى، و الجواب، أنّ العبيد و أوصافهم هم آثار حكمة الله تعالى و قدرته، فهي دالّة على كمال الله تعالى، و دلالات كمالات الله تعالى هي حقوق له يرجع الأمر فيها إلى الله تعالى. و فوق هذا الكلام كلام هو أعلى و أولى من هذا أضربنا عن ذكره.

قوله: و لا ينازع له اختيارا، أي لا يعارض الحقّ تعالى في اختياره، فأيّ شيء اختاره الحقّ تعالى يختاره العبد الذي اتّصف بتعظيمه تعالى.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۳۶۱

[باب الإلهام]

باب الإلهام قال الله تعالى: قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ.

الإلهام مقام المحدّثين، و هو فوق مقام الفراسة، لأنّ الفراسة ربّما وقعت نادرة و استعصت على صاحبها وقتا، أو استعصت عليه، و الإلهام لا يكون إلاّ في مقام عتيد،

[درجات الإلهام]

و هو على ثلاث درجات.

قوله تعالى: **قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ**، أي قبل أن ينطبق جفنك على جفنك.

قوله: الإلهام مقام المحدّثين، المحدّثون هم أهل المكاشفة و الكرامات، و قد قال صلّى الله عليه و سلم: «إنّ من أمّتي محدّثين، و إنّ عمر منهم».

قوله: و هو فوق الفراسة، يعني أنّ الإلهام فوق مقام الفراسة، و قد تقدّم شرح باب الفراسة.

قوله: لأنّ الفراسة ربّما وقعت نادرة، يعني في العمر مرّة كما ذكر في باب الفراسة، و النّادر لا حكم له.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۳۶۲

قوله: و استصعبت على صاحبها، أي لا تطاوعه، لأنّ النّاقة الصعبة هي التي لا تطاوع صاحبها، و النّاقة الذلول هي ضدّها.

قوله: و استعصت عليه، يعني عصته، فلم تطاوعه.

قوله: و الإلهام لا يكون إلاّ في مقام عتيد، العتيد هو القرب الحاضر.

[**الدّرجة الأولى إلهام نبيّ، نبأ يقع وحيا قاطعا مقرون بسماع، أو مطلقا.**]

الدّرجة الأولى:

إلهام نبيّ، نبأ يقع وحيا / قاطعا مقرون بسماع، أو مطلقا.

ذكر الشيخ رضي الله عنه أنّ الوحي من هذا الباب، و ذلك لأنّ الوحي في اللّغة هو الإشارة الخفيّة إلى الشيء، و المشهور أنّ الإلهام لا يسمّى وحيا إلاّ فيما نسب إلى ما لا يعقل كالنّحل، قال الله تعالى:

وَ أَوْحىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ، أي ألهمها.

و أمّا وحي الأنبياء عليهم السّلام، فلا يقال فيه إنّه إلهام بتجوّز، تنزيها للأنبياء عليهم السّلام من الاشتراك، و إن كان معنى ألهمته مساويا لمعنى أفهمته، و أفهمته لا يمتنع على الأنبياء، فبالقياس يجوز ألهمته. قال الله تعالى: **فَفَهَّمْنٰاهٰا سُلَيْمٰانَ**.

قوله: قاطعا، أي لا شكّ فيه.

قوله: مقرون بسماع، يعني أنّ إلهام الشيء قد يكون بسماع، و قد يكون مطلقا، يعني بغير سماع، بل تفهيما.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۳۶۳

[**الدّرجة الثانية: إلهام يقع عيانا**]

الدّرجة الثانية:

إلهام يقع عيانا، و علامة صحّته إنّه لا يخرق سترا، و لا يجاوز حدّا، و لا يخطئ أبدا.

قوله: عيانا، أي معاينة من غير تمثيل، فإنّ بعض المكاشفات تقع بالتّمثيل، كما مثّل للنبيّ صلّى الله عليه و سلم علم الفطرة باللّبن، لمّا عرض عليه جبريل عليه السّلام إناء فيه لبن و إناء فيه خمر، فاختار صلّى الله عليه اللّبن، فقال له جبريل عليه السّلام: اخترت الفطرة، فكان إناء اللّبن مثالا للفطرة.

و كما يقال: إنّ العسل في علم الرؤيا عبارة عن علم الأسرار، خصوصا إذا كان معه نحل، هذا إذا كان الرّائي من أهل ذلك، و إلاّ فهو رزق حلال.

قوله: علامة صحّته أن لا يخرق سترا، أي أنّ صاحبه لا يخرق سترا لأحد، يعني أنّ صاحبه إذا كوشف بحال لأحد، و هو لا يريد ظهورها، فإنّه

لا يهتكه و لا يخبر أحدا بحاله، لأنّ صاحب هذا الإلهام لا يكون إلاّ صاحب فتوّة، فإن يفضح أحدا بين النّاس فقد ذاك الإلهام.

قوله: لا يجاوز حدّا، يعني لا يتوصّل به إلى ارتكاب المعاصي و تجاوز حدود الله تعالى، فإن فعل ذلك لم يكن ما وصل إليه من قبيل الإلهام، بل من قبيل الكهانة.

قوله: و لا يخطئ أبدا، أي هذا الإلهام إذا كملت شروطه المذكورة، فإنّه مشروط بشرط آخر، و هو أن لا/ يخطئ أبدا، بخلاف الكهانة، فإنّ الخطأ فيها أكثر من الإصابة، فهذه علامات صحّة الإلهام في هذه الدّرجة.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۳۶۴

[الدّرجة الثالثة إلهام يجلو لعين التّحقيق صرفا]

الدّرجة الثالثة:

إلهام يجلو لعين التّحقيق صرفا، و ينطق عن عين الأزل محضا، و الإلهام غاية تمتنع الإشارة إليها.

التّحقيق له عين تخصّه، و هي عين يكون الحقّ بصرها، و هي ترى المعاني الغيبيّة و الشهاديّة لأنّها بالحقّ الذي هو عالم الغيب و الشّهادة، فهذا الإلهام المختصّ بهذه الدّرجة هو يجلو الأشياء لهذه العين التي هي التّحقيق.

قوله: صرفا، أي لا يمازج شيئا من إدراك العقول و لا الحواسّ، بل إدراكها إدراكا إلهيّا صرفا، و لذلك كان النّاطق عن هذا الكشف لا يفهم عنه أحد إلاّ من هو معه في الحقيقة، و لذلك أنّ صاحب هذا الذّوق يخالف العلماء كلّهم، أهل المنقول و أهل المعقول.

أمّا أهل المنقول فإنّ الرّسول صلّى الله عليه و سلم خاطب النّاس على قدر عقولهم و هي محجوبة، فخاطبهم على لسان الحجاب، فأهل هذا الخطاب لا يفهمون لغة ما وراء الحجاب من المعنى المحجوب.

و أمّا أهل المعقول فإنّ علومهم من الفكر، و الفكر من عالم النّفس، و إنّما يتعيّن التّحقيق بعد اضمحلال رسم النّفس، فلا جرم أنّ أهل المعقول لا يدركون ما يقوله صاحب إلهام التّحقيق بالذّوق.

قوله: و ينطق عن عين الأزل محضا، ينطق بالحقّ الأزل محضا ليس فيه شيء من أطوار الملائكة، و لا غيرهم من البشر، فلغة هذا النّطق هي لغة الأزل محضا، و بها يتكلّم الحقّ تعالى في قلوب عباده، ليتعرّف منها إلى المحجوبين، و هي القلوب التي لا تقف في شيء، و لا يقف فيها شيء، فإنّها بيوته التي يتكلّم فيها بحكمته، و يتعرّف منها لخليقته.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۳۶۵

و ألسنة هذه الأشخاص التي هذه القلوب قلوبهم، هي التي تتنزّل إلى النّاس على قدر عقولهم، فتمثّل لهم هذه المعاني تمثيلا للضرورة، لكونهم قد أوجب الله تعالى عليهم أن يعلّموا النّاس، و هم لا يصلون إلى فعل هذا الواجب إلاّ بالتّمثيل، فيقف/ أكثر علماء الرّسوم عند الأمثلة، و لا يفهمون الممثّل عنه، بل ينكرونه و بعضهم ينكر بقلبه المثال و الممثّل عنه، و هو الشّرك، و بعضهم يشكّ فيه، و هم الذين في قلوبهم زيغ، قال الله تعالى: **فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ ابْتِغاءَ الْفِتْنَةِ وَ ابْتِغاءَ تَأْوِيلِهِ، وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ**، لأنّه كلامه، و الرّاسخون في العلم، لأنّهم به لا بأنفسهم و للأولياء نصيب في هذا التبليغ، إذا تكلّم الحقّ تعالى في قلوبهم بحكمته، وجب عليهم أن يبلّغوا النّاس و يرشدونهم وراثة عن الأنبياء عليهم السّلام، فإنّ العلماء باللّه تعالى ورثة الأنبياء، قال تعالى لمحمّد صلّى الله عليه و سلم: **قُلْ هذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللهِ عَلىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَ مَنِ اتَّبَعَنِي**، يعني الذين اتّبعوه في شهود الحقيقة الكاملة، إذ هي الحقيقة المحمديّة، فهم يدعون إلى الله تعالى على بصيرة، و ليس علماء الرّسوم ممّن يدعو إلى الله على بصيرة، لأنّ علمهم من غلبة ظنّ، و من جملتهم في ذلك علماء المعقول، فإنّ مسائل علومهم لا تخلص من شكّ أبدا، و هم يصرّحون بذلك و يقولون: إنّ قبول الشّكوك لازمة لعلوم المعقول في كلّ مسألة.

و لمّا كان الحقّ تعالى أوجب على أهل القلوب التي تكلّم الحقّ تعالى فيها بحكمته أن يرشد العالم، وجب عليهم النّزول إلى قدر عقولهم، و كان النّزول إلى قدر عقولهم واجبا، لأنّه لا يؤدّى الواجب و هو التّبليغ

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۳۶۶

إلاّ به، و ما لا يؤدّى الواجب إلاّ به، فهو واجب، فالتنزّل إلى مقدار العقول واجب، و ليس ذلك التنزّل إلاّ بأن تمثّل له المعاني الإلهيّة في صور إمّا خياليّة و إمّا جسمانيّة، و من التّمثيل بالجسمانيّات ضلّ المشبّهة و المجسّمة، لأنّهم وقفوا على الأمثلة و لم تقدر عقولهم إلى الوصول إلى معانيها الغيبيّة، و أهل التّبليغ معذورون في التّمثيل لما ذكرناه من أنّه يجب عليهم التّمثيل ليهتدي أكثر النّاس، فإن ضلّ بعضهم بطريق العرض، فعذر الدّعاة إلى الله تعالى فيهم مقبول عند الله تعالى.

/ و هنا دقيقة يليق ذكرها بهذا الموضع، و هو أنّ أهل السّماع من المتمكّنين إذا استمعوا في صفات من محاسن الأجسام من القدّ و الخدّ ما يناسب ذلك، فإنّ لهم مجالا واسعا في معاني ما يسمعونه، إذ هم أهل تمكين و قدرة على تصريف ما سمعوه إلى المعاني الغيبيّة، فلا يجوز للعامّة أن يعترضوا عليهم في ذلك أنّهم سلّموا إليهم أنّهم من أهل التّحقيق، فإن لم يعلموا ذلك فهم معذورون في الإنكار عليهم، و على أهل التّحقيق ألاّ يظهروهم على مواطن السّماع ليصونوهم عن الإنكار، و يصونوا أوقاتهم عن الأكدار، لأنّ الضّرورة قد دعت إلى مجاورتهم في هذه الدّار، و لا بدّ من مداراتهم إلى أن تنقضي هذه الأعمار.

قوله: و الإلهام غاية تمتنع الإشارة إليها، أي هذا الإلهام هو غاية تمتنع الإشارة إليها، لأنّه فوق إشارتي الحسّ و العقل، و ذلك قوله تعالى: **عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاٰ يُظْهِرُ عَلىٰ غَيْبِهِ أَحَداً إِلاَّ مَنِ ارْتَضىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ رَصَداً**، فالذي بين يديه هو الحسّ و العقل، و الذي من خلفه هو الشّهود الغيبي، فكأنّه يقول: هذا الإدراك يعمّ طوري الغيب و الشّهادة، عموما واحدا يتّحد فيه الإدراك من

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۳۶۷

كلّ المدارك في المشاعر الظّاهرة و الباطنة، و ذلك هو غلبة الله تعالى على أمر عبده.

فأمّا كون هذا الإلهام غاية تمتنع الإشارة إليها، فهو ظاهر لأنّ العقول قد حارت في إدراك كيفيّة الحواسّ، فكيف ما سوى ذلك.

و هنا مجاز للقول رحب، تركت الكلام فيه خوف الإطالة، و إن كان النّاس محتاجين إلى سماعه، لأنّ فيه شرح حال كلّهم مبتلى بها، و هم محجوبون عن إدراك وجه الصّواب.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۳۶۹

[باب السّكينة]

باب السّكينة قال الله عزّ و جلّ: **هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ**.

[اسم السّكينة لثلاثة أشياء]

اسم السّكينة لثلاثة أشياء:

[أوّلها سكينة بني إسرائيل التي أعطوها في التابوت]

أوّلها:

سكينة بني إسرائيل التي أعطوها في التابوت، قال أهل التّفسير: هي ريح هفّافة ذكروا صفتها.

يعني بالأوّل السّكينة التي ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز و هو قوله تعالى: **وَ قٰالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التّٰابُوتُ فِيهِ** / **سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ**، و هؤلاء هم الملأ من بني إسرائيل الذين قال الله تعالى فيهم: **أَ لَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرٰائِيلَ**.

قوله: قال أهل التّفسير: هي ريح هفّافة، يعني أئمّة تفسير القرآن العظيم، فإنّهم ذكروا أنّ هذه السّكينة التي كانت في التّابوت عند الملإ من بني إسرائيل هي ريح هفّافة.

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد ۲، ص ۳۷۰

قوله: ذكروا صفتها، أي ذكر أهل التّفسير صفة هذه السّكينة، فقال بعضهم: كان وجهها وجه إنسان، و كان الملأ من بني إسرائيل إذا قابلوا عدوّهم جعلوا السّكينة و التّابوت أمامهم، و كشفوا عن وجهها، فإذا رآها أعداؤهم وقع في قلوبهم الرّعب فانهزموا، فكانت سبب نصرهم.

و قال بعضهم: كان وجهها على صورة وجه الهرّ، فهذا و مثله هو الصّفة التي أشار الشيخ إليها بقوله: ذكروا وصفها.

و فيها ثلاثة أشياء هي:

لأنبيائهم معجزة، و لملوكهم كرامة، و هي آية النصرة، تخلع قلوب الأعداء بصوتها رعبا إذا التقى الصفّان للقتال.

قوله: هي لأنبيائهم معجزة ظاهرة، لأنّ المعجزات تختصّ بالأنبياء عليهم السّلام، و كذلك قوله: و هي لملوكهم كرامة، لأنّ طالوت كان ملكهم و هو الذي زاده الله بسطة في العلم و الجسم، و كانت السّكينة في حقّه كرامة، لأنّه ليس من الأنبياء، بل من الأولياء، و الكرامة للأولياء شبيهة بالمعجزة للأنبياء، و كلاهما قد تكون فيه خرق العادة.

و الفرق بين المعجزة و الكرامة، أنّ النبيّ يجعلها دليلا و برهانا على صحّة دعواه في الرّسالة، و يأتي بها متى شاء عند الحاجة، و يتحدّى بها، و يجب عليه إظهارها، و أمّا الوليّ فقد يجري عليه ظهورها و هو لا يقصد ذلك، و قد لا يقدر على إظهارها في أيّ وقت شاء، و أيضا فلا يجب عليه إظهارها، بل أكثرهم يسترها مخافة الفتنة.

قوله: هي آية النصرة، أي علامة النصرة، لأنّ الآية هي العلامة.

قوله: تخلع قلوب العدوّ بصوتها، أي تخوّفهم.

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد ۲، ص ۳۷۱

[السّكينة الثانية هي التي تنطق على ألسن المحدّثين]

السّكينة الثانية:

هي التي تنطق على ألسن المحدّثين، ليست هي شيئا تملك، إنّما هي شيء من لطائف صنع الحقّ، تلقي على لسان المحدّث الحكمة، كما يلقي الملك الوحي على قلوب الأنبياء،/ و ينطق المحدّثون بنكت الحقائق مع ترويح الأسرار و كشف الشبه.

المحدّثون هم أهل المكاشفات و الأخبار بالمغيّبات، قال عليه السّلام: «إنّ من أمّتي محدّثين، و إنّ عمر منهم».

قوله: تنطق على ألسن المحدّثين، أي ليست ألسنتهم هي التي تنطق بها، بل السّكينة هي التي تنطق على ألسنتهم، و لذلك تسمع منهم الكلمات الغريبة التي يستغربونها هم من أنفسهم، كما يستغربها النّاس منهم، و ربّما نطق أحدهم بالكلمة لا يفهم معناها إلاّ بعد أن يسمع النّطق بها.

قوله: ليست شيئا يملك، أي ليست كالسّكينة التي كانت في التّابوت، فإنّ بني إسرائيل كانوا يملكون تلك و يحملونها في التّابوت و يسافرون بها من أرض إلى أرض، و أمّا هذه السّكينة شيء من لطائف صنع الحقّ، ليست لها ذات مشخّصة.

قوله: تلقي على لسان المحدّث الحكمة، أي تحرّك لسان المحدّث بالحكمة.

قوله: كما يلقي الملك الوحي على قلوب الأنبياء، يعني أنّ الأنبياء عليهم السّلام هم أيضا يتلقّون الوحي بقلوبهم من الملك، و هو جبرائيل عليه السّلام، و لا يجدون ذلك من أنفسهم، فشبّه قلب النبيّ في الوحي بلسان المحدّث فيما تنطق به السّكينة على لسانه من نكت الحقائق.

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد ۲، ص ۳۷۲

قوله: مع ترويح الأسرار، أي يحصل منها راحة للرّوح، و ذلك لأنّها تكشف الشّبه، فتسكن النّفس بها إلى الحقّ، و لأجل سكون النّفس بها سمّيت سكينة.

[السّكينة الثالثة هي التي أنزلت في قلب النبيّ صلى الله عليه و سلم و قلوب المؤمنين]

السّكينة الثالثة:

هي التي أنزلت في قلب النبيّ صلى الله عليه و سلم و قلوب المؤمنين، و هي شيء يجمع نورا و قوّة و روحا يسكن إليه الخائف، و يتسلّى به الحزين و الضجر، و يستكين له العصيّ و الجريّ و الأبيّ.

قوله: أنزلت في قلب النبيّ صلى الله عليه و سلم، إشارة إلى قوله تعالى: **فَأَنْزَلَ الله سَكِينَتَهُ عَلَيْه**.

قوله: و قلوب المؤمنين، إشارة إلى قوله تعالى: **هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدادُوا إِيماناً مَعَ إِيمانِهِمْ**.

قوله: و هو شيء يجمع نورا و قوّة، أمّا أنّه يجمع نورا، فلأنّ به ازدادوا إيمانا إلى إيمانهم، و زيادة الإيمان إنّما هي بما يتّضح للقلوب من دلائل الحقّ،/ و لا يكشف دلائل الحقّ إلاّ النور، فإذا هو شيء يجمع نورا.

و أمّا قوله: و قوّة، فلأنّ القوّة في الدّين من ثمرات اليقين، و اليقين إنّما يكون من زيادة الإيمان، و زيادة الإيمان هو بالسّكينة، فإذا السّكينة سبب القوّة في الدّين، و أصل هذه السّكينة قوّة في نور الفطرة.

قوله: و روحا يسكن إليه إلى قوله: العصيّ و الجريّ، و الأبيّ، الرّوح هو الرّاحة، فأمّا سكون العصيّ لهذه الرّاحة فمن جهة ما فيها من اللذّة،

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۳۷۳

فإنّه إنّما عصى الأمر لما في الأمر من التّكاليف التي لم يكن يلتذّ بها، فلمّا حصلت له فيها هذه الرّاحة التي هي السّكينة، و وجد فيها مطلوبه و هي اللذّة، سكن إليها، و هذه اللذّة روحانيّة، اعتاض بها عن اللذّات الجسمانيّة.

و عادة صاحب هذه المقام أن ينسى اللذّات البشريّة، و يغذّي الرّوح باللذّات الرّوحانيّة، و بذلك يحصل مقام الطمأنينة عقيب السّكينة.

و أمّا سكون الجريّ إلى هذه الرّاحة، فهو أنّه إذا ذاق لذّة روح السّكينة، امتنع من الجرأة على مخالفة الأمر خوفا أن تفوته اللّذة، و ما بعدها من اللذات، فهو يسكن إلى هذه الرّاحة، و لا يتجرأ على المخالفة.

و أمّا سكون الآبي إلى روح السّكينة، فإنّه كان يأبى امتثال أمر شيخه ميلا في المجاهدات استصعابا لها، فعند ما ذاق روح السّكينة سكن إليه، فامتثل أمر ربّه، و أمر شيخه، فالعصيّ هو العاصي، و الجريّ هو المتجرّي على المعاصي، و الآبي هو الذي يأبى ما يؤمر به، و معناه يرجع معنى العاصي.

و أمّا سكينة الوقار التي نزّلها نعتا لأربابها، فإنّها ضياء تلك السّكينة الثالثة التي ذكرناها،

[درجات السكينة]

و هي على ثلاث درجات:

[الدّرجة الأولى و هي سكينة الخشوع عند القيام للخدمة رعاية و تعظيما و حضورا.]

الدّرجة الأولى:

و هي سكينة الخشوع عند القيام للخدمة رعاية و تعظيما و حضورا.

سكينة الوقار هي خلاصة السّكينة المذكورة في الدّرجة الثالثة.

و قوله: نزّلها، يعني نزّلها الله تعالى.

قوله: نعتا لأربابها، أي بحسب مقامات أربابها في الدّرجات الثلاثة التي يأتي ذكر شرحها.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۳۷۴

قوله: فإنّها ضياء تلك السّكينة الثالثة، أي هي نتيجة تلك/السّكينة الثالثة، كما أنّ الضياء هو نتيجة الشّمس، و هو المقصود من الشّمس.

قوله: الدّرجة الأولى، سكينة الخشوع، يعني الوقار الذي يحصل لمن هو في مقام الإحسان، و أهل هذا المقام هم الذين يعبدون الله كأنّهم يرونه، و لذلك حصل لهم الخشوع، و هو التذلّل و التملّق بين يدي سيّدهم، و هو فوق مقام الإيمان. قال الله تعالى: **أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ**، يعني، أمّا آن لهم أن يصلوا مقام الإحسان بمقام الإيمان، و في مقام الإحسان يكون البكاء خوفا و طمعا، و أمّا بكاء المحبّين فهو فوق هذا المقام.

قوله: عند القيام بالخدمة، يعني عند التوجّه إلى الله تعالى في العبادة.

قوله: رعاية، أي رعاية لحقّه.

قوله: و تعظيما، أي اعترافا بعظمته.

قوله: و حضورا، أي هم في مقام الإحسان المذكور، و هو أن تعبد الله كأنّك تراه، فهذا هو الحضور المشار إليه هاهنا، و ثمّ حضور هو أعلى من هذا.

[**الدّرجة الثانية السّكينة عند المعاملة، محاسبة النّفس، و ملاطفة الخلق، و مراقبة الحقّ**.]

الدّرجة الثانية:

السّكينة عند المعاملة، محاسبة النّفس، و ملاطفة الخلق، و مراقبة الحقّ.

هذه هي الدّرجة الثانية التي تختصّ بالمتصوّفة، و هي إصلاح الأخلاق، و تزكية النّفس، و بذلك تنصلح معاملة الحقّ و معاملة الخلق،

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۳۷۵

ففي التوجّه لمحاسبة النّفس يقع الاطّلاع على عيوبها، و في ملاطفة الخلق يكون صرفها عن عيوبها المختصّة بالخلق، و في مراقبة الحقّ يكون صرفها عن بقيّة عيوبها، و هي المختصّة بالحقّ، و بمجموع هذه تزكو النّفس، و تتأهّل لسلوك الفقراء، لأنّ سلوك الفقر هو بعد قطع مقام التصوّف، هذا لمن سلك الطّريق على التّرتيب الصّحيح، و أمّا من اختصر الطّريق، أو كان من المجذوبين، فحكمه غير هذا.

[**الدّرجة الثانية: السّكينة عند المعاملة، محاسبة النّفس، و ملاطفة الخلق، و مراقبة الحقّ**.]

الدّرجة الثالثة:

السّكينة التي تثبت الرّضا بالقسم، و تمنع من الشّطح الفاحش، و يقف صاحبها على حدّ الرّتبة، و السّكينة لا تتنزّل إلاّ في قلب نبيّ أو وليّ.

هذه الدّرجة/الثالثة تكون لأهل المعرفة و أهل الصّحو بعد السّكر.

قوله: تثبت الرّضا، أي توجب لصاحبها أن يرضى بالمقسوم له.

قوله: و تمنع من الشّطح الفاحش، الشّطح الفاحش هو مثل ما نقل عن الحلاّج، و عن أبي يزيد البسطاميّ أيضا، فأمّا الجنيد رحمة الله عليه، فكانت له هذه السّكينة، فما شطح شطحا فاحشا، بل كان يستر الحقيقة بالعلم، و كان الشبليّ أقلّ منه في ذلك، و معنى الفاحش، الخارج عن الحدّ المألوف.

قوله: و يقف صاحبها على حدّ الرّتبة، أي يوجب لصاحبها الوقوف عند حدّه من رتبة العبوديّة.

قوله: السّكينة لا تتنزّل إلاّ على قلب نبيّ، أو وليّ، يعني، هذه السّكينة التي ذكر أنّها ضياء تلك السّكينة الثالثة، فهي تختصّ بالأنبياء و الأولياء.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۳۷۶

و أمّا الثلاث درجات التي قبل هذه الثلاث درجات الأخيرة، فتنزل على قلوب المؤمنين، و قد مضى شرحها، و إنّما اختصّت هذه السّكينة

بالأنبياء و الأولياء، لأنّ الواصل إليها بدايته مقام الإحسان، و هو أن تعبد الله كأنّك تراه، فهذا باب الولاية، أي يلي الحقّ، و يليه الحقّ، لأنّه كاد أن يرتفع الحجاب، و يقع الشّهود، بخلاف السّكينة الأولى.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۳۷۷

[باب الطمأنينة]

باب الطمأنينة قال الله عزّ و جلّ: يٰا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ.

الطمأنينة سكون يقوّيه أمن صحيح شبيه بالعيان.

يقول رضي الله عنه: إنّ الطمأنينة هي فوق السّكينة، لكنّها بوجه أكمل، فكأنّها تمام السّكينة و كمالها.

فقوله: سكون، يعني السّكينة المذكورة.

قوله: يقوّيه أمن صحيح، الأمن ضدّ الخوف، و معنى صحيح ثابت، و هو الأمن المختصّ بالطمأنينة، فهو الفضل الذي تفضل به الطمأنينة من السّكينة.

قوله: شبيه بالعيان، أي هو في مقام الإحسان كما تقدّم شرحه في مقام السّكينة، فإنّ العيان هو المشاهدة.

و بينه و بين السّكينة فرقان:

أحدهما: أنّ السّكينة صولة تورث خمود الهيبة أحيانا، / و الطمأنينة سكون أمن فيه استراحة أنس.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۳۷۸

و الثاني: أنّ السّكينة تكون نعتا، و تكون حينا بعد حين، و الطمأنينة لا تفارق صاحبها.

قوله: أحدهما أنّ السّكينة صولة تورث خمود الهيبة، يعني أنّ السّكينة تصول على الهيبة الحاصلة في قلب العبد فتخمدها في بعض الأحيان، فيسكن القلب من انزعاج الهيبة بعض السّكون و في بعض الأوقات، فهذا أمر لا تتجاوزه السّكينة.

قوله: و الطمأنينة سكون أمن فيه استراحة أنس، يعني أنّ ذلك السّكون الذي كان لأهل السّكينة في بعض الأحيان، يكون لأهل الطمأنينة دائما، و يصحبه الأمن و الاستراحة المحضة بالأنس، فإنّ الاستراحة قد تكون استراحة من الهيبة و الخوف، و قد يزيد على ذلك، فيكون مع الأمن و الأنس، و ذلك أقوى من استراحة الأمن دون الأنس.

قوله: و الثاني، أي الفرق الثاني بينه السّكينة و الطمأنينة.

قوله: إنّ السّكينة تكون نعتا، أي يتّصف بها صاحبها.

قوله: و تكون حينا بعد حين، أي تفارق صاحبها.

[درجات الطمأنينة]

و هي على ثلاث درجات:

[الدّرجة الأولى طمأنينة القلب بذكر الله]

الدّرجة الأولى:

طمأنينة القلب بذكر الله، و هي طمأنينة للخائف إلى الرّجاء، و الضّجر إلى الحكم، و المبتلى إلى المثوبة.

قوله: طمأنينة القلب بذكر الله، إشارة إلى قوله تعالى: **أَلاٰ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۳۷۹

قوله: و هي طمأنينة الخائف إلى الرّجاء، يعني أنّ الخائف إذا طال عليه الخوف، و أراد الله تعالى أن يريحه، أنزل عليه السّكينة و قوّاها،

فصارت طمأنينة، فاستروح معنى الرّجاء، فسكن إليه سكونا تامّا، اطمأنّ به، فذلك هو سكون الخائف إلى الرّجاء.

قوله: و الضّجر إلى الحكم، يعني أنّ من أدركه الضّجر من الصّبر على التّكاليف، فأراد الحقّ تعالى أن يريحه من الضّجر فأنزل عليه الطمأنينة بأن أظهر له حبّ السّكون إلى حكم الله تعالى فيه، فسكن إلى الحكم، أي حكم الله تعالى، أي أذعن إلى الحكميّة، فاستراح من الضّجر، فإنّ الضّجر لا يكون إلاّ مع طلب الخلاص ممّا يكره، فإذا/ استقرّ في المكروه لا يقال له: ضجر، فهذا هو سكون الضّجر إلى الحكم.

قوله: و المبتلى إلى المثوبة، أي يسكن بالطمأنينة بمشاهدة العوض، و ذلك أنّ المبتلى إنّما يصعب عليه ما هو فيه إذا رآه ضررا، فأمّا إذا رأى العوض وجد البلاء نعمة، كمن يشرب الدواء المرّ طلبا للمنفعة و الصحّة، فهذا هو سكون المبتلى إلى المثوبة، و المثوبة و الثّواب واحد، و هو المجازاة على العمل الصّالح.

[الدّرجة الثانية: طمأنينة الرّوح في القصد إلى الكشف]

الدّرجة الثانية:

طمأنينة الرّوح في القصد إلى الكشف، و في الشّوق إلى العدة، و في التفرقة إلى الجمع.

طمأنينة الرّوح في القصد إلى الكشف، هي أن تطمئنّ الرّوح في قصدها، و لا تلتفت إلى ورائها، لأنّها قد اطمأنّت بحصول الكشف لها، فهي ساكنة سكون طمأنينة في القصد إلى الكشف، و القصد إلى الكشف هو طلب الكشف، تقول: قصدت إلى كذا، أي طلبته.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد۲، ص ۳۸۰

قوله: و في الشّوق إلى العدة، أي و سكون الرّوح في شوقها، فإنّها تسكن إلى حصول العدة التي هي تشتاقها، فهذه طمأنينة ثانية عن الأولى، فإن كانت العدة هي شهود الحقّ، و كان الكشف المذكور هو الكشف الصوريّ، كانت هذه الطمأنينة الثانية أعلى من الأولى، فتكون من توافق طريقته، لأنّ عادته أن تقدّم الناقصة على التّامّة، و هو هنا فعل لذلك، و إن كانت العدة إنّما هي بالجنّة و النّعيم الجسمانيّ، و كان الكشف إنّما هو المراد منه كشف الحقيقة لا الكشف الصوريّ، فإنّ الطمأنينة الثانية دون الأولى، و يكون قد خالف عادته.

قوله: و في التّفرقة إلى الجمع، أي و الطمأنينة إلى الجمع و هو في حال التّفرقة، و ذلك بأن يكون قد استشرف على المشاهدة من وراء حجاب رقيق، فاطمأنّ بحصولها، و ذلك لا يكون إلاّ لأهل التجليّات الثلاث: تجليّات الأفعال، و تجليّات الأسماء، و تجليّات الصّفات، و قد بقي لهم تجلّي الذّات، و هي المراد بالجمع، فإنّ شهودها يمحو تفرقة الأفعال و الصّفات و الأسماء، و ذلك هو آخر السّفر الأوّل/ من أربعة أسفار، يسمّى هذا سفرا إلى الله تعالى.

[الدّرجة الثالثة طمأنينة شهود الحضرة إلى اللّطف]

الدّرجة الثالثة:

طمأنينة شهود الحضرة إلى اللّطف، و طمأنينة الجمع إلى البقاء، و طمأنينة المقام إلى نور الأزل.

قوله: طمأنينة شهود الحضرة إلى اللّطف، يعني الطمأنينة إلى اللّطف الحاصلة من شهود الحضرة، يعني حضرة الجمع، و هو الشّهود الذاتيّ، و ذلك أنّ من شهد حضرة الجمع رأى لطفا لا يمازجه بالذّات خوف من شيء أصلا، فأمّا بالعرض الناشيء عن شهود التّفصيل، فقد يخاف من الجزئيّات لا من الأصل، و لذلك كان أهل المقام يفترون عن الأعمال

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد۲، ص ۳۸۱

الشاقّة، و يقتصرون على الفرائض و السّنن الرّواتب، لما حصل لهم من هذه الطمأنينة.

قوله: و طمأنينة الجمع إلى البقاء، يعني أنّ من شهد حضرة الجمع وجدها تمحو الأغيار، و تعفي الآثار، و ترفع الثنويّة أصلا و رأسا، فيذهب عن رؤية الخلق و يرى الحقّ بذاته، منفردا في كثرة أفعاله و أسمائه و صفاته، و يرى بقاءه في سرمدانيّته، و حضرة الجمع مشتملة عليه،

فيشهد البقاء ببقاء ربّه عزّ و جلّ، فيطمئنّ إلى ذلك البقاء، فهذه هي طمأنينة الجمع إلى البقاء.

قوله: و طمأنينة المقام إلى نور الأزل، فهو شهود العبد بعين القدم نور الأزل، و معنى قولي: بعين القدم، أي يرى بعين ربّه عزّ و جلّ لا بعينه، يقتضي قوله عليه السّلام حكاية عن ربّه عزّ و جلّ: «كنت سمعه الذي يسمع به، و بصره الذي يبصر به».

و معنى شهوده نور الأزل، هو أن لا يرى لصفات ربّه بداية، فكيف لذاته، و هذا الشّهود هو شهود أهل البقاء بعد الفناء، و هو من أوائل السّفر الثاني، و يسمّى هذا السّفر الثاني في الله، أي في مراتب ظهورات أفعاله و صفاته و أسمائه، و التنقّل فيه يسمّى التّلوين في التّمكين، و النّاس يعظّمون صاحب ذاك السّفر أكثر ممّا يعظّمون صاحب هذا السّفر الثاني، لبعد الثاني عن إدراكهم.

و بعد كمال هذا السّفر و انتهائه القطبيّة الوجوديّة التي هي/ مركز المراكز، و صاحبها قطب الأقطاب، يكون بداية السّفر الثالث، و هو

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد۲، ص ۳۸۲

سفر المرسلين، و يسمّى السّفر باللّه إلى خلقه، و فيه يكون التنزّل إلى مقادير العقول، و ليس بعده إلاّ السّفر الرّابع، و أكثر ما يكون عند الموت، و إليه أشار رسول الله صلى الله عليه و سلم بقوله في حالة السّياق: اخترت الرّفيق الأعلى، و إنّما اختار الرّفيق الأعلى عند سفره في السّفر الرّابع، و يسمّى هذا السّفر سفرا بالموجود إلى الوجود، و لي في هذا السّفر نظم و هو.

إلى ذلك المغنى مآلي و مرجعي	و شركي الذي أدّى إلى وحدتي معي
تصرّفت في ملكي بملكي فلم أدع	مكانة إمكان و لا وضع موضع
و أسرعت إسراع المشوق إلى الحمى	بسائر أنواع الوجود المنوّع
و قامت بذاتي معنويّاتي التي	بقائي بها في حال مرأى و مسمع
فإن ترني عينا بصيرة ناظر	إليّ بعيني فهي عن منطقي تعي
و إن تقف الأفكار دوني فعذرها	تأخّرها في السّير عن قصد مهيعي
و ما كلّ عين بالجمال قريرة	و ما كلّ من نودي يجيب إذا دعي
فقل للعيون الرّمد: للشّمس أعين	سواك تراها في مغيب و مطلع
و سامح نفوسا ما جلتها رياضة	و لا قوبلت مرآتها بتطلّع
و أعرض عن الحسّاد في نيل جنّة	جناها الذي لم (تجنه يد أقطع)
و من لم يجب داعي هواك فخلّه	يجب في العمى من جهله كلّ مدّعي

فهذه الأسفار الأربعة هي للرّسل صلوات الله عليهم بطريق الأصل، و للأتباع بالوراثة و التبعيّة. فنعود و نقول: فطمأنينة المقام إلى نور الأزل كما ذكرنا هي بعد شهود حضرة الجمع.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد۲، ص ۳۸۳

[باب الهمّة]

باب الهمّة قال الله تعالى: ما زاغَ الْبَصَرُ وَ ما طَغى‏.

الهمّة ما يملك الانبعاث للمقصود صرفا لا يتمالك صاحبها و لا يلتفت عنها.

قوله: ما يملك الانبعاث إلى المقصود صرفا، يعني همّة العبد إذا تعلّقت بطلب الحقّ/ تعالى طلبا صرفا، أي خالصا من طلب الثّواب، و خوف العقاب، فتلك الحالة هي التي تسمّى همّة، و سيأتي حالها.

قوله: لا يتمالك صاحبها، أي لا يقدر صاحب هذه الهمّة على المهلة، و لا يتمالك الصّبر لغلبة سلطان الهمّة عليه، و شدّة إلزامها إيّاه بطلب

المقصود.

قوله: و لا يلتفت عنها، أي لا يتمكّن من الالتفات إلى ما سوى أحكامها لانقهاره لها، و صاحب هذه سريعا ما يصير من المحبّين، و يوشك أن يكمل و يرقى في الأكمليّات إلى غير نهاية.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۳۸۴

[درجات الهمة]

و هي على ثلاث درجات:

[الدّرجة الأولى همّة تصون القلب عن وحشة الرّغبة في الفاني]

الدّرجة الأولى:

همّة تصون القلب عن وحشة الرّغبة في الفاني، و تحمله على الرّغبة في الباقي، و تصفّيه من كدر التّواني.

قوله: تصون القلب من وحشة الرّغبة في الفاني، أي تزهّده في الدّنيا و ما فيها، إذ ليس في الدّنيا شيء إلاّ و هو يفنى، و سمّى الرّغبة في الفاني وحشة استعارة، لأنّ الدّنيا و ما فيها توحش قلوب المشتغلين بها، أو لأنّ أهل الزّهد فيها يرونها موحشة قبيحة، لأنّهم ينظرون إليها ببصائرهم لا بأبصارهم، و ما أحسن قول القائل فيما يناسب هذا المعنى:

و إذا أفاق القلب و اندمل الهوى   رأت القلوب و لم تر الأبصار

قوله: و تحمله على الرّغبة في الباقي، أي و تحمله هذه الهمّة العالية على الرّغبة في الباقي هو الحقّ تعالى لا شريك له، و بقاء الآخرة إنّما هو بإبقائه، و ليس لها من ذاتها بقاء، إذ هي ممكنة، و إنّما بقاؤها بالباقي عزّ و جلّ.

قوله: و تصفية من كدر التّواني، هو الإهمال و التّفريط، و تأخير الفرض حتّى يفوت، و اشتقاقها من الونى، تقول: ونى يني، إذا فتر أو قصّر بتعب أو غيره، و سمّى التّواني كدرا استعارة.، لأنّ النّشاط في طلب المقصود يصفو به القلب، و التّواني يتكدّر به القلب.

[الدّرجة الثانية همّة تورث أنفة من المبالاة بالعلل، و النّزول على العمل، و الثّقة بالأمل.]

الدّرجة الثانية:

همّة تورث أنفة من المبالاة بالعلل، و النّزول على العمل، و الثّقة بالأمل.

قوله: تورث أنفة من المبالاة بالعلل، أو يبالي بما يفوته من مصالح أحوالها، و المقصود/ بالعلل هنا النّظر إلى ثمرات الأعمال، فإنّها عندهم

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۳۸۵

علل، و قد تقدّم شرح مثل هذا، فصاحب هذه الهمّة يأنف على قلبه أن يطلب الحقّ تعالى لأجل ما وعده به من الثّواب، و لا يبالي بفوت الثّواب الموعود به، لأنّه ليس هو مقصوده، فهذا معنى عدم المبالاة بالعلل، أي بما أوجبته العلل لمن عمل عليها من الثّواب.

قوله: و النّزول عن العمل، أي صاحب هذه الهمّة يأنف على مثله أن ينزل من سماء طلب الحقّ تعالى بكلّ الاعتبارات، و مطلقا غير مقيّد بالعمل المرسوم لا غير، بل ينصبغ بالتوجّه إلى الله تعالى حتّى تكون نهاية العمل لا تبلغ بداية توجّهه، و هذا أمر يكون لأهل المحبّة الصّادقة، و الوجد الغالب، و أكثر ما يليق السّماع بهؤلاء، و أكثر ما يكون إنكار العلماء عليهم، و ذلك لكون قهر المحبّة و سكر الوجد يحرّم عليهم رعاية الأوقات المألوفة، و ضبط الحركات المحدودة المعروفة، إذ حركة الوجد للواجد عنيفة، و التحفّظ من النّاس يعسر عليه لاشتغال لطيفته بإجابة دواعي المحبّة، و تلك الدواعي لا تكون على ترتيب مخصوص، فلا يترك ما هو فيه من مهمّات المحبوب، و ينزل إلى درجات العمل في مقام البشر المحجوب، و إن كان العمل من جملة أفعاله، و المبالغة فيه من جملة خصاله.

قوله: و الثّقة بالأمل يوجب الفتور، و صاحب هذه الهمّة ليس من أهل الفتور، فهو ليس من أهل الثّقة بالأمل.

[الدّرجة الثالثة همّة تصاعد عن الأحوال و المعاملات]

الدّرجة الثالثة:

همّة تصاعد عن الأحوال و المعاملات، و تزري بالأعراض و الدّرجات، و تنحو عن النّعوت نحو الذّات.

قوله: تصاعد عن الأحوال و المعاملات، أي هي أعلى من أن يتعلّق صاحبها بالأحوال أو بالمعاملات، أمّا المعاملات فهي العمل الصّالح

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۳۸۶

بالإخلاص الوافي بالشّروط. و أمّا الأحوال، فهي بالتأثّرات عن الواردات و التجلّيات، و هذه الهمّة أعلى درجة من هاتين الحالتين، لما ذكر بعد من قوله: و ينحو عن النّعوت إلى الذّات.

قوله:/ و يزري بالأعواض و الدّرجات، أي يكون حال صاحبها كحال من يزري بصاحب الأعواض و الدّرجات، و هو الذي يطلب بعمله الأعواض، و هي جمع عوض، يعني به الثّواب، و يعني بالدّرجات إمّا المقامات و إمّا الجنّات العاليات، و كلاهما عند صاحب هذه الهمّة متروك.

قوله: و ينحو عن النّعوت نحو الذّات، أي لا يرضى صاحب هذه الهمّة بشهود الحقّ تعالى من حضرات أفعاله، و لا من حضرات أسمائه، و لا من حضرات صفاته، بل لا يروي عطشه إلاّ وروده للعين التي تنفيه عن المتى و الأين، و قد تقدّم في مقام الطمأنينة شرح شهود الذّات، فتأمّله من هناك.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۳۸۷

[قسم الأحوال]

و أمّا قسم الأحوال، فهو عشرة أبواب و هي:

المحبّة و الغيرة و الشّوق و القلق و العطش و الوجد و الدّهش و الهيمان و البزق و الذّوق

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۳۸۹

[باب المحبّة]

باب المحبّة قال الله عزّ و جلّ: فَسَوْفَ يَأْتِي الله بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَ يُحِبُّونَهُ.

المحبّة تعلّق القلب بين الهمّة و الأنس في البذل و المنع على الإفراد، و المحبّة أوّل أودية الفناء و العقبة.

قوله: المحبّة تعلّق القلب بين الهمّة و الأنس في البذل و المنع على الإفراد، يعني تعلّق القلب بالمحبوب تعلّقا مقترنا بهمّة المحبّ و أنس القلب بالحقّ تعالى، و قد فسّرنا الهمّة، و حاصلها طلب الحقّ تعالى بالإعراض عمّا سواه من غير فتور و لا توان.

و قد سألني بعض أصحابي عن سبب المحبّة، فأجبته بأنّها عن استجلاء بوارق جمال المحبوب من وراء أستار الغيوب، فإذا صار البارق شارقا، و الشّارق خارقا، و الخارق ماحقا، فقد اتّصل الحبل، و اجتمع الشّمل.

و نعود فنقول: و إنّما أشار الشيخ إلى أنّها بين الهمّة و الأنس، لأنّ الهمّة لمّا كانت هي نهاية شدّة الطّلب، و كان المحبّ أشدّ الرّاغبين طلبا، كانت الهمّة من جملة صفاته.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۳۹۰

و لمّا كان الطّلب بالهمّة قد يكون عاريا عن الأنس، و كان المحبّ لا يكون إلاّ مستأنسا باستحضار محاسن محبوبه،/ مستغرقا فيها، وجب أن يكون المحبّ موصوفا بالأنس أيضا، فصارت المحبّة بهذا الاعتبار موجودة بين الهمّة و الأنس.

قوله: في البذل، يعني في بذل النّفس لمحبوبه.

قوله: و المنع، يعني منع القلب من التعرّض إلى ما سوى مطلوبه، و لا يكون مطلوبه غير محبوبه.

قوله: على الإفراد، يعني أن ينسى أوصاف نفسه في ذكر محاسن محبوبه، حتّى يذهب ملاحظة الثنويّة، و في هذا المعنى لبعض أصحابي الذين سلكوا على يديّ بيت شعر يشبه هذا المعنى، و هو من جملة قصيد:

شاهدته و ذهلت عنّي غيرة منّي عليه فذا المثنّى مفرد فهذا معنى قوله: على الإفراد، أي على إفراد المحبّ لمحبوبه بالتوجّه.

و المحبّة أوّل أودية الفناء، و العقبة التي ينحدر منها على منازل المحو، و هي آخر منزل يلتقي فيه مقدّمة العامّة و ساقة الخاصّة.

قوله: المحبّة أوّل أودية الفناء، لا تفنى خواطر المحبّ عن التعلّق بالغير، و أوّل شيء يفنى من المجذوب خواطره، لأنّه إذا جذب قلبه انجذبت خواطره في الضمن و التّبع، فالمحبّة إذن أوّل أودية الفناء، و إنّما استعار للفناء أودية، لأنّ الوادي يجمع النّظر و يحصره، بخلاف المكان العالي أو المكان المستوي، فناسب أن يستعير للفناء الأودية.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۳۹۱

قوله: و العقبة التي ينحدر منها على منازل المحو، يعني بذلك تكملة الأودية، و ذلك أنّ الأودية لا ينحدر إليها إلاّ من عقبة، فلمّا سمّى الفناء أودية استعار للمحبّة التي تدخل منها إلى الفناء عقبة.

و منازل المحو هي مقاماته.

و أوّلها: محو الأفعال في فعل الحقّ، فلا يرى فعلا لغير الله تعالى، فهذا منزل.

الثاني: محو الصّفات، فتنمحي صفات الحسن التي كانت تنسب إلى المخلوقات في صفات الجمال المطلق الإلهيّ، و صفات الحسن هي الصّفات الوجوديّة، و أمّا الصّفات الاعتباريّة فترجع في نظر الشّاهد إلى العدم، و يبقى حسن الصورة مشهودا في صورة الحسن،/ فيدخل المطلق في المقيّد، و الشّهادة في الغيب، و الظّاهر في الباطن، و الآخر في الأوّل، فترجع الأشعّة إلى شمسها، و الشّمس إلى منوّرها بذهاب صورة قرصها، و ذلك كلّه في نظر النّاظر و شهادة الشّاهد، و لم يتجدّد للحقيقة أمر لم يكن لها قبل ذلك.

و هذه الصّفات كانت موهوبة للعبد، يستدلّ بها على بارئها، فيعلم بالعلم أنّه عليم، و بالبصر أنّه بصير، إذ لو لم تكن للعبد هذه الصّفات ما اهتدوا إلى إثباتها لخالقها و بارئها تبارك و تعالى.

و قد ورد على بعض الفقراء خطاب في هذا المعنى في حال غيبة من وحشة، فنودي: يا عبد، إنّما منحتك صفاتي لتعرفني بها، فإن ادّعيتها سلبتها الدّلالة و هذا هو المنزل الثاني من منازل المحو.

و الثالث: هو محو الذّات في التجلّي الذاتيّ، و هو ظهور وحدة الوجود، و عود الصّور إلى العدم، و رفع نسبة شاهد و مشهود، و واجد و موجود،

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۳۹۲

و ذلك سلب في محو لا نسبة فيه لثان، و ليس عنه عبارة، و لا إليه إشارة، و الإشارة إليه لا تقوم بشيء من التّفهيم له، بل ربّما بعدت عنه، و الصّمت عنه كالنّطق به في عدم الإفادة، لأنّ الصّمت يستدعي صامتا و مصموتا عنه و صمتا، و هذه اعتبارات شرك لا يليق بمقام الفردانيّة الأحديّة. و هذا هو المنزل الثالث من منازل المحو و الفناء.

إلاّ أنّ هذه الثلاثة منازل، هي أصول، و فيها منازل جزئيّة داخلة في هذه المنازل لا تحصى كثرة، يقطعها أهلها، و ربّما مات بعض السّالكين و لم يقطعها، لأنّ تفاصيل هذه الجمل لا تتناهى، فمن أراد الله تعالى خلاصه جذبه و عدّاه عن هذه المنازل في أقرب الأوقات، و جعل له في طريقه زادا من هدايته التي هي أبلغ الأقوات.

قوله: و هي آخر منزل يلتقي فيه مقدّمة العامّة/ و ساقة الخاصّة، يعني أنّ المحبّة هي كما ذكر أوّل أودية الفناء، فمقدّمة العامّة هم في آخر مقام

المحبّة، و ساقة الخاصّة هم في أوّل مقام الفناء، متّصل بآخر مقام المحبّة، فالتقى مقدّمة العامّة بساقة الخاصّة الالتقاء المعنويّ، و إلاّ فلا لقاء بينهم، لأنّه لا أنساب بينهم يومئذ و لا يتساءلون، و للّه درّ القائل:

لا كنت إن كنت أدري كيف كنت و لا   لا كنت إن كنت أدري كيف لم أكن

و ذلك لأنّ ساقة الخاصّة مستغرقون في اضمحلال رسومهم الفانية، و مقدّمة العامّة مستغرقون فيما يبدو لهم من أنوار الجلال و الجمال الباقية، و في مثل هذا المعنى قولي:

كيف يرجو الحياة من هو في الهجر   قتيل و عند رؤياك يفنى

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد۲، ص ۳۹۳

و ما دونها أغراض لأعواض.

يعني و ما دون المحبّة من المقامات فهي أغراض من المخلوقين لأجل أعواض من الخالق تبارك و تعالى، و ذلك هو حال الأجراء. و أمّا المحبّون فإنّهم عبيد، و ليس عمل الأجير الذي لغرض الأجرة، كعمل العبد الذي هو بلا أجرة، و الأجير عند فراغ عمله ينصرف، و العبد في الباب لا ينصرف.

و المحبّة هي سمة الطّائفة، و عنوان الطّريقة، و معقد النّسبة.

قوله: سمة الطّائفة، أي صفتهم و علامتهم، فإنّ السّمة هي العلامة، و جمعها سيما و سمات. قال الله تعالى: **سِيمٰاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ**.

قوله: و عنوان الطّريقة مثله، لأنّ العنوان يدلّ على صاحبه، كما تدلّ المحبّة على أنّ صاحبها من أهل الطّريقة، و يعني بالطّائفة طائفة الفقراء لا المتصوّفة، إلاّ باعتبار دخولهم في الفقراء، فإنّ الفقر صفة سلب النّفس الذاتيّة، و التصوّف صفة سلب النّفس الصفاتيّة، و ستعلم ذلك إذا وصلت إليه إن شاء الله تعالى.

و معقد النّسبة، يعني معقد نسبة العبوديّة إلى الربوبيّة بصفة الشّهود الذاتيّ.

[درجات المحبة]

و هي على ثلاث درجات:

[الدّرجة الأولى محبّة تقطع الوساوس، و تلذّ الخدمة، و تسلّي عن المصائب.]

الدّرجة الأولى:

محبّة تقطع الوساوس، و تلذّ الخدمة، و تسلّي عن المصائب.

قوله: تقطع الوساوس، أي لا تترك في القلب تردّدا، و ذلك لأنّ المحبّ يشكّ هل طلب محبوبه/ أولى، أو طلب غيره، حتّى يتردّد

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد۲، ص ۳۹۴

في ذلك، بل عزيمة المحبّة تنفي عنه هذا التردّد، و لا هو أنّه طالب شيء غير محبوبه حتى يخشى أن يفوته إن هو اشتغل بطلب محبوبه فيتردّد، و لا هو ممّن يجد السّكون حتّى يفكّر في سوى محبوبه فيتردّد بين شيئين فصاعدا، و لا هو يسمع من غير محبوبه فيجد الشّيطان إليه سبيلا، و قد قيل لبعضهم: أخز الشيطان، فقال: و ما هو الشيطان؟

نحن قوم قد اشتغلنا باللّه فكفانا ما سواه، و هيهات أن يجد المحبّ فراغا لوسواس، لاستغراق وجوده في ملاطفات محبوبه وجوده.

ولي في هذا المعنى من جملة أبيات ما مضمونه.

فمل طربا و اشرب و طب ثمّ غب فما　　　نعيمك إلاّ سكرة من هوى نعم

ولي من هذه الأبيات في معنى كون الشّيطان لا يجد سبيلا إلى المحبّ إذا لم يبق فيه بقيّة لسوى محبوبه، ما مضمونه:

فمهما بقي للصّحو منك بقيّة يجد　　　نحوك اللاّحي سبيلا إلى الظلم

قوله: و يلذّ الخدمة، أي يلتذّ المحبّ بخدمة محبوبه، فيرتفع عن رؤية التّعب الذي يراه العباد في التّكاليف.

قوله: و تسلّي عن المصائب، أي يجد المحبّ في المحبّة من اللذّة ما ينسيه المصائب.

و هذه الأشياء معلومة معدومة عند من ذاق شيئا من محبّة حسن الصّورة، فليجعلها أنموذجا لمحبّة صورة الحسن المطلق جلّ جنابه.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۳۹۵

و هي محبّة تنبت من مطالعة المنّة، و تثبت باتّباع السنّة، و تنمو على الإجابة بالفاقة.

تنبت من مطالعة المنّة، أي تكون بداية حصولها من مطالعة العبد منّة الله تعالى عنده و إحسانه، و لا شكّ أنّ الإحسان يوجب المحبّة، فإذا طالع القلب إحسان الحقّ تعالى أحبّ المحسن الحقّ جلّ اسمه، و يحتمل أن يقصد معنى آخر، و هو أيضا حقّ، و هو أعلى من هذا و أقرب إلى الصّواب، و ذلك أنّ المنّة هي الموهبة، فإذا وهب الله تعالى العبد في قلبه نورا من نوره، فطالع العبد ذلك النّور في ذاته، دعاه ذلك النّور/ إلى نفسه، فشاهد محاسنه، فرآها دالّة إلى باب مفيضه، فامتدّ سرّه تابعا لذلك النّور، فاستغرق لبّه لطف مناجاة دعائه إيّاه إلى ربّه، فاستصحب سرّه و منع الظلم منه، إذ لا تجتمع الظّلمات و النّور، فاستعظم حلاوة الأنس، فنشأت عنده الهمّة، فرقى القلب بين الهمّة و الأنس، فتعلّق بمحبّة جمال حضرة القدس.

و هذا النّور المذكور في كلّ قلب منه شيء. غير أنّه في قلوب الكفّار مغمور، و في قلوب المؤمنين مقهور، و في قلوب الموحّدين مؤيّد منصور، أمير على القلب، و كلّ أسراره له مأمور، و صاحب هذا القلب هو أمير على العشّاق، و هو مصطنع حضرة الإطلاق:

أمير أمير عليه النّدا　　　جواد بخيل بأن لا يجودا

قوله: و تنبت باتّباع السنّة، يعني سنّة الأنبياء عليهم السّلام، و السنّة هي الطّريقة و العادة، و صورة اتّباع السنّة أن تتمسّك بها في علمك و عملك، و تتمسّك بتعرّف الحقّ إليك في وجد قلبك، إن كنت مصطنعا لربّك.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۳۹۶

قوله: و تنمو على الإجابة بالفاقة، الإجابة بالفاقة، أن يجيب دواعي العبادة بوفور الأعمال، و أنت من اعتبارها خال، فإنّ طريقة الفاقة تأبى أن يكون لصاحبها شيء، و العمل هو شيء، فلا ينبغي لصاحب الفاقة أن تراه أصلا، و الفاقة هي بداية الفقر، و قد ورد في بعض المناجاة:

يا عبد اجعل ذنبك تحت رجليك، و اجعل حسنتك تحت ذنبك، إشارة إلى أنّ رؤية الحسنة أضرّ على القلب من رؤية السيّئة، فالمحبّة تنمو على الفاقة، أي تزيد، لأنّ النموّ هو الزّيادة، و الأفصح في لغة العرب أن يقول: ينمي على الفاقة بالياء، كذا ذكره ثعلب في كتاب الفصيح.

[الدّرجة الثانية محبّة تبعث على إيثار الحقّ على غيره]

الدّرجة الثانية:

محبّة تبعث على إيثار الحقّ على غيره، و تلهج اللّسان بذكره، و تعلّق القلب بشهوده.

إيثار الحقّ على غيره ظاهر، و هو أن يترك لأجل الحقّ ما سواه.

قوله: و تلهج اللّسان بذكره، أي تحبّه لذكره،/ و قد قيل: إنّ من أحبّ شيئا أكثر من ذكره، و اللّهج بالشيء هو الولوع به.

قوله: و تعلّق القلب بشهوده، أي تعلّق القلب بطلب شهوده تعلّق محبّ لمحبوبه، و الشّهود و المشاهدة واحد.

و هي محبّة تظهر من مطالعة الصّفات، و النّظر إلى الآيات، و الارتياض بالمقامات.

قوله: تظهر من مطالعة الصّفات، يعني صفات الإحسان، أو الصّفات الحسنى الإلهيّة، فإنّه من طالعها و أكثر في مطالعة معانيها دعاه ذلك إلى التعلّق بمحبّة موصوفها الحقّ، لأنّها أبواب يدخل إليه منها، أي محبّته.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۳۹۷

قوله: و النّظر إلى الآيات، أي النّظر إلى العلامات و هو نظر الاعتبار:

و في كلّ شيء له آية تدلّ على أنّه واحد

قوله: و الارتياض بالمقامات، أي من كانت له رياضة في مقامات السّلوك إلى الله تعالى بغير صفة المحبّة، فإنّه إذا داوم قرع الباب في كلّ مقام ملك، و في أيّة طريق سلك، أو شك أن تنشأ في قلبه المحبّة، و ذلك لأنّه صلّى الله عليه و سلم أخبر عن ربّه عزّ و جلّ أنّه قال: ما تقرّب المتقرّبون إليّ بأفضل من أداء ما افترضته عليهم، و لا يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتى أحبّه، و الحقّ تعالى إذا أحبّ عبدا أنشأ في قلبه محبّته، قال تعالى:

يُحِبُّهُمْ وَ يُحِبُّونَهُ.

[الدّرجة الثالثة محبّة خاطفة تقطع العبارة، و تدفع الإشارة، و لا تنتهي بالنّعوت]

الدّرجة الثالثة:

محبّة خاطفة تقطع العبارة، و تدفع الإشارة، و لا تنتهي بالنّعوت.

قوله: محبّة خاطفة، يعني تخطف عقول المحبّين لما يبدو لهم من أنوار الأزل جلّ جلاله، لأنّ هذه الأنوار تمحو، و العقل لا يستقرّ على المحو، إذ ليس له مجال إلاّ في حضرة الصّور، و في عالم الخلق، لأنّه مخلوق. قال عليه السّلام: «أوّل ما خلق الله العقل»، و المخلوق لا يبقى مع نور الخالق، لأنّ مقامه منزّه عن الثنويّة، فالخطف في هذا المقام معناه فناء الحدوث في القدم في حالة غلبة العقل عن الإدراك، و سقوط الأفهام، لكن ربّما بقي بعض الرّسم، فإنّ فناء

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۳۹۸

الرّسوم/ بالكليّة لا يكون إلاّ في حضرة المحو، و قد ورد في بعض التنزّلات من المواقف، و قال لي: لو أبديت لغة العزّ لخطفت الأفهام خطف المناجل الزّرع، و درست المعارف درس الرّمال عصفت عليها الرّياح العواصف، و قال لي: لو نطق ناطق العزّ لصمتت نواطق كلّ وصف، و رجعت إلى العدم مبالغ كلّ حرف، و قال لي: أين من أعدّ معارفه للقائي، لو أبديت لسان الجبروت لأنكر ما عرف، فهذه الإشارات كلّها تشير إلى خطف الأفهام، بنور الوحدانيّة.

قوله: تقطع العبارة، يعني لا يقدر المحبّ أن يعبّر عمّا يجده، و ذلك لأنّ الأنوار قد خطفت فهمه كما ذكرنا، و العبارة تابعة للفهم، لأنّه لا يعبّر إلاّ من له فهم، و من لم يبق له فهم لم تبق له عبارة.

قوله: و تدفع الإشارة، العبارة تحت مقام الإشارة، فالعبارة أبعد، فلا جرم كان نصيبها القطع بالكلّية، فلذلك قال الشيخ رحمه الله: تقطع العبارة، و لمّا أتى إلى ذكر الإشارة قال: و تدفع الإشارة، و لم يقل:

و تقطع الإشارة، لأنّ مقام المحبّة يقبل بعض الإشارات، لأنّه ما خلص إلى مقام التّوحيد بالكلّية، بل رسوم المحبّة و مقامها يقتضي الإثنينيّة.

و أنا أقول: إنّ المحقّق يعبّر عن المحبّة أتمّ عبارة، لأنّه من أهل الصّحو بعد المحو، و من أهل التّمكين بعد التّلوين، و لسانه نائب عن كلّ لسان، و بيانه واف بكلّ ذوق.

قوله: و لا تنتهي بالنّعوت، أي لا تتنافى أوصافها و نعوتها عند المحقّق، و أمّا المحبّ و من دون مقام المحبّة، فهو مخطوف الفهم عن إدراكها، و إنّما يرى حقائق المقامات من تجاوزها، و لا يعبّر عن المعنى تعبيرا صحيحا إلاّ من وجده في ذاته وجدانا صحيحا:

شرح‌منازل‌السائرین‌إلی‌الحق‌المبین، جلد۲، ص ۳۹۹

ولي في مثل هذا المعنى نظم من جملة أبيات هي:

تجلّى محيّاها و مدّت بنورها حجابا على أبصارهم و هو مبهم

فلم يبق إلاّ من رآها و إنّما رآها فتى معناه عنها يترجم

فالإنسان الذي يترجم معناه عن الحقيقة، هو الذي رآها حقيقة،/ و إلاّ فنظر النّاظر إلى ما لا يعرفه لا يسمّى نظرا، لأنّ فائدة النّظر معدومة منه.

و في هذا المعنى أقول:

من كان لا يدري الصّواب فذاك أخطأ إن أصابا أو كان لا يدري الجواب فما أجاب و إن أجابا

و إذا عرفت أنّ المحبّة التامّة تخطف الأفهام، و عرفت أنّ الحقيقة تثبت الأفهام، عرفت أنّ نعوت المحبّة لا تكون إلاّ عند المحقّق، و إمّا كون نعوت المحبّة لا تتناهى، فلأنّ لها في كلّ مقام نسبة و دقيقة، و لها في كلّ طريقة نسبة و دقيقة، و الطّرق إلى الله على عدد أنفاس الخلائق، و طرق المحبّة على عدد أنفاس الخلائق، و أنفاس الخلائق لا تتناهى إلاّ بتناهيهم.

و هذه المحبّة هي قطب هذا الشأن، و ما دونها محابّ نادت عليها الألسن، و ادّعتها الخليقة، و أوجبتها العقول.

و هذه المحبّة هي قطب هذا الشأن، يعني المحبّة الخاطفة التي ذكرها في الدّرجة الثالثة، فأمّا ما دونها من الدّرجتين الأوليين، فهي تكون نتيجة مفعولة، و سأبيّن من ذلك شيئا إن شاء الله.

و معنى قطب هذا الشأن، أي مدار هذا الشأن على هذه المحبّة، و يعني بالشأن السّلوك إلى الله تعالى، و إنّما كان مدار هذا الشأن على

شرح‌منازل‌السائرین‌إلی‌الحق‌المبین، جلد۲، ص ۴۰۰

المحبّة، لأنّها المحبّة الخالصة من الأغراض، و صاحبها مراد مطلوب مجذوب، مغلوب، و أمّا ما دونها من المحابّ، فإنّ صاحبها مشغول بأغراضه و شهواته، لأنّه إنّما أحبّ الحقّ تعالى لكونه أحسن إليه، و من عليه.

و أمّا محبّة الصّفات، فإنّها محبّة ممزوجة بشهوات الأرواح، إذ لذّة الأرواح في مطالعة صفات الحسن، لا حسن الصّفات، فإنّ تلك محبّة المغرورين المطرودين، فإذا صفات الحسن لأصحاب الأغراض اللّطيفة، لا المحبّين بتلك الصّفات.

قوله: نادت عليها الألسن، أي و صفتها الألسن فأكثرت صفاتها، و تمكّنت من التّعبير عنها.

قوله: و ادّعتها الخليقة، أي ادّعت الخليقة أنّهم وصلوا إليها،/ و إنّما قال: ادّعتها و لم يقل: وصلت إليها الخليقة، لأنّ الوصول إليها و إن كانت نازلة الرّتبة، لا تكون إلاّ لمن أيّده الحقّ بنور من عنده، فمن وصل إلى شيء منها، فإنّما يصل إليه بنور التّأييد لا بقوّة الخليقة، و الخليقة و الخلائق واحد، فالخلائق يدّعون الدّرجتين الأوليين، و ليس لأحد الدّرجة الثالثة، لأنّها باب حضرة الحقّ، فلا وصول إليها إلاّ بالحقّ تعالى، و أهل الوصول إليها ليسوا أهل دعوى، و إن وصف المحقّق نفسه ببعض وصف الكمال، فليس ذلك بدعوى، و لأنّ المحقّق أيضا غير محبّ، لأنّ المحبّة دون مقامه، فالمحبّ في الدّرجة الثالثة لا يدّعي، و لا يقدر على الدّعوى لاستغراق لطيفته الإنسانيّة في جمال نور الحضرة الإلهيّة، و التي دونها ادّعتها الخليقة كما فسّرناه.

قوله: و أوجبتها العقول، يعني أنّ العقول تستحسنها و تأمر بها، فهي تحت طور العقل، و العقل يحكم عليها لأنّها من عالم الصّور، و معنى أوجبتها أي أمرت بفعلها، و أوجبت المحبّين القيام بحقوقها.

شرح‌منازل‌السائرین‌إلی‌الحق‌المبین، جلد۲، ص ۴۰۱

[باب الغيرة]

باب الغيرة قال الله عزّ و جلّ حاكيا عن نبيّه سليمان: رُدُّوها عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحاً بِالسُّوقِ وَ الْأَعْناقِ.

وجه استشهاد الشيخ بهذه الآية أنّ سليمان عليه السّلام كان يحبّ الخيل، فشغله استحسانها و النّظر إليها عن صلاة النّهار حتّى توارت الشّمس بالحجاب، فلحقته الغيرة على قلبه أن تستغرقه عن خدمة ربّه فقال: ردّوها عليّ، يعني الخيل، فطفق مسحا بالسّوق و الأعناق، أي ضرب سوقها و رقابها، يعني عرقبها، و هو أن تقطع قوائمها، و هذا مقام الغيرة.

الغيرة سقوط الاحتمال ضنّا، و الضّيق عن الصّبر نفاسة.

قوله: سقوط الاحتمال، يعني يعجز عن الاحتمال، أي لا يقدر أن يصبر على مقاساة ما يشغله عن محبوبه، أو ما يحجبه عنه قوله: ضنّا، أي بخلا، أي يبخل بمحبوبه أن يسامح أحدا فيه، و هذا البخل هو الكرم.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۴۰۲

ولي في هذا المعنى نظم كلّه في معنى الغيرة،/ من جملة أبيات و هي:

لمن يسقي و خمرة مقلتيه بها	من قبل قد سكر المدام
و ما المقصود من هذا التجلّي	لقد تلف الغيور المستهام
أ منك لكلّ ذي بصر جمال	و عنك لكلّ ذي جسد سقام
و في يد كلّ بارقة هدايا	و صحبته كلّ خافقة سلام
و كيف تجود لي بك نفس حرّ	و أهل الشحّ فيك هم الكرام

فالضنّ هو البخل، و الضّنين هو البخيل، و الضّاد ساقطة لأنّه ليس من الظنّ الذي هو التّهمة.

قوله: و الضّيق عن الصّبر، أي يضيق عن احتمال الصّبر، ضاق ذرعه عن كذا، إذا غلب عن احتماله، و الصّبر معلوم.

قوله: نفاسة، أي ينافس في محبوبه، و المنافسة هي المغالاة تقول:

نفست بالشيء إذا بخلت به، و نفست على فلان في محبوبي، إذا لم تره يستأهله، و أصله الرّغبة في الشيء، و منع الغير منه. قال الله تعالى: **وَ فِي ذٰلِكَ فَلْيَتَنٰافَسِ الْمُتَنٰافِسُونَ**. و كأنّه نوع من الحسد أو الغبطة.

[درجات الغيرة]

و هو على ثلاث درجات:

[الدّرجة الأولى غيرة العابد على ضائع يستردّ ضياعه، و يستدرك فواته، و يتدارك قواه.]

الدّرجة الأولى:

غيرة العابد على ضائع يستردّ ضياعه، و يستدرك فواته، و يتدارك قواه.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۴۰۳

العابد هو العامل بمقتضى العلم النّافع، و نتيجة ذلك حصول العمل الصّالح، و لست أقول العمل الخالص، فإنّ رتبة العمل الخالص فوق رتبة العمل الصّالح.

و غيرة العابد على ضائع يستردّ ضياعه، كإعادته الصّلوات الفائتة، و ردّه المظالم للمخلوقات، و الاستحلال منهم، و جبر ما فاته من الأوراد و النّوافل، و شبه ذلك، فمثل هذا هو الضّائع الذي يستردّ ضياعه.

قوله: و يستدرك فواته، يعني كوقت الصّلاة إذا كاد أن يفوت، فإنّ العابد يستدركه بالنّشاط في أداء واجبه قبل أن يفوت. و كذلك إذا كان بحيث أن يأتي بالصّلاة لأوّل وقتها، فإنّه ينشط إلى التأهّب لها قبل الوقت حتّى يكون مهيّأ للصّلاة في أوّل الوقت خوفا أن يفوته، و شبه ذلك ممّا لا/ يحصى.

قوله: و يتدارك قواه، أي العمل الذي يكون فيه الفتور يتداركه، بأن يؤيّده بالقوّة و النّشاط، و كلّ ذلك غيرة في العمل، و هذه الغيرة هي غيرة العبادة، و هي في مرتبة العامّة.

[الدّرجة الثانية غيرة المريد على وقت فات]

الدّرجة الثانية:

غيرة المريد على وقت فات، و هي غيرة قاتلة، فإنّ الوقت وحيّ التقضّي، أبيّ الجانب، بطيّ الرّجوع.

المريدون هم أرباب الأحوال، كما أنّ العبّاد أرباب الأعمال، و الوقت هو عند العبّاد عبارة عن أوقات العبادات، و الوقت عند المريدين عبارة عن وقت المنادمة و الحضور، و هو وقت عزيز يغارون عليه أن ينقضي، فإذا فات وقت لم يمكنهم أن يستدركوه، لأنّهم يرون أنّ الوقت الذي هم فيه يستحقّ منادمة أخرى تستغرق كذلك كلّ وقت، فإذا فاتهم وقت لا يمكنهم أن يستدركوه لاشتغالهم بعماره على الدّوام.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۴۰۴

قوله: و هي غيرة قاتلة، يعني مضرّة ضررا شديدا، حتّى شبّهه بالقتل، و ذلك لأنّ الغيرة على الفائت تفويت آخر، كما يقال: إنّ الاشتغال بالنّدم على الوقت الفائت تضييع للوقت الحاضر قبل، و لذلك يقولون: الوقت سيف إن لم تقطعه قطعك، و لا فرق بين قولهم قطعك السّيف، و قتلك السّيف، فإذا الغيرة المضيعة للوقت هي غيرة قاتلة.

ثمّ بيّن سبب ذلك بما بعده، و هو قوله: فإنّ الوقت وحيّ التقضّي، و معنى وحيّ سريع، فإنّ الوحا السّرعة، و العرب تقول لمن تستعجله: الوحا الوحا، أي العجل العجل، و تقول: جاء فلان وحيا، أي مسرعا، فالوقت ينقضي، فمن عقل عن نفسه تصرّمت أوقاته، و عظمت حسراته، و يقال: إنّ أصعب الأحوال المنقطعة، مقام رجال الأنفاس، و هم الذين إذا جذبوا النّفس الواحد جذبوه و هم حاضرون مع الحقّ تعالى بقلوبهم، فإذا أرادوا دفعه لم يدفعوه حتّى يحضروا بقلوبهم أيضا مع الحقّ، فلا يفوتهم نفس من أنفاسهم إلاّ و هم حاضرون مع ربّهم تبارك و تعالى بصفة المراقبة، إلاّ إذا غلبهم النّوم، و أكثرهم يرى في نومه أنّه يفعل ذلك، فتنحفظ عليه أوقات نومه، و أوقات يقظته، إلاّ ما/ شاء الله. و إن كان النّائم لا مطالبة عليه حتى يستيقظ، و إنّما التزموا الأنفاس لمعرفتهم أنّ الوقت سريع التقلّب، و حيّ التقضّي.

قوله: أبيّ الجانب، الأبيّ هو الممتنع، و قد فسّرنا معنى الأبيّ و العصيّ و الجريّ في باب السّكينة، و الممتنع الجانب، هو الذي لا يتمكّن طالبه من التصرّف فيه، فاستعار ذلك للوقت على حكم التّشبيه، فإنّ الاستعارة ضرب من التّشبيه.

قوله: بطيّ الرّجوع، و أنا أقول: إنّ الوقت لا يرجع لا بطيئا و لا سريعا، و إنّما أراد الشيخ أنّ الحال الحسنة التي تحصل للعبد في وقت

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۴۰۵

بطيّ عود مثلها، لأنّ الواردات تمرّ مرّ السحاب، فينقضي الوقت بما فيه، فلا يكاد يرجع شيء يشبه ما مضى، لأنّ الحقّ تعالى **كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ**، فإنّ أيّام الشّوق ليست هي هذه الأيّام المعروفة، بل كلّ آن لا ينقسم هو يوم لله تعالى فيه شأن يخصّه، فكيف يحكم على الوقت، و الوقت للحقّ تعالى لا للعبيد.

[الدّرجة الثالثة: غيرة العارف على عين غطّاها غين]

الدّرجة الثالثة:

غيرة العارف على عين غطّاها غين، و سر غشيه رين، و نفس علق برجاء، أو التفت إلى عطاء.

العارف هو صاحب شهود التجلّيات الجزئيّة الأسمائيّة.

قوله: على عين غطّاها غين، أي على بصيرة غطّاها ستر، أو حجاب، فإنّ الغين بمنزلة الغطاء، و سرّ غشيه رين، أي حجاب أيضا، قال تعالى:

كَلاَّ بَلْ رٰانَ عَلىٰ قُلُوبِهِمْ ما كٰانُوا يَكْسِبُونَ.

أي غطّى.

قوله: و نفس علق برجاء، النّفس هو اجتذاب الهواء في التنفّس، المقصود به هنا زمان النّفس، كأنّه قال: يغار على زمان مقداره مقدار ما يجتذب فيه نفس واحد أن يتعلّق فيه برجاء الثّواب أو الجنّة، فكيف ما دون ذلك، بل لا يكون له علاقة شيء أصلا إلاّ بمشهوده الحقّ، فهذه غيرة العارف على نفس علق برجاء.

قوله: أو التفت إلى عطاء، يعني إنّه لا يجوز أن يلتفت إلى العطاء، بل إلى المعطي الحقّ جلّ جلاله، و هذه غيرة العارفين، و العطاء يختلف، و كلّه غير يغار العارف منه،/ و اشتقاق الغيرة من الغير، و لا يكون إلاّ لمن فيه بقيّة رسم و حجاب، و مقام الرّجال فوق ذلك.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۴۰۷

[باب الشّوق]

باب الشّوق قال الله عزّ و جلّ: من كانَ يَرْجُوا لِقاءَ الله، فَإِنَّ أَجَلَ الله لَآتٍ.

الشّوق هبوب القلب إلى غائب، و في مذهب هذه الطّائفة علّة الشّوق عظيمة، فإنّ الشّوق إنّما يكون إلى الغائب، و مذهب هذه الطّائفة إنّما قام على المشاهدة، و لهذه العلّة لم ينطق القرآن باسمه.

الشيخ رضي الله عنه يرى أن يرجو في قوله تعالى: **من كانَ يَرْجُوا لِقاءَ الله**، هي بمعنى يشتاق بلسان الاعتبار، لا بلسان التّفسير.

قوله: الشّوق هبوب القلب إلى غائب، أي طلب القلب لغائب بصفة الميل الحبّي و الارتياح.

قوله: في مذهب هذه الطّائفة علّة الشّوق عظيمة، أي مضرّة ضررا عظيما، مع أنّ النّاس ربّما اعتقدوا أنّ المشتاق إلى الله تعالى هو عظيم القدر في الصوفيّة، و ليس كذلك، فالمشتاق هو صاحب علّة و مرض، و يعني بالعلّة و المرض كونه تعلّق قلبه بغائب، و الحقّ تعالى حاضر لا

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۴۰۸

يغيب، و هذا المشتاق و إن كان عند هذه الطّائفة ضعيف المرتبة، فإنّه بالنّسبة إلى العبّاد عالي المرتبة.

قوله: و مذهب هذه الطّائفة إنّما قام على المشاهدة، يعني أنّ بناية أمرهم على المشاهدة، ألا ترى أنّ بدايتهم هي أوّل الشّروع في الفناء، و هو إنّما يكون مع المشاهدة، و هذه البداية هي فوق التصوّف.

و أمّا مقام الإحسان، و هو أن تعبد الله كأنّك تراه، فذلك لأهل العبادة الخاصة، و مقام سلوك الفقراء فوق ذلك.

قوله: و لهذه العلّة لم ينطق القرآن باسمه، يعني لكون الشّوق علّة من العلل و مرضا من الأمراض لم ينطق الكتاب العزيز باسمه.

[درجات الشوق]

ثمّ هو على ثلاث درجات:

[الدّرجة الأولى شوق العابد إلى الجنّة]

الدّرجة الأولى:

شوق العابد إلى الجنّة، ليأمن الخائف و يفرح الحزين، و يظفر الآمل.

قوله: شوق العابد إلى الجنّة، يعني لهذه العلل الثلاث، و هي:

طلب الأمن إن كان العابد خائفا، و طلب الفرح إن كان/ العابد حزينا، و طلب الظفر بالنّعيم إن كان العابد آملا، أي راجيا، و هذه العلل هي الملازمة للعبّاد، لا يكادون يخلصون منها، أو من بعضها.

[الدّرجة الثانية: شوق إلى الله عزّ و جلّ زرعه الحبّ الذي ينبت على حافات المنن]

الدّرجة الثانية:

شوق إلى الله عزّ و جلّ زرعه الحبّ الذي ينبت على حافات المنن، فعلق قلبه بصفاته المقدّسة، فاشتاق إلى معاينة لطائف كرمه و آيات برّه، و أعلام فضله، و هذا شوق تغشاه المبارّ و تخالجه المسارّ، و يقاويه الاصطبار.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۴۰۹

شوق إلى الله عزّ و جلّ، هو فوق الشّوق إلى الجنّة، فإنّ الشّوق إلى الجنّة معلول بطلب أغراض النّفس الجسمانيّة البشريّة، و هذا الشّوق في الدّرجة الثانية هو شوق إلى الله تعالى، فهذا أعلى من ذلك الشّوق الأوّل، إلاّ أنّ هذا الشّوق إلى الله أيضا هو في أوّل رتب الشّوق، و ليس هو رتبة عالية في الشّوق، و ذلك لأنّه عيّن مرتبته بقوله فيما بعد: يقاويه الاصطبار، و لأنّه شوق زرعه الحبّ الذي ينبت على حافات المنن، قيّد الحبّ بما ينشأ عن المنّة، و ذلك أضعف الحبّ، و قد ذكر ذلك في مقام المحبّة.

قوله: زرعه الحبّ الذي ينبت على حافات المنن، يعني الذي كان سببه مطالعة منّة الحقّ تعالى على عبده، و هذا الحبّ تفسيره في مقام المحبّة، فطالعه من هناك.

قوله: فعلق قلبه بصفاته المقدّسة، يعني الصّفات المختصّة بالمنن مثل الاسم المنّان و المحسن و المعطي و الجواد و شبه ذلك.

قوله: المقدّسة، إشارة إلى تنزيهها عن مشابهة ما يشاركها من صفات العبيد، فإنّه قد يقال للعبد إنّه منّان و محسن و معط و جواد و شبيه ذلك، فأراد بقوله المقدّسة، أي المطهّرة من مشابهة صفات المخلوقين إن شاركتها في اللّفظ، فإنّ التّقديس هو التّطهير.

قوله: فاشتاق إلى معاينة لطائف كرمه، يعني أنّ شوقه لم يكن للحقّ تعالى، بل إلى معاينة لطائف المنن، و بهذا القدر أيضا نزل مقام هذا الشّوق في هذه المرتبة/ عمّا بعده من الرّتب، و اللّطائف هي الهدايا، و هي أضداد الكثائف أيضا.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۴۱۰

قوله: و آيات برّه، الآيات هي العلامات، و البرّ هو الإحسان.

قوله: و أعلام فضله، الأعلام أيضا هي العلامات، و أصلها في علامات يجعلها الرّكبان على الطّرقات المجهولة، ليعلم التّائه بها أين يسلك، فنقلت إلى ما يشابه هذا المعنى من الدّلالات، و الفضل هو الزيادة من الخير.

قوله تعالى: **ذٰلِكَ فَضْلُ الله يُؤْتِيهِ مَن يَشٰاءُ**، أي عطاء الله الذي يصير به العبد يفضل غيره.

قوله: و هذا شوق يغشاه المبارّ، يعني أنّ هذا الشّوق معلول يغشى علل الإحسان، أي لم يكن شوقا خالصا لذات الله عزّ و جلّ، بل لغرض المشتاق لأجل أنّه مقيّد بالمبارّ، و المبارّ هي جمع مبرّة، و هي الفعل الجميل من البرّ.

قوله: و تخالجه المسارّ، أي تجاذبه، فإنّ المخالجة هي المجاذبة، و المسارّ هي الأفراح، و القصد أنّ الشّوق إذا خالطه الفرح كان ممزوجا بحظّ النّفس، و كذلك البكاء و الحزن.

و يحكى أنّ رجلا من أرباب السّماع هجم على الشبليّ أو غيره و أخته تمشط، فرآه مستغرقا، فهمّت أخته بالاستتار، فقال لها أخوها: إنّ الرّجل ليس معنا، فلمّا خرج من ذلك الوارد إلى البكاء قال لها أخوها:

استتري، فإنّ البكاء من رعونات النّفس.

و لهذه الطّائفة أحوال صلفة لا تعرف حقيقتها بالعبارة، بل بالتّجربة، فالأفراح إذا خالطت الشّوق كانت من رعونات النّفس كالبكاء.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۴۱۱

قوله: و يقاويه الاصطبار، يعني إنّ هذا الشّوق الذي ينبت على حافات المنن يقاويه صاحبه بالاصطبار، أي قد يصبر صاحبه، بخلاف غيره، و المقاومة معلومة، و الاصطبار هو الصّبر.

[الدّرجة الثالثة نار أضرمها صفو المحبّة]

الدّرجة الثالثة:

نار أضرمها صفو المحبّة، فنغّصت العيش، و سلبت السلوة، و لم ينهنهها مقرّ دون اللّقاء.

يعني، شوقا إلى الله تعالى في المرتبة الثالثة هو يشبه النّار، و لما شبّهها بالنّار قال: أضرمها صفو المحبّة،/ و إنّما شبّهه بالنّار لأنّه يحرق الأحشاء.

و يقال: إنّ عمر رضي الله عنه سأل بعد وفاة أبي بكر زوجة أبي بكر رضي الله عنه عن حاله، و ما كان ورده في ليله، فقالت: إنّ أبا بكر لم يكن بكثير صلاة، و لكنّه كان يقوم في آخر اللّيل، فيتوضّأ ثمّ يركع ما شاء الله تعالى، ثمّ يضع رأسه فيتنفّس فنشمّ منه رائحة الكبد المشويّة، فقال عمر رضي الله عنه: من أين لعمر رائحة الكبد المشويّة؟ فهذا الاحتراق هو من نار الشّوق.

قوله: صفو المحبّة، إشارة إلى أنّ المحبّة لم تكن لأجل المنّة و لا لغرض أو علّة و مرض، بل هي صافية من أكدار الأغراض، سالمة من العلل و الأمراض، فسمّى ذلك صفوا.

قوله: فنغّصت العيش أي منعت هذه المحبّة صاحبها السّكون إلى لذيذ العيش، و التّنغيص هو التّكدير، و العيش هو الحياة.

قوله: و سلبت السّلوة، أي نهبت السلوّ، و السّلب هو الأخذ قهرا، و السّلوة هي الخلاص من كرب المحبّة و نسيان المحبوب بالاستغناء عنه.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۴۱۲

قوله: و لم ينهنهها مقرّ دون اللّقاء، أي لم يكفها و يردّها مقرّ، و المقرّ و القرار واحد، أي لم يحصل لصاحب هذه المحبّة قرار دون اللّقاء، و هذه الحال بخلاف الحال المذكورة في الدّرجة الثانية من جهة أنّ تلك الحال يقاويها الاصطبار، و من جهة أنّ صاحبها سلب القرار فحصل الفرق بين الشوقين.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۴۱۳

[باب القلق]

باب القلق قال الله عزّ و جلّ حاكيا عن كليمه: وَ عَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضىٰ.

القلق تجريد الشّوق بإسقاط الصّبر.

الشيخ رضي الله عنه سمّى العجلة الحاصلة للكليم عليه السّلام قلقا، من جهة إنّما يكون في غالب الأحوال عن القلق، و إلاّ فقد تكون عجلته ليرضى ربّه، لا للقلق.

قوله: القلق تجريد الشّوق، أي تخليصه من الصّبر، و لذلك قال بإسقاط الصّبر، فإنّ الشّوق إذا كان معه صبر، فليس هو قلقا، و إذا عدم الصّبر حصل القلق.

[درجات القلق]

و هو على ثلاث درجات:

[الدّرجة الأولى قلق يضيّق الخلق، و يبغّض الخلق، و يلذّذ الموت.]

الدّرجة الأولى:

قلق يضيّق الخلق، و يبغّض الخلق، و يلذّذ الموت.

قوله: يضيّق الخلق، يعني عن سماع العذل و التّقييد.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۴۱۴

قوله: و يبغّض الخلق، يعني يبغّض إلى المحبّ الاجتماع بالخلق لما فيه من العلائق و التّقييد.

قوله: و يلذّذ الموت، أي يصيّر الموت لذيذا، لأنّه يرجو أن يكون الموت سبب لقائه لمحبوبه الحقّ.

[الدّرجة الثانية قلق يغالب العقل، و يخلّي السمع، و يطاول الطّاقة.]

الدّرجة الثانية:

قلق يغالب العقل، و يخلّي السمع، و يطاول الطّاقة.

قوله: يغالب العقل، أي يكاد يقهر العقل، و إنّما قال: يغالب، و لم يقل يغلب، لأنّ القلق لا يقتضي فناء العقل بالكلّية، و إنّما هو يروم أن يغلبه و يكاد أن يغلبه تارة و تارة، و إنّما الذي يصطلم العقل هو الشهود.

قوله: و يخلّي السّمع، أي يمنعه من أن يقع فيه نطق عذلا كان أو عذرا، لأنّ هذا القلق يبعد بين قلب صاحبه و بين إدراك الحواسّ بحكم انقهار الحسّ لسلطان القلق.

قوله: و يطاول الطّاقة، يعني أنّ الطّاقة إن كانت قويّة زادت قوّة القلق حتّى تبلغ في مطاولتها إلى أن ينقهر القلق، و المطاولة مثل المصابرة، و يعني بالطّاقة طاقة الصّبر، أي القدرة على الصّبر. و حاصل المقصود أنّ القلق يغلب الطّاقة أو يكاد يغلبها.

[الدّرجة الثالثة قلق لا يرحم أبدا، و لا يقبل أمدا، و لا يبقي أحدا.]

الدّرجة الثالثة:

قلق لا يرحم أبدا، و لا يقبل أمدا، و لا يبقي أحدا.

هذا القلق في الدّرجة الثالثة، هو الذي يقهر العقل، لأنّه ربّما كان قرين الشّهود، فهو إذا علق بالقلب لم يبق عليه حتى يرميه في فناء الشّهود، و لذلك قال: لا يرحم أبدا.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۴۱۵

قوله: و لا يقبل أمدا، الأمد هو مقدار من الزّمان يجده الإنسان، و معنى قوله: لا يقبل أمدا، أي لا يتصوّر أن يحكم الإنسان عليه فيجد له أمدا معلوما ينقضي فيه، أو يصفه بوصف معيّن لأنّه حاكم على القلب، و لا يحكم صاحبه عليه.

قوله: و لا يبقي أحدا، أي لا يرقى/ صاحبه في الشّهود الذي تفنى فيه الرّسوم، فلا يبقي معه أحدا على رسمه، بل يفنيه، فهذا معنى لا يبقي أحدا.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۴۱۷

[باب العطش]

باب العطش قال الله عزّ و جلّ، حاكيا عن خليله عليه السّلام: فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأىٰ كَوْكَباً قٰالَ هٰذٰا رَبِّي.

العطش كناية عن غلبة ولوع بمأمول،

[درجات العطش]

و هو على ثلاث درجات: الشيخ رضي الله عنه استشهد بهذه الآية على العطش، و وجه الاستشهاد كونه لمّا رأى الكوكب قال: هذا ربّي، فلو لا شدّة العطش إلى لقاء محبوبه لمّا ظنّه الكوكب، إذ كلّ عطشان، إذا رأى السّراب ذكر الماء، هذا على حكم الإشارة، و إلاّ فخليل الرّحمن صلوات الله عليه إنّما ذكر ذلك على وجه إقامة الدّلالة على أنّه لا يجوز أن يعبد شيء نقيصة بوجه ما، فكأنّه أشار إلى كمال المعبود عزّ و جلّ بما نبّه عليه من نقائص الكوكب. و القمر و الشّمس و الأفول، و أراد الإشارة إلى أنّ الحقّ تعالى لا يغيب عن مخلوقاته، و لا ينبغي له ذلك جلّت قدرته و تقدّست صفاته.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۴۱۸

قوله: العطش كناية عن غلبة ولوع بمأمول، الولوع هو التعلّق بالشّيء بصفة المحبّة مع أمل الوصول إليها، حتّى أنّه لو لم يأمل الوصول لما سمّي هذا ولوعا.

هذا قول الشيخ، و الولوع عندي عبارة عن تردّد القلب في التوجّه إلى الشّيء، و لذلك يقال: أولع فلان بالشّيء، فهو مولع به.

[الدّرجة الأولى عطش المريد إلى شاهد يرويه، أو إشارة تشفيه، أو عطفة ترويه.]

الدّرجة الأولى:

عطش المريد إلى شاهد يرويه، أو إشارة تشفيه، أو عطفة ترويه.

المريد فوق درجة العابد، و هو من أهل الشّواهد، و الشّاهد محلّ الاعتبار، و المراد به ما يشهد للمريد بصحّة سلوكه و صدق طريقه.

و قوله: يرويه إن أراد من الرّواية، فهو ما يكون من الشّواهد الجارية على منهج العلم، أو على منهج من يروي عمّن سبقه إلى السّلوك من المريدين، فإذا تجدّدت له حالة شهد عنده بمثلها شاهد حال مريد آخر قد سبقه و ثبت عنده صدقه، جعله دليلا على صدق حاله، و هذا شاهد من الشّواهد التي يرويها عن غيره،/ فإن أراد من الريّ الذي هو ضدّ العطش، فهو أن يشهد له وارد صحيح يستدلّ على صحّته بما يرد على قلبه من الريّ، أي يبرّد عنه بعض العطش، و هذا الأخير بعيد، لأنّ الشيخ كرّر هذه اللّفظة عند قوله: أو إلى عطفة ترويه من الريّ، لأنّ العطفة أولى بالريّ الذي هو ضدّ العطش من الشّاهد الاعتباري.

قوله: أو إشارة تشفيه، الإشارة قد تحصل للمريد من الشيخ حين يشير الشيخ إلى المريد بمعنى من معاني سلوكه يكون فيه شفاء من بعض علله، فتلك الإشارة تروي عطشه فتشفيه من علة الوجد.

قوله: أو إلى عطفة ترويه، العطفة من جانب الحقّ تعالى على المريد، و معاني عطف الحقّ لا تتناهى، و كلّها توجب الريّ للقلب العطشان.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۴۱۹

فهذه الأحكام الثلاثة من أحكام العطش تختصّ بالدّرجة الأولى.

[الدّرجة الثانية عطش السّالك إلى أجل يطويه، و يوم يرى فيه ما يغنيه، و منزل يستريح فيه.]

الدّرجة الثانية:

عطش السّالك إلى أجل يطويه، و يوم يرى فيه ما يغنيه، و منزل يستريح فيه.

قوله: إلى أجل يطويه، يعني بالأجل مدّة معلومة، و ذلك لأنّ السّالك عطشان إلى انقضاء مدّة السّلوك و انطوائه حتّى يستريح من السّلوك، لأنّه لا يستريح من السّلوك حتّى يحصل على المقصود.

و قوله: يطويه، معناه يقضيه، و ليس المراد بالأجل انقضاء العمر، فإنّ السّالك لا يريد أن ينقضي أجله سريعا حتّى يقضي طريقه، و يحقّق في هذه الدّار فريقه، اللّهم إلاّ أن يكون من أهل القلق في الدّرجة الثالثة، فإنّه لو ملك حسّه لاشتهى الموت طلبا للقاء ربّه عزّ و جلّ، و ذلك معلوم من حاله.

قوله: و يوم يرى فيه ما يغنيه، يعني و هو عطشان إلى رؤية يوم يرى فيه ما يغنيه عن السّلوك، إشارة إلى طلب الوصلة، و انقضاء المهلة.

قوله: و منزل يستريح فيه، أي يعطش السّالك أيضا إلى طلب منزل من المقامات العالية يستريح فيه من تلوين الأحوال، فإنّ المقامات منازل، و الأحوال مراحل.

[الدّرجة الثالثة عطش المحبّ إلى جلوة ما دونها سحاب علّة، و لا يغطّيها حجاب تفرقة، و لا يعرج دونها على انتظار.]

الدّرجة الثالثة:

عطش المحبّ إلى جلوة ما دونها سحاب علّة، و لا يغطّيها حجاب تفرقة، و لا يعرج دونها على انتظار.

عطش المحبّ فوق عطش المريد،/ و فوق عطش السّالك، و لذلك جعله في الدّرجة الثالثة على عادته في كونه يجعل الدّرجة الأولى للبدايات، و الثانية للمتوسّطين، و الثالثة للنهايات.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ٢، ص ٤٢٠

قوله: إلى جلوة، يعني بالجلوة استجلاء محاسن المحبوب بتجلّ من تجلّياته على مقدار المحبّ.

قوله: ما دونها سحاب، شبّهها بالقمر، فإنّه بغير سحاب يحسن استجلاؤه. و قد ورد في الحديث نسبة رؤية الله تعالى بروية البدر، لا تضارّون في رؤيته. و ورد: ليس دونه سحاب، فالإشارة إلى مثل ذلك قوله: سحاب علّة، إشارة إلى استجلائه بلا عائق، و الكناية في العلّة عن بقايا في العبد المحبّ تعوقه عن كمال الاستجلاء، فإنّ شرط كمال الجلاء هو كمال شرط الاستجلاء.

قوله: و لا يغطّيها حجاب، يعني الجلوة لا يغطّيها حجاب، و الحجب في اصطلاح هذه الطّائفة هي النّفس و أحكامها، فإنّ الحقّ تعالى حجابه من ذاته هو النّور، و حجابه من ذات عبيده هي الظّلمة، و قد ورد أنّ لله تعالى سبعين ألف حجاب من نور و ظلمة، لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه، فالحجب التي يكرهها المحبّ الذي عطشه إلى جلوة ما دونها حجاب، هي حجب الظّلمة المذكورة، و ليست حجب الأنوار المذكورة، لأنّ الأنوار كاشفة للعبد، و إنّما حجب الأنوار هي تختصّ بأهل الحضرة، و ذلك هو ما ورد عن

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ٢، ص ٤٢١

الرّسول صلى الله عليه و سلم أنّه: «ليغان على قلبي فأستغفر الله في اليوم و اللّيلة سبعين مرّة»، ذلك الغين هو غين الأنوار المذكورة لا غين الأغيار المكنّى عنها بالظّلمة، فإنّها حجب التفرقة، فلذلك قال الشيخ: لا يغطّيها حجاب تفرقة.

قوله: و لا يعرّج دونها على انتظار، يعني لا يعرّج لتلك الجلوة إلى عطش المحبّ إلى انتظار أمر آخر غيرها، يعني أنّ تلك الجلوة المطلوبة هي جلوة تامّة و مشهد عامّ، لا يبقى معه عطش إلى حضرة أخرى، و ذلك هو شأن الشّهود الكلّي من الحضرة الجامعة،/ و التّعريج هو الميل يمينا أو يسارا في السير، و الانتظار معلوم، و المراد أن يحصل مشهد تامّ لا يبقى بعده ما ينتظره المحبّ.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ٢، ص ٤٢٣

[باب الوجد]

باب الوجد قال الله تعالى: وَ رَبَطْنا عَلى‏ قُلُوبِهِمْ.

الوجد لهيب يتأجّج من شهود عارض مقلق.

اللّهيب معلوم، و التأجج هو اللّهيب نفسه.

قوله: من شهود، يعني من مكاشفة.

قوله: عارض، يعني متجدّد.

قوله: مقلق، قد عرفت القلق في بابه، فطالعه من هناك.

[درجات الوجد]

و هو على ثلاث درجات:

[الدّرجة الأولى وجد عارض يستفيق له شاهد السّمع، أو شاهد البصر، أو شاهد الفكر]

الدّرجة الأولى:

وجد عارض يستفيق له شاهد السّمع، أو شاهد البصر، أو شاهد الفكر، أبقى على صاحبه أثرا أو لم يبق.

قوله: وجد عارض، أي متجدّد.

قوله: يستفيق له شاهد السّمع، أي يتنبّه لأجل ورود السّمع، و ذلك بأن يكون التنزّل يختصّ بالخطاب السمعيّ، و هو عند المحقّقين خطاب من النّفس، لأنّ الأصوات و الحروف لا تليق بجناب العزّة.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد۲، ص ۴۲۴

قوله: أو شاهد البصر، و ذلك أيضا بأن يرى معاني الحسن المطلق في الحسن المقيّد، فيعتبر البصر بما يراه من المحسوسات، فيشهد فيها شيئا من محاسن ظاهر النّور، فيتنبّه لاستجلاء أمثاله، كما تنبّه سمع الأوّل بجهة الخطاب الوهميّ المذكور.

و هنا دقيقة يعرفها أهل تجارب الخلوات، و هو أن يصفو الفكر فيتمعنى بعض المعاني الغيبيّة الغريبة، فيستغربها العقل لكونه ما ألف مثلها، فتصرفه العادة إلى تلقّيها من جهة الخارج، لأنّ الأمر المستغرب جرت العادة أن يسمعه الإنسان من غيره، و لم يعتد أن يجده من نفسه، و لأجل لطف إدراكه يصير المتخيّل في الظّهور بمنزلة الصّوت المسموع، و لا بدّ في إدراك هذا من غفلة و استغراق، لأنّ التباس شيء بشيء آخر لا يحصل لمن وعيه كامل، بل لمن هو في حكم غفلة، و أمّا شاهد الحسّ البصريّ فهو أقرب إلى تحقيق إدراك الحسّ، إلاّ أنّ متعلّقه بالصّور غرّارة مكّارة سحّارة فتّانة، و هي جزئيّات، و المكاشفات في الغالب لا تكون إلاّ في الكلّيات، إذ نهاية/الكشف التّوحيد الرّافع للكثرة، و ستجد ذلك إن شاء الله تعالى.

قوله: أو شاهد الفكر، يعني أنّ شاهد الفكر يستفيق من ذلك الوجد العارض، و يتنبّه، و تنبّهه هو أن يفتح له باب من اعتبار المعاني و كيفيّة صدور الأشياء عن البارئ تعالى كيفيّة تدبير الحقّ تعالى لموجوداته، و ذلك لا يكون إلاّ بنور إلهيّ يرشده إلى طريق الاعتبارات، و يعرّفه كيف يتناولها.

قوله: أبقى على صاحبه أثرا، أو لم يبق، يعني أنّ ذلك الوجد العارض لا يختلف حاله بإبقائه أثرا على المحبّ، أو بعدم إبقائه.

و أقول: إنّ الوجد الشّديد لا بدّ أنّ يبقي أثرا ظاهرا، و الوجد الضّعيف، لا بدّ أن يبقي أثرا خفيّا، و كلاهما يبقي الأثر، لكن يخفى

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد۲، ص ۴۲۵

الضّعيف، و يظهر القويّ، و الشيخ رحمه الله أشار بقوله: لم يبق إلى الأثر الذي يخفى، لأنّ الخفيّ وجوده قريب من عدمه.

[الدّرجة الثانية وجد تستفيق له الرّوح بلمع نور أزليّ، أو سماع نداء أوليّ]

الدّرجة الثانية:

وجد تستفيق له الرّوح بلمع نور أزليّ، أو سماع نداء أوليّ، أو جذب حقيقيّ، إن أبقى على صاحبه لباسه، و إلاّ أبقى عليه نوره.

هذا الوجد أعلى مقاما من الوجد المذكور في الدّرجة الأولى، و ذلك أنّ محلّ اليقظة من ذلك الوجد الأوّل هو الحواسّ و الفكر، و هي أمور تتعلّق بعالم الخلق و الصّور، أمّا الحواسّ فمحلّها صور الأجسام، و الخيال تابع، لأنّه عبارة عن تمثيلات تلك الصّور بعد غيبتها عن الحسّ، و أمّا الفكر فهو تصرّف في كلّيات أخذت من تلك الصّور، فلا يخرج الفكر عن الحسّ، لأنّه مادّته، و ذلك كلّه عالم الخلق، و منتهى ترقّيه إلى أوّل صورة، و هي القلم الأعلى، و أمّا هذا الوجد، فإنّ محلّ تصرّفه عالم الأمر، و هو قسيم عالم الخلق، في قوله تعالى: **أَلاٰ لَهُ الْخَلْقُ وَ الْأَمْرُ**. و لمّا كانت الرّوح من عالم الأمر نسب إليها هذه الاستقامة، فلذلك قال الشيخ: تستفيق له الرّوح. و دليل كون الرّوح من عالم الأمر قوله تعالى: **يَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ، قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي**.

قوله: بلمع نور أزليّ، يعني بشهود لمع نور أزليّ، أي منسوب إلى الأزل، و ذلك لا يكون إلاّ بالرّوح، و لا يشهد بالعقل و الفكر أصلا لما قدّمنا من اختصاص الفكر و العقل بالصّور،/و بما رجوعه إلى الصّور، و هذا اللّمع الأزليّ ليس رجوعه إلاّ إلى المصوّر تعالى، و القوّة المشاهدة لهذا النّور هي متنوّرة بنور الأزل تعالى من مضمون قوله:

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد۲، ص ۴۲۶

«كنت سمعه الذي يسمع به، و بصره الذي يبصر به»، و إذا صحّ هذا في السّمع و البصر، فصحّته في الرّوح و في قوّتها أولى.

و هذا النّور الأزليّ إنّما يشهده العبد بنور أزليّ أيضا موهوب للعبد من جانب الربّ، فلا يشهد الأزل إلاّ الأزل، و من هنا غلط من قال: أنا من أهل الشّطح، لأنّه ظنّ أنّ النّور الموهوب له هو منه، و لم يعلم أنّ أنانيته عدميّة، و شهود لمع النّور الأزليّ ليس ممّا يحكى فتشرح كيفيّته.

قوله: أو سماع نداء أوّليّ، يعني تستفيق الرّوح بسماع نداء أوّليّ، يعني بالنّداء تعرّف الحقّ تعالى إلى قلب عبده، و استجذابه إيّاه بواسطة خطاب خال من تجلّ، لا حرف فيه و لا صوت، و إشارته إلى أنّه أوّليّ، أنّه من الاسم الأوّل، و معناه ما يبدو للقلب من معاني الأوّليّة قبل أن تبدو الباديات، و تحدو الحاديات.

قوله: أو جذب حقيقيّ، يعني كشفا جليّا، خصوصا إن كان عن تجلّ ذاتيّ، و إنّما عيّن الحقيقيّ لأنّ بعض التعرّفات تكون من أطوار نازلة.

قوله: إن أبقى على صاحبه لباسه، يعني بلباسه تحقّق مقامه، فإنّ المراد باللّباس هنا ليس هو لباس الثّياب، بل لباس الصّورة اللاّزمة، فإنّ صورة الإنسان هي ثوبه الذي هو لبسه الحقيقيّ، و حصول هذا المعنى للعبد هو بانتفاء رسومه في شهوده، فيقوم النّور عنه بأوصافه، و ذلك معنى يحتاج إلى بسط، و لا يفهم مع وجود البسط إلاّ مع وجود مشاركة في وجود، و علامة لباس هذا المقام، هو أن يجيب عنه متى سئل عن غير فكر.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۴۲۷

قوله: و إلاّ أبقى عليه نوره، أراد بنوره بركته، و ربّما أبقى عليه سكونا يستحسنه النّاظر إليه، فذلك السّكون هو من جملة النّور و البركة و ما كان من مثيله.

[الدّرجة الثالثة وجد يخطف العبد من يد الكونين، و يمحّض معناه من دون الحظّ]

الدّرجة الثالثة:

وجد يخطف العبد من يد الكونين، و يمحّض معناه من دون الحظّ، و يسلبه من رقّ الماء و الطّين، إن سلبه أنساه اسمه، و إن لم يسلبه أعاره رسمه.

قوله: يخطف العبد من يد الكونين، أي يفنيه عن شهود الدّنيا و الآخرة، فهما الكونان.

قوله: و يمحّض معناه من دون الحظّ، المحض هو الخالص، كأنّه قال: و يخلّص معناه، و معناه هي عبوديّته من دون الحظّ، يعني حظّ النفس، و تحقيق العبوديّة لا تكون إلاّ بفقد النّفس، و متى فقدت النّفس فقدت حظوظها، فإذا تحقّق العبوديّة لا يكون معها حظّ، فذلك قوله: يمحّض المعنى دون حظّ.

قوله: و يسلبه من رقّ الماء و الطّين، معناه يمحو صور خلقيّته في حقيقة صوره، و عبّر بالماء و الطّين عن تصوير الخلقيّة، لأنّ التّصوير المعلوم عند العالم إنّما هو من الماء و الطّين، لأنّهم إنّما يعرفون تصوير الأجسام، و أشار إلى العتق بقوله: يسلبه من رقّ الماء و الطّين، و ذلك بأن يجعله عبدا للحقيقة المكلّفة، فيكون بذلك حرًّا من رقّ ما سواها، و هنا دقيقة، و هي أنّ العبوديّة هل تصير في الحريّة إلى غاية شريفة، يقول العبد فيها للشيء كن فيكون، أم لا؟ فالحقّ أنّ ذلك واجب في حقّ أهله، لأنّ الحقّ تعالى جعلهم خلفاءه، و الخليفة يفعل ما يفعله المستخلف، لكن بإذن ربّه عزّ و جلّ، و مثل ذلك في الجنّة، فإنّ أهل

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۴۲۸

الجنّة يقولون للشيء كن فيكون، فأهل الحضرة في هذه الدّار ينالون ما يناله أهل الجنّة في تلك الدّار، و أمّا كيف ذلك، فإنّه سرّ من أسرار الله عزّ و جلّ.

قوله: إن سلبه أنساه اسمه، هذا هو عين السرّ الذي أشرنا إلى كتمانه، و قد ورد: يا عبد لا تتسمّ حتى أعطيك اسما من عندي، ولي في هذا

المعنى نظم و هو:

أرى رسمها عندي يعوّض عن رسمي فما بالهم في الحيّ يدعونني باسمي
و هل بعد ضوء الشّمس يبدو لك الدّجى و هل عندها يبقى على الأفق من نجم
إذا ما دعا الدّاعي بعلوة فاستجب و لكن إذا أفنتك عنك بلا علم
و لا تبق إن أبقتك إلاّ بها لها فأنت إذا حقّقت من عالم الوهم
فلو صرفتك الصّرف علّ لدنها رأيت شعاعا عن سوى حسنها يعمي
/ و عادت معاني الحرف للوصف و انمحت حظوظ صفات الصّحو في سكرة الفهم

فهذه صفات من سلبه فأنساه اسمه.

قوله: و إن لم يسلبه أعاره رسمه، يعني أنّ من سلبه في ذلك التجلّي، فرسمه عارية عنده متى عاد إليه التجلّي دفعة أخرى أخذ ذلك الرّسم، فإنّ العارية مردودة، و إن مات و رسمه معار له، و كان ممّن انمحى بعض رسمه انمحى بقيّته بعد الموت، و بقي بعد الترقّي مطلقا بلا قيد، و من مات و لم ينثلم من رسمه شيء، فهو في العذاب بقدر ما لم يخلص، و على قدر ما مات عليه يبعث يوم القيامة.

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد۲، ص ۴۲۹

[باب الدّهش]

باب الدّهش قال الله تعالى: فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ.

الدّهش بهتة تأخذ العبد إذا فاجأه ما يغلب على عقله أو صبره أو علمه.

موضع الشّاهد على الدّهش من الآية قوله تعالى: أَكْبَرْنَهُ، أي أعظمنه، و كان ذلك التّعظيم سبب البهتة التي حصلت لهنّ من رؤية يوسف عليه السّلام، و ذلك هو الدّهش.

قوله: الدّهش بهتة تأخذ العبد، البهتة معلومة، و هو اشتغال الحسّ بما دهم الخيال أو الفكر، و سكونه لانصراف النّفس عن استعماله إلى استعمال الخيال أو الفكر.

قوله: إذا فاجأه، أي إذا أتاه بغتة.

قوله: ما يغلب عقله هو الشّهود، و الذي يغلب صبره هو فرط المحبّة، و الذي يغلب علمه هو إدراك المعرفة، فإنّ المعرفة فوق

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد۲، ص ۴۳۰

العلم، و قد ورد في بعض التنزّلات: يا عبد، تعرّفي الذي أبديته لا يحمل تعرّفي الذي لم أبده، و تعرّفه الذي أبداه هو العلم، و تعرّفه الذي لم يبده هو المعرفة.

[درجات الدهش]

و هو على ثلاث درجات:

[الدّرجة الأولى دهشة المريد عند صولة الحال على علمه، و الوجد على طاقته، و الكشف على همّته.]

الدّرجة الأولى:

دهشة المريد عند صولة الحال على علمه، و الوجد على طاقته، و الكشف على همّته.

صولة الحال على علمه، مثل أن ينهاه العلم عن طلب/ الرّؤية، و يأمره حال الوجد و القلق على طلبها، فيغلب الحال، فيطلب الرّؤية و يضعف جاذب العلم عن ردّه عن ذلك، لأنّ العلم يطلب بالأدب، و الحال يحمل على التهجّم، و لذلك يقع الشّطح لأرباب الأحوال، و ينكر عليهم

علماء الرّسوم، و يوافقهم على الإنكار علماء الحقيقة، كما وافق الجنيد رحمه الله في أمر أبي المنصور الحسين.

قوله: و الوجد على طاقته، الوجد قد عرفت معناه في بابه، و معنى طاقته هنا صبره عن محبوبه، فإذا غلب عليه الوجد كما تقدّم صرخ إلى محبوبه، و لا يزال في الصّراخ حتّى يرد عليه النّصر من عند محبوبه الحقّ عزّ و جلّ، فإن لم يأته النّصر و دام في الصّراخ كان دوامه في الصّراخ هو نصر الحقّ تعالى له، حيث حفظ عليه الاستصراخ به، و لم يردّه إلى الصّبر، فإنّ الصّبر من شأن أهل السلوّ، و السلوّ من شأن أهل الجفاء، و الجفاء من شأن المطرودين.

قوله: و الكشف على همّته، الكشف هو الشّهود، و كونه يغلب الهمّة، هو كونه يبطل حكمها، لأنّ الهمّة كما تقدّم شرحه، هي

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۴۳۱

تقبض الطّلب من غير فتور، و الكشف يثبت الفتور من غير طلب، و ذلك لأنّ الطّالب غائب عن المطلوب، فهمّته متعلّقة بتحصيله، و المكاشف حاضر مع المطلوب، فلا تبقى له همّة، و قد ذكر القشيريّ في بعض كتبه: أنّه إذا برقت بارقة من التّحقيق لم يبق حال و لا همّة، فالكشف بهذا التفسير يغلب الهمّة، و من مضمون ما ذكرناه يظهر الدّهش في الدّرجة الأولى.

[**الدّرجة الثانية دهشة السّالك عند صولة الجمع على رسمه، و السّبق على وقته، و المشاهدة على روحه.**]

الدّرجة الثانية:

دهشة السّالك عند صولة الجمع على رسمه، و السّبق على وقته، و المشاهدة على روحه.

قوله: دهشة السّالك، يريد بالسّالك صاحب التجليّات الجزئيّة، و هو من العارفين أهل المكاشفة الجزئيّة.

قوله: عند صولة الجمع على رسمه، الجمع هو حضرة الفردانيّة، و سمّيت حضرة الجمع لأنّها/ تجمع المتفرّقات في العين الواحدة، و رسمه صورة الخلقيّة، و سمّاها رسوما لأنّ الصّور هي تخاطيط، إمّا جسمانيّة و إمّا مثاليّة، و إمّا فكريّة، و التّخاطيط كلّها رسوم، و شهود الجمع يستولي على فناء تلك الرّسوم فيه، فإذا للجمع صولة على رسم السّالك، يغشاه عنده بهتة هي الدّهش الخاصّ بالرتبة الثانية، أو الدّرجة الثانية.

قوله: و السّبق على وقته، السّبق هو شهود الأزل، و هو سابق على وقت السّالك، و معنى شهود الأزل، هو رؤية فناء الحادث، و بقاء القديم

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۴۳۲

جلّت قدرته، فيرى السّبق الإلهيّ على مخلوقاته، فكأنّه قال: و غلبة شهود السّبق على شهود وقته، أي شغله شهود القديم عن شهود الحادثات.

قوله: و المشاهدة على روحه، المشاهدة تعلّق إدراك العبد من حيث حقيقة القيّوميّة بمشهوده الحقّ، و ذلك هو رؤية الحقّ بالحقّ، كما ورد في الحديث من قوله تعالى: فبي يسمع، و ذلك يختصّ بالرّوح، أعني المشاهدة، كما أنّ العلم يختصّ بالعقل.

و عندنا أنّ العقل هو صفة الرّوح، و هو صفة العقل، و الشّهود يقع بالذّات لا بالوصف، فإنّ الوصف لا يقوم بنفسه، فلا يدرك إلاّ مثله ممّا لا يقوم بنفسه، و هي الصّفات، و أمّا الرّوح لمّا كانت هي الذّات على الحقيقة كان إدراكها يتعلّق بالذّاتيات، و هنا مناسبة خفيّة لقوله:

من عرف نفسه عرف ربّه.

[**الدّرجة الثالثة دهشة المحبّ عند صولة الاتّصال على لطف العطيّة**]

الدّرجة الثالثة:

دهشة المحبّ عند صولة الاتّصال على لطف العطيّة، و صولة نور القرب على نور العطف، و صولة شوق العيان على شوق الخبر.

صولة الاتّصال على لطف العطيّة، العطيّة هنا هي نور المحبوب الواصل إلى المحبّ، فإذا قوي ذلك النّور و زخر تيّاره في الاتّصال سطا آخر

النّور بتموّج بحره على جدول العطيّة السابقة منه فطما الجدول الموهوب بترادف مدّه،/ فغرق المحبّ في ثبجه، فقبل غرقه يبهت بهتة فهي الدّهش، و ذلك الدّهش هو من صولة الاتّصال على لطف

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۴۳۳

العطيّة السّابقة، فكأنّه قال: بهتة المحبّ من كثرة تتابع العطايا، و هي أنوار متّصل بعضها ببعض، يمحو ظلم رسوم المحبّ.

قوله: و صولة القرب على نور العطف، القرب هو نور التجلّي المذكور، و العطف هو النّور الأوّل الذي هو العطيّة، فهو رضي الله عنه كرّر المعنى بألفاظ مختلفة زيادة في البيان.

قوله: وصولة شوق العيان على شوق الخبر، يعني أنّه كان في حال الحجاب متوجّها إلى الله تعالى بالإيمان و التّقليد المتفرّعين عن الخبر النبويّ، فغلب ذلك الشّوق شوق آخر هو أقوى منه، و هو شوق العيان، فحصل بهذا الشّوق الثاني بهتة هي دهش المحبّ من شوق العيان عن شوق الخبر.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۴۳۵

[باب الهيمان]

باب الهيمان قال الله عزّ و جلّ: وَ خَرَّ مُوسىٰ صَعِقاً.

الهيمان الذهاب عن التّماسك تعجّبا أو حيرة، و هو أثبت دواما، و أملك بالنّعت من الدّهش.

الشيخ استشهد بصعقة موسى عليه السّلام على الهيمان، و أكثر هذه الطّائفة يستشهدون بذلك على الفناء، و يرون أنّ اندكاك الجبل هو اضمحلال رسم الكثائف في لطف التجلّي، و جميع مقاصدهم في هذه الآيات ليس على معنى التّفسير، بل على معنى الإشارات و الاعتبار، و ليسوا جهّالا بالتّفسير، و لكنّهم يرون ما يسع كتاب الله تعالى من المعاني، فلا يرون لها آخرا، و يجدون فيها كلّ ما يطلبون، فيأخذون منه ما يحتاجون إلى التبرّك به في إشاراتهم من حيث أنّ تلك الإشارة لا تنافيه، و إن لم يكن ظاهره يقبلها بسهولة الفهم، فهم رضي الله عنهم للطف إدراكهم لا يتوقّف عليهم ردّ كلّ شيء إليه، فيستدلّون به و يستشهدون.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۴۳۶

قوله: الهيمان، الذّهاب عن التّماسك، يعني به عدم التّماسك، و هو أن لا/ يقدر على إمساك نفسه عن الانهراق في التعجّب أو في الحيرة.

قوله: تعجّبا أو حيرة، يعني أنّه ينهرق في التعجّب، و لا يملك نفسه، أو ينهرق في الحيرة، فلا يملك نفسه.

قوله: و هو أثبت دواما، يعني هو أدوم من الدّهش، لأنّ الهائم قد يستمرّ هيمانه مدّة طويلة، و الدّهش ليس كذلك.

قوله: و أملك بالنّعت من الدّهش، يعني أنّ الذي ينعت الهيمان يجد المجال فيه واسعا، فيملك فيه عنان القول، فيصرفه كيف شاء، لأنّ الهيمان مقام واسع، و أمّا الدّهش فإنّ زمانه أقلّ و معناه أضيق، فلا جرم كانت النّعوت فيه أقلّ، يكاد الواصف له أن يتمكّن من نعوت كثيرة يصفه بها.

[درجات الهيمان]

و هو على ثلاث درجات:

[الدّرجة الأولى هيمان في شيم أوائل برق اللّطف عند قصد الطّريق مع ملاحظة العبد خسّة قدره]

الدّرجة الأولى:

هيمان في شيم أوائل برق اللّطف عند قصد الطّريق مع ملاحظة العبد خسّة قدره، و سفال منزلته، و تفاهة قيمته.

قوله: شيم أوائل برق اللّطف، أي النّظر إلى أوائل برق اللّطف.

قوله: عند قصد الطّريق، يعني عند قصد السّلوك.

قوله: مع ملاحظة العبد خسّة قدره، يعني أنّ العبد يستصغر نفسه أن يكون أهلا لما لاطفه الحقّ تعالى به، فيكون ذلك أقوى الأسباب في هيمانه، لأنّ بعض كتّاب الفروع إذا أعطي الوزارة طاش عقله بالفرح، و ربّما طار في غير مطاره من الطّرب.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۴۳۷

قوله: و سفال منزلته، أي و انحطاط منزلته في القدر، و السفال و الأسفل واحد أو متقارب.

قوله: و تفاهة قيمته، أي خسّة قيمته، فإنّ التّافه من كلّ شيء هو القليل جدّا. و هذه الحالة تعرض كثيرا للمريدين، و قد وجدتها بالقاهرة سنة ثلاث و أربعين و ستّ مائة، ولي في ذلك نظم من قصيد و هو:

أشتاقهم فإذا لاحظت عزّة من أشتاق أطرقت إطراقا و إن ذكرت حقاراتي و مجدهم خجلت في الحبّ أن أبكي و أشتاقا/ عزّوا فما السعي بالموصوف عندهم هل نال نجحا بهم أو نال إخفاقا سوى أمانيّ إن تصدق ففضلهم أعطى، و إلاّ فنقصي دونها عاقا

[**الدّرجة الثانية هيمان تلاطم أمواج التّحقيق عند ظهور براهينه، و تواصل عجائبه، و لوامح أنواره**.]

الدّرجة الثانية:

هيمان تلاطم أمواج التّحقيق عند ظهور براهينه، و تواصل عجائبه، و لوامح أنواره.

التّحقيق المشار إليه هنا ليس التّحقيق الحقيقيّ، لأنّ ذلك هو بعد الفرق في بحر الأزل، و إنّما أراد بالتّحقيق هنا تحقيق العلم، و ذلك أنّ العلم ذو وجوه، و الوجوه ذوات جهات، و الجهات ذوات اختلافات، و الاختلافات ذوات اعتبارات، و الاعتبارات ذوات مسالك، و في هذه الأمور ضاع الجمهور، فإذا لاحت للسّالك بل للمريد أنوار تحقيق العلم، و هو أن يهتدي فيها إلى وجه الحكم عن بصيرة مستحدة و يقظة مستجدّة تلاطمت عليه أمواج تحقيقه للعلم عند ظهور براهينها له، و ذلك إنّ أكثر العلماء لا يعلمون حكم علم الشّريعة، و إنّما يعلم ذلك العاملون بالشّريعة على حكم التّقليد المحض. فينوّر الله بصائرهم،

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۴۳۸

و يرشدهم إلى مقاصد الشّريعة، و يجدون أكثر ذلك بالتّجربة و غيرها من ثمرات الأعمال.

قوله: و تواصل عجائبه، يعني، أنّ ثمرات العمل التي فيها يتحقّق العلم إذا تواصلت حكمت بالهيمان، و إنّما سمّاها عجائب لكونها تبدي لهم ما لم يكونوا يحتسبون.

قوله: و لوامح أنواره، يعني، أنّ لتحقّق العلم أنوارا لامعة تلمح فتوجب الهيمان في الدّرجة الثانية، و لوامع الأنوار هو المعروف، و أمّا اللّوائح فهي جمع لائحة.

[**الدّرجة الثالثة هيمان عند الوقوع في عين القدم، و معاينة سلطان الأزل، و الغرق في بحر الكشف**.]

الدّرجة الثالثة:

هيمان عند الوقوع في عين القدم، و معاينة سلطان الأزل، و الغرق في بحر الكشف.

الوقوع في عين القدم، هو فناء رسم العبد في بقاء الظّاهر، و صاحب هذا الفناء تبدو منه غيبة عن حسّه، و حركات على غير النّظم، أو سكون على غير العادة، و تعرض له غفلة عن أحوال النّاس،/ فالشيخ رضي الله عنه قد سمّى ذلك هيمانا، و لا مشاحة في الاصطلاح.

قوله: و معاينة سلطان الأزل، هو أيضا ذلك المعنى، و كذلك الغرق في بحر الكشف.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۴۳۹

[**باب البرق**]

باب البرق قال الله عزّ و جلّ: إِذْ رَأىٰ نٰاراً.

البرق باكورة تلمع للعبد فتدعوه إلى الدّخول في هذه الطّريق، و الفرق بينه و بين الوجد أنّ الوجد يقع بعد الدخول فيه، و البرق قبله، و الوجد زاد، و البرق إذن.

شبّه الشيخ رحمه الله البرق المشار إليه بالنّار التي بدت لموسى عليه السّلام، فلذلك استشهد بالآية، و وجه الشبه أنّ النّار كانت مبدأ في طريق نبوّته عليه السّلام، كما أنّ البرق مبدأ في ولاية أهل الولاية.

قوله: البرق باكورة، الباكورة من الثّمار ما سبق نوعه في النضج، فشبّه بها ما سبق من أحوال الطّالب.

قوله: يلمع للعبد فيدعوه إلى الدّخول في هذا الطّريق، يعني يدعو المريد إلى الدّخول في سلوك المتوسّطين، و لم يرد بهذا الطّريق بداية الأمر بالكلّية، فإنّ الذي يبدو في حال الابتداء بالكلّية هو اليقظة التي قبل التّوبة، و قد مضى ذكرها، فقد بيّن لك أنّ المراد هو برق

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد۲، ص ۴۴۰

الأحوال لا برق الأعمال، و لذلك نسبه إلى الوجد، و فرق بين الوجد و بينه، و الوجد إنّما يكون للمتوسّطين، فالطّريق المذكور هنا إذا إنّما هو طريق المتوسّطين.

قوله: و الفرق بينه و بين الوجد إلى آخر الفصل، هو نور يقذفه الله تعالى في قلب العبد فيدعوه إلى الطّلب، و الوجد شدّة ذلك الطّلب و ظهور حكمه، و الوجد زاد، يعني أنّ الوجد يصحب السّالك كما يصحبه زاده، و أمّا البرق فهو إذن في السّلوك، و الإذن لا يصحب السّالك، بل يفسح له في المسير لا غير، و هذه استعارات و إشارات.

[درجات البرق]

و هو على ثلاث درجات:

[الدّرجة الأولى برق يلمع من جانب العدة في عين الرّجاء]

الدّرجة الأولى:

برق يلمع من جانب العدة في عين الرّجاء فيستكثر فيه العبد القليل من العطاء، و يستقلّ فيه الكثير من الإعياء، و يستحلي فيه مرارة القضاء.

قوله: برق يلمع من جانب العدة، يعني بالعدة ما وعد الله تعالى أولياءه به من القرب منه و الزلفى لديه.

قوله: في عين الرّجاء، يعني حقيقة الرّجاء، فإنّ عين الشيء هي حقيقته و ذاته.

قوله: فيستكثر العبد القليل من العطاء، يعني، أنّ العبد يكون قبل البرق ليس من أهل العطاء، بل من أهل المنع، فإذا لاح له البرق استكثر القليل من العطاء الإلهيّ، لكونه ما ألف العطاء فهو غريب منه.

قوله: و يستقلّ فيه الكثير من الإعياء، الإعياء هو التّعب، تقول:

مشيت حتّى أضرّ بي الإعياء، و مشيت حتّى أعييت إعياء شديدا، فكأنّه قال: العبد إذا لاح له البرق المذكور يستقل التّعب في الطّلب.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد۲، ص ۴۴۱

قوله: و يستحلي فيه مرارة القضاء، القضاء هو ما يقضي به الله على عبده، و المراد به هنا البلاء الذي يخبر به الحقّ عبده ليبلونا أيّنا أحسن عملا، و هو أعلم بنا قبل الاختبار.

[الدّرجة الثانية برق يلمع من جانب الوعيد في عين الحذر]

الدّرجة الثانية:

برق يلمع من جانب الوعيد في عين الحذر، فيستقصر فيه العبد الطّويل من الأمل، و يزهد في الخلق على القرب، و يرغب في تطهير السرّ.

قوله: يلمع من جانب الوعيد، هو ضدّ الوعد من جهة أنّ الوعد يكون بالخير، و الوعيد بالشرّ.

قوله: في عين الحذر، يعني، في حقيقة الخوف و الحذر.

قوله: فيستقصر فيه العبد الطّول، أي يخيّل إلى العبد في كلّ وقت أنّ المنيّة قد قربت، و أنّ العذاب الذي هدّد الله تعالى العصاة به قد حضر، لكون العبد يستقصر مدّة البقاء لشدّة الخوف و الحذر، فيكون الأمل قوله: و يزهد في الخلق على القرب، أي يزهد في معاشرة الخلق، و إن كانوا أقاربه أو مناسبه، أو قريبين منه في المناسبة أو في المجاورة، أو يكون معنى قوله: على القرب، أي زهد في الخلق في أقرب وقت إذا لاح له البرق المذكور.

قوله: و يرغب في تطهير السرّ، يعني تطهير السرّ من الاشتغال عن الله تعالى بخلقه.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۴۴۲

[الدّرجة الثالثة برق يلمع من جانب اللّطف في عين الاقتدار]

الدّرجة الثالثة:

برق يلمع من جانب اللّطف في عين الاقتدار، فينشئ سحاب السّرور، و يمطر قطر الطّرب، و يجري نهر الافتخار.

اللّطف يعني به ملاطفة الحقّ تعالى لعبده في التعرّف إليه، و رفع الحجاب عنه أوّلا.

قوله: في عين الافتقار، يعني أنّ ذلك التعرّف يظهر للعبد في حقيقة الافتقار، و ذلك لأنّ ظهور الافتقار هو باب السّلوك إلى الحقيقة، لأنّ باب الحقيقة هو أوّل درجات الفناء، و الافتقار هو مناسب للفناء فظهور البرق من جانب اللّطف هو في حقيقة الافتقار.

قوله: فينشئ سحاب السّرور، يعني السّرور بمشاهدة أنوار اللّطف.

قوله: و يمطر قطر الطّرب، أي يطرب العبد ممّا يرى من لطف الحقّ تعالى به.

قوله: و يجري نهر الافتخار، أي يظهر له من لطف الله تعالى به ما يميّزه عن أبناء جنسه فيستحقّ الافتخار، و إن لم يظهر لاشتغاله بالعبوديّة.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۴۴۳

[باب الذّوق]

باب الذّوق قال الله تعالى: هٰذٰا ذِكْرٌ.

الذّوق أبقى من الوجد و أحلى من البرق.

قوله: أبقى من الوجد، يعني دوام الوجد.

قوله: و أحلى من البرق، يعني انقطاع حكم البرق، و قد تقدّم تفسير الوجد و البرق.

[درجات الذوق]

و هو على ثلاث درجات:

[الدّرجة الأولى ذوق التّصديق طعم العدة]

الدّرجة الأولى:

ذوق التّصديق طعم العدة، فلا يعقله ظنّ، و لا يقطعه أمل، و لا يعوقه أمنيّة.

قوله: ذوق التّصديق طعم العدة، أي، يذوق العبد المصدّق طعم العدة، و هو وعد الله تعالى لعبده، فإذا إذا ذاق المصدّق طعم صدق الوعد اشتدّ طلبه و استقام.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۴۴۴

قوله: فلا يعقله ظنّ، و لا يقطعه أمل، يعقله أي يحبسه، نقول:

عقلت فلانا أي عوّقته، و المقصود إنّه لا يعوقه ظنّ، الظنّ هو الوقوف على الحزم بصحّة الأمر، بحيث لا يترجّح عنده الصّدق من ضدّه، فكأنّه يقول: الذّائق بالتّصديق طعم الوجد الجميل لا يعارضه/ ظنّ يعقله عن الطّلب، و كذلك قوله: و لا يقطعه، أي لا يقطعه أمل دنيا، و لا رجاء في عرضها، و الأمل ضدّ اليأس.

قوله: و لا تعوقه أمنيّة هو ما يتمنّاه من أمر الدّنيا، يعني لا تعوقه عن طلب الآخرة.

[الدّرجة الثانية ذوق الإرادة طعم الأنس]

الدّرجة الثانية:

ذوق الإرادة طعم الأنس، فلا يعلق به شاغل، و لا يفنّده عارض، و لا تكدّره تفرقة.

الإرادة هي وصف المريد، و قد تقدّم أنّ حال المريد فوق حال العابد، فالدّرجة الأولى ذكر فيها حال المريد، و علّق العابد بالوعد الجميل، و علّق هنا المريد بالأنس، و الأنس باللّه تعالى هو فوق الأنس بما يرجوه العابد من نعيم الجنان، فإذا ذاق المريد طعم الأنس اشتدّ في سلوكه.

قوله: فلا يعلق به شاغل، أي لا يتعلّق به شيء يشغله عن سلوكه، و ذلك لشدّة طلبه من أجل الأنس الذي ذاق المريد طعمه، و تلذّذ بحلاوته.

قوله: لا يفنّده عارض، المفنّد هو المفتّر الذي يعذل المحبوب على محبوبه، و يلومه على النّشاط في طلبه، و هو ضدّ المحرّض، و العارض

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۴۴۵

هو الذي يجيء عرضا فيمنع المارّ في طريقه، و الإشارة به إلى المفنّد المذكور، و وقع في بعض النسخ: و لا يفتنه عارض، و الفتنة هي الضّلال، و أصلها في اللّغة الاختبار، يقول: فتنت الذّهب، أي اختبرته، و منه قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السّلام: **إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ**، أي اختبارك، و هو يرجع إلى المعنى الأوّل.

قوله: و لا تكدّره تفرقة، الكدر ضدّ الصفاء، و التفرقة ضدّ الجمعيّة، و يعني بالجمعيّة الحضور مع الله تعالى بصدفة الأنس، خالصا من تفرقة الخواطر، و هو المراد بالتفرقة المذكورة.

[الدّرجة الثالثة ذوق الانقطاع طعم الاتّصال]

الدّرجة الثالثة:

ذوق الانقطاع طعم الاتّصال، و ذوق الهمّة طعم الجمع، و ذوق المسامرة طعم العيان.

ذوق الانقطاع طعم الاتّصال، هو أن يذوق المحجوب طعم/ الكشف، فالمنقطع هو المحجوب، و المتّصل هو المكاشف المشاهد، و المنقطع ليس في الحقيقة منقطعا، لكنّه كان غالبا عن المشاهدة، فلمّا شاهد وجد نفسه لم يكن منقطعا، و ليس ينبغي أن يسمّى الشّاهد متّصلا، كما لا ينبغي أن يسمّى المحبوب منقطعا، و إن كان الاتّصال لا يراد به إلاّ القرب، لأنّ لفظ الاتّصال شنع، و لفظ القرب أحسن من لفظ الاتّصال، و إن كان القرب قد يوقع الجاهل في توهّم قرب المسافة، و قرب الحقّ ليس من قبيل المسافة.

و قد ورد: يا عبدي، أنا القريب لا كقرب الشيء من الشيء، و أنا البعيد لا كبعد الشيء عن الشيء، يا عبدي، قربك لا هو بعدك، و بعدك

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۴۴۶

لا هو قربك، و أنا القريب البعيد، قربا هو البعد، و بعدا هو القرب، و ليس هذا الموضوع يضطرّنا إلى ذكر هذا، غير أنّ القلم قد جرى.

و نعود فنقول: إذا ذاق المنقطع طعم الاتّصال انصرف عن الأغيار بالكلّية.

قوله: و ذوق الهمّة طعم الجمع، قد فسّرنا الهمّة فيما سبق، و فسّرنا الجمع أيضا، و نشير إلى ذلك فنقول: الهمّة طلب الحقّ من غير التفات إلى غيره، و الحثّ في الطّلب من غير فتور، و أمّا الجمع فهو شهود الوحدانيّة التي يفني فيها رسوم الشّاهد، فإذا ذاق صاحب الهمّة شهود الجمع اتّصل اشتياقه و فني شوقه، لأنّ الاشتياق لازم، و الشّوق ينقطع بالوصلة.

قوله: و ذوق المسامرة طعم العيان، أي يذوق المسامر و هو العبد المراقب ليلا و نهارا طعم العيان، و هو الفناء في التّوحيد، بل في الوحدانيّة، فقد ذهب عن شهود الأغيار، و هذه الأذواق كلّها قد نسبها الشيخ في اللّفظ إلى المسامرة و الانقطاع و الهمّة، و المراد صاحب الهمّة و المسامرة و الانقطاع، ففي اللّفظ تجوّز.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۴۴۷

[قسم الولايات]

و أمّا قسم الولايات، فهو عشرة أبواب:

اللّحظ و الوقت و الصّفاء و السّرور و السرّ و النّفس و الغربة و الغرق و الغيبة و التّمكن

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۴۴۹

[باب اللّحظ]

باب اللّحظ قال الله عزّ و جلّ: انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكٰانَهُ فَسَوْفَ تَرٰانِي.

اللّحظ لمح مسترق.

قوله: اللّحظ لمح مسترق، أي نظر من المشاهد أو من دونه على.

ما يفسّر يستعبد النّاظر، لأنّ المسترقّ هو المستعبد، لأنّ الرقّ هو العبوديّة.

[درجات اللحظ]

و هو في هذا الباب على ثلاث درجات:

[الدّرجة الأولى ملاحظة الفضل سبقا]

الدّرجة الأولى:

ملاحظة الفضل سبقا، و هي تقطع طريق السؤال، إلاّ ما استحقّته من إظهار التذلّل، و يثبت السّرور، إلاّ ما يشوبه من حذر المكر، و يبعث على الشّكر، إلاّ ما قام به الحقّ جلّ جلاله من حقّ الصّفة.

قوله: و هو في هذا الباب على ثلاث درجات: عيّن هذا الباب إشارة إلى أنّ له بابا آخر و هو باب البرق، لأنّه يشبه مقام اللّحظ من جهة أنّ هذا لمح، و ذلك برق، و اللّمح يكون للبرق.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۴۵۰

قوله: ملاحظة الفضل سبقا، و هي تقطع طريق السؤال، المراد بالفضل العطاء زيادة على الاستحقاق، أي يلاحظ العبد العطاء الإلهيّ في السّابقة و في عالم التّقدير السّابق، كأنّه قال: يرى العبد أنّ ما قدّره الله تعالى له فهو واصل لا محالة، و لذلك قال: و هي تقطع طريق السّؤال، يعني تلك الملاحظة تقطع طريق الطّلب من الحقّ تعالى، و ذلك لأنّ من علم أنّ المقدور كائن لا محالة، لم يسأل الله رغبة، و لا يستدفع به رهبة.

قوله: إلاّ ما استحقّته الربوبيّة من إظهار التذلّل لها، يعني ترك المسألة خوفا و طمعا، و يسأل لمعنى آخر، و هو إظهار التذلّل الذي تستحقّه الربوبيّة عليه، إذ هو عبد، و العبد يجب عليه أن يؤدّي ما يستحقّه عليه ربّه من إظهار ذلّ العبوديّة بين يدي عزّ الربوبيّة.

قوله: و تثبت السّرور، يعني تلك الملاحظة التي تقطع السّؤال، هي أيضا تثبت السّرور، لأنّها تريح من الطّلب.

قوله: إلاّ ما يشوبه من حذر المكر، يشوبه، يعني يمازجه، و المقصود/ أنّ تلك الملاحظة الّتي تثبت السّرور لكونها تريح من الهمّ و الطّلب، قد يشوبها أي يمازجها شيء من خوف المكر، فإنّ الذي استراح إلى القضاء و القدر إذا حصل له السّرور قد يخاف من المكر، و المكر في حقّه هو، أن يسلبه الله تعالى ملاحظة قضائه و قدره، و يحيله على كسبه و شدّة طلبه فيفارقه ذلك، فإذا صاحب هذا السّرور قد يشوبه حذر

المكر، فينقص سروره، فلو لا ذلك النّقص لكان كامل السّرور في مرتبته.

قوله: و تبعث على الشّكر إلاّ ما قام به الحقّ جلّ جلاله من حقّ الصّفة، يعني تلك الملاحظة المقدّم ذكرها تبعث العبد على الشّكر،

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد۲، ص ۴۵۱

أي تنشطه للشّكر، إلاّ الشّكر الذي ليس من صفة العبد، بل من صفة الحقّ من حيث اسمه الشّكور، قال الله تعالى: **إِنَّ رَبَّنٰا لَغَفُورٌ شَكُورٌ**، فهذا الشّكر الخاصّ بالحقّ لا يبعث العبد على الملاحظة المذكورة، إذ لا يقوم به إلاّ الحقّ تعالى إظهارا لحقّ الصّفة التي الاسم الشّكور دالّ عليها.

[الدّرجة الثانية ملاحظة نور الكشف]

الدّرجة الثانية:

ملاحظة نور الكشف، و هي تسبل لباس التولّي، و تذيق طعم التجلّي، و تعصم عن غوائل التسلّي.

ملاحظة نور الكشف، هي مبدأ الشّهود، و نور الكشف هو نور التجلّي من الأسماء الإلهية، و هو يضيء حجاب القلب، و يجلو الشّهود.

قوله: و هي تسبل لباس التولّي، أي تلبس العبد خلعة الولاية.

قوله: و تذيق طعم التجلّي، أي تذيق العبد طعم المشاهدة، و التجلّي هو رفع الحجاب، و اشتقاقه من الجلوة، و هي معروفة.

قوله: و يعصم من غوائل التسلّي، أي لا يبقى على صاحب هذه الملاحظة خوف من أن يسلو، فإنّه لا طريق إلى التسلّي لما يوجبه التجلّي من محبّة الحقّ التي لا تفارقه حتّى لا يغشى رسمه في الوحدانيّة في نسخة أخرى، و يعصم عن عوار التسلّي، و هو تصحيف من الكاتب، و لو صحّ لكان معناه أنّ التسلّي عورة.

و هذه الملاحظة تعصم من كشف هذه العورة، إذ هي تستر صاحبها من جهة أنّه لا يسلو أبدا، و هذا هو ستر عوار التسلّي.

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد۲، ص ۴۵۲

[الدّرجة الثالثة: ملاحظة عين الجمع]

الدّرجة الثالثة:

ملاحظة عين الجمع، و هي توقظ الاستهانة بالمجاهدات، و تخلّص من رعونة المعارضات، و تفيد مطالعة البدايات.

ملاحظة عين الجمع، قد شرحنا الجمع مرارا، و هو شهود الوحدانيّة، و ملاحظتها هي مبدأ شهودها، و معنى عين الجمع حقيقة الجمع، فإنّ عين الشيء هو حقيقته.

قوله: و هي توقظ الاستهانة بالمجاهدات، يعني أنّ السّالك إذا غلب عليه حبّ المجاهدات، و نامت فترته و استهانته بها، و لم يفارق المجاهدات طرفة عين، فإنّ هذه الملاحظة لعين الجمع تنبّه الفترة على المجاهدات، أي تعيد و تصرف العبد عن المجاهدات لاستغنائه، و توقظ الاستهانة بالمجاهدات، أي تلهم العبد أن يستهين بالمجاهدات استغناء عنها بملاحظة عين الجمع من جهة أنّ صاحب المجاهدات هو مسافر إلى الله تعالى، و الملاحظ لعين قد وصل، و أنشده لسان الحال:

و ألقت عصاها و استقرّ بها النوى ... كما قرّ عينا بالإياب المسافر

و ذلك لأنّه ليس وراء الله مرمى، و لا سواه مبتغى، و حضرة الجمع هي حضرة شهوده، و منبع جوده من وجوده، و لفظ الشيخ رضي الله عنه يوهم الجاهل ضدّ هذا المعنى، و ذلك أنّ قوله: و هي توقظ الاستهانة بالمجاهدات، يوهم أنّ معناه أن يوقظ من نوم الاستهانة بالمجاهدات، حتّى كأنّه قال: يوجب على العبد المجاهدات، و ذلك خطأ، و من قال به دلّ على جهله بحضرة الجمع، مع أنّ لفظ الشيخ لا يحتمل

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد۲، ص ۴۵۳

إلاّ ما قلناه نحن، مع أنّا لا نشكّ أنّ فهم الجاهل يتبادر إلى ضدّه جريا على عادة اعتقادهم من أنّه كلّ من كان إلى الله تعالى أقرب كان أشدّ عملا، و ليس الأمر كذلك، بل القرب الحقيقيّ ينقل الأعمال الظّاهرة إلى الأعمال الباطنة، و يريح الجسد و الجوارح، و ينعم العقل و الرّوح بالمشاهدة، و يئزّه في رياض الموجدات.

قوله: و يخلّص من رعونة المعارضات، يعني أنّ ملاحظة عين/الجمع تخلّص العبد من رعونة المعارضات، و المراد بالمعارضات هنا هو الإنكار على الموجودات بما يبدو منهم من أحكام البشريّات و شبه ذلك، لأنّ المشاهدة لعين الجمع تعلم أنّ مراد الله تعالى من الخلائق ما هم عليه، و إذا علم ذلك بحقيقة الشّهود، كانت المعارضات من رعونات الأنفس المحجوبة، فهو يخلص منها بملاحظة عين الجمع كما ذكرنا.

قوله: و يفيد مطالعة البدايات، و معنى ذلك أنّ السّالك حال سلوكه، لا يلتفت إلى وراء لشغله بما بين يديه، و غلبة أحكام الهمّة عليه، و هي شدّة الطّلب، فلا يفزع إلى مطالعة البدايات التي سبقت له، فإذا لاحظ عين الجمع فرغ من السّلوك الأوّل، و ليس عند الشيخ رحمه الله سلوك غيره، فلذلك يتفرّغ إلى مطالعة بداياته، فهذا معنى قوله: و يفيد مطالعة البدايات.

و قد قال الجنيد رحمه الله في هذه الدّرجة: وا شوقاه إلى أهل البداية، يعني إلى لذّة أوقات البداية، و ما ذلك إلاّ أنّه كان مجموع الخاطر على الطّلب، فلمّا وصل حضرة الجمع تفرّق حاله بفناء رسومه، و عاد إلى الحسّ فلزمته الكلف، فتعب فارتاح إلى راحات أوقات البدايات لما كان فيها من لذّة الإعراض عن الخلق، و اجتماع الهمّة، و في ذلك من الرّاحة ما لا يعلمه إلاّ من جرّبه.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۴۵۴

و مثل ذلك ما روي عن أبي بكر رضي الله عنه: أنّه مرّ على رجل و هو يبكي من خشية الله تعالى، فقال رضي الله عنه: هكذا كنّا حتّى قست قلوبنا، يعني هكذا كنّا في أيّام البدايات، حتّى قست قلوبنا بالتّحقيق بالمشاهدات. و ربّما اعتقد الجاهل أنّ أبا بكر رضي الله عنه غبط ذلك الباكي بحاله، أو فضّله على نفسه، أو رأى أنّ حالته السابقة أفضل من حالته الرّاهنة، و ليس الأمر كذلك، بل هو رضي الله عنه ما زال في رقّ دائم، إلى أن لقي الله عزّ و جلّ، و إنّما البكاء كان من أحكام بداياته على عادة البدايات، و السّكون في أحكام نهايته على عادة النّهايات./ و ما قلناه معلوم عند أهله.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۴۵۵

[باب الوقت]

باب الوقت قال الله عزّ و جلّ: ثُمَّ جِئْتَ عَلىٰ قَدَرٍ يٰا مُوسىٰ.

الوقت اسم لظرف الكون.

على قدر يا موسى، أي في وقت الحاجة إلى المجيء.

قوله: الوقت اسم لظرف الكون، أي الوقت هو من الأزمنة في اصطلاح النحويّين ظروف، فيقولون: ظرف زمان، و الذي ذكره الشيخ رحمه الله أقرب، و هو أن يكون أسماء الظّروف ظروفا للكون الحادث في الزّمان، فتسامحوا في ذلك، و سمّوها ظروف أزمنة، و إذا أردنا بالإضافة في قولنا ظرف زمان إضافة مقدّرة بفي، فالذي قاله النّحاة صحيح، و ليس هذا موضع ذكر الظّروف، لكن الشيخ ذكر ظرف الكون فأحوجنا إلى ذكره، و حقيقة الظّرف هي الوعاء، و الكون هو حركة التّكوين، و ضدّها حركة الفساد في اصطلاح قوم.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۴۵۶

[معاني الوقت في هذا الباب]

و هو اسم في هذا الباب لثلاث معان، على ثلاث درجات:

[المعنى الأوّل حين وجد صادق لإيناس ضياء فضل، جذبه صفاء رجاء]

المعنى الأوّل:

حين وجد صادق لإيناس ضياء فضل، جذبه صفاء رجاء، أو لعصمة جذبها صدق خوف، أو لتلهّب شوق جذبه اشتعال محبّة.

قوله: لثلاث معان على ثلاث درجات، أي لكلّ معنى من الثّلاث معان ثلاث درجات.

قوله: المعنى الأوّل، يعني من الثّلاث معان.

قوله: حين وجد صادق إلى قوله: صفاء رجاء، هذه هي الدّرجة الأولى من المعنى الأوّل، و تفسيرها هو أنّ قوله: حين وجد، أي وقت وجد صادق، لأنّ الحين في اللّغة هو الوقت، و الوجد قد تقدّم شرحه في بابه، و الصّدق معروف.

و قوله: لإيناس ضياء فضل، الإيناس هو الرؤية، قال الله تعالى حكاية عن موسى عليه السّلام: آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَاراً، أي رأى من جانب الطّور نارا، و المقصود وقت وجد صادق لرؤية ضياء، و الفضل هو العطاء فوق الاستحقاق، أو العطاء من فضلات ما عند المعطي، و هو ما يفضل عنه، و المراد هنا رؤية ضياء فضل الله تعالى الذي جذبه صفاء رجاء.

قوله:/ جذبه صفاء رجاء، أي جذب ذلك الفضل صفاء رجاء، فكأنّه يقول: الوقت في هذه الدّرجة الأولى من المعنى الأوّل هو عبارة

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد ۲، ص ۴۵۷

عن وجد صادق في وقت من الأوقات يكون سببه رؤية فضل الله تعالى على عبده لأجل أنّ رجاءه كان صافيا من الأكدار.

قوله: أو لعصمة جذبها صدق خوف، هذه هي الدّرجة الثانية من المعنى الأوّل، و تفسيرها، أنّ الوقت هو وجد صادق، حصل في وقت من الأوقات، لأجل حصول عصمة من عصمة، أو مخالفة جذب تلك العصمة صدق خوف من الله تعالى، و الفرق بين هذه الدّرجة و الدّرجة التي قبلها أنّ الوجد في تلك الدّرجة كان الجاذب له صفاء الرّجاء، و الوجد في هذه الدّرجة كان الجاذب له صدق الخوف.

قوله: أو لتلهّب شوق جذبه اشتغال محبّة، هذه هي الدّرجة الثالثة من المعنى الأوّل، و تفسيرها هو أن يقصد أنّ الوقت في هذه الدّرجة عبارة عن وجد في وقت من الأوقات جذبه تلهّب شوق أوجبه اشتعال محبّة، و الشّوق و المحبّة و الوجد جميع هذه قد شرحناها في أبوابها.

و الفرق بين هذه الدّرجة و الدّرجتين المذكورتين قبل، هو أنّ الوجد في هذه الدّرجة هو عن لهيب شوق المحبّة، و التي قبله هي عن صدق الخوف، و الأوّل هي عن صفاء الرّجاء، و هذه الثلاث درجات هي حقيقة المعنى الأوّل.

[المعنى الثاني اسم لطريق سالك يسير بين تمكّن و تلوّن]

المعنى الثاني:

اسم لطريق سالك يسير بين تمكّن و تلوّن، لكنّه إلى التمكّن ما هو يسلك الحال و يلتفت إلى العلم، فالعلم يشغله في حين، و الحال يحمله

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد ۲، ص ۴۵۸

في حين، فبلاؤه بينهما يذيقه شهودا طورا، و يكسوه غيرة طورا، و يريه عبرة تفرّق طورا.

هذا المعنى هو المعنى الثاني من المعاني الثلاثة الموعود بذكرها من معاني الوقت.

قوله: اسم لطريق سالك، أي الوقت اسم لطريق عبد سالك، و قد عرفت معنى السّلوك.

قوله: يسير بين تمكّن و تلوّن، أي/ ذلك العبد يسير بين تمكّن و تلوّن، و التمكّن هو الانقياد إلى أحكام العبوديّة بالشّهود بالحال، و التلوّن هو الانقياد إلى أحكام العبادة بالعلم.

قوله: لكنّه إلى التمكّن ما هو يسلك الحال، و يلتفت إلى العلم، لكن هذا العبد هو سالك إلى التمكّن ما دام يسلك الحال و يلتفت إلى العلم.

فأمّا إن سلك العلم و التفت إلى الحال، لم يكن سالكا إلى التمكّن، و كأنّه يشير إلى أنّ صاحب هذا المقام يكون صاحب حال، لكنّه حال

ضعيفة لم يغلب عليه، فيفارق العلم إلى الحكم، فما دام مطيعا للحال لم تضرّه مطالعة العلم و إن كان سالكا إلى التمكّن.

قوله: فالعلم يشغله في حين، أي يشغله عن السّلوك إلى التمكّن، لأنّ العلم يدعو إلى الوعد الجميل بنعيم الجنّة، و الحال يدعو إلى الفناء في الوحدانيّة، و منه يكون التمكّن.

قوله: و الحال يحمله في حين، أي وقتا يغلبه الحال فيكون سالكا للتمكّن، فكأنّ الحال قد حمله، أي أعانه و وقتا يغلبه العلم فيشغله عن السّلوك.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۴۵۹

قوله: فبلاؤه بينهما، أي فعذابه بين العلم و الحال في تردّده بينهما، كالغريم بين مطالبين، لكلّ منهما حقّ واضح، و أصل البلاء، و هو لابتلاء الذي هو الاختبار، و أكثر ما يكون بالمؤلمات.

قوله: يذيقه شهودا طورا، و يكسوه غيرة طورا، أي ذلك البلاء الحاصل له بينهما هو يذيقه شهودا طورا، و هو الطّور الذي يكون الحاكم عليه فيه العلم و الغيرة من الحجاب، و اشتقاقها من الغير، و قد شرح مقام الغيرة، فطالع معناها من هناك.

قوله: و يريه عبرة تفرّق طورا، و العبرة هي التي تفرّق بين أحكام الحال و أحكام العلم، و هي حالة صحو و تمييز، ذلك أنّ الحال ينفي الأغيار بالكلّية، و هو مقام شطح مفسد لأحكام العلم، و العلم يثبت الأغيار بالكلّية، و هو مقام ترتيب نقليّ ينكر أحكام الحال، و العبرة الثالثة كالحاكم العدل عنده تفصيل، معناه أن يفارق بين المتنازعين،/ و هما الحال و العلم، فنقول للحال: أمّا أنت فلك باطن العبد السّالك، و حقّك عليه أن يتمسّك بالوجد فيك باطنا، و نقول للعلم: أمّا أنت، فلك ظاهر العبد العابد و السّالك، و حقّك عليهما أن يتمسّكا بصور العبادات الظّاهرة ظاهرا، و هذا هو إعطاء الظّاهر للاسم الظّاهر، و إعطاء الباطن للاسم الباطن، و الله تعالى هو الظّاهر و الباطن، و هو بكلّ شيء عليم.

فهذه ثلاث درجات: درجة الحال، و درجة العلم، و درجة التّفرقة، و هي الثلاث درجات المختصّة بالمعنى الثاني من معاني الوقت.

[المعنى الثالث قالوا الوقت الحقّ، أرادوا به استغراق رسم الوقت في وجود الحقّ]

المعنى الثالث:

قالوا الوقت الحقّ، أرادوا به استغراق رسم الوقت في وجود الحقّ، و هذا المعنى يسبق على هذا الاسم عندي، لكنّه هو اسم في

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۴۶۰

هذا المعنى الثالث لحين تتلاشى فيه الرّسوم كشفا لا وجودا محضا، و هو فوق البرق و الوجد، و هو يشارف مقام الجمع لو دام و بقي، و لا يبلغ وادي الوجود، لكنّه يكفي مئونة المعاملة، و يصفّي عين المسامرة، و يشمّ روائح الوجود.

هذا المعنى هو المعنى الثالث من معاني الوقت المذكور.

قوله: قالوا الوقت الحقّ، يعني أنّ الأوائل من هذه الطّائفة اصطلحوا في عباراتهم على أنّ الوقت الحقّ.

قوله: أرادوا به استغراق رسم الوقت في وجود الحقّ، يعني أنّ الأوائل المذكورين أرادوا بقولهم الوقت الحقّ مفهوما مغايرا لما يقتضيه ظاهر اللّفظ، يعني أنّ الوقت هو الحقّ نفسه.

قال الشيخ رحمه الله: إنّهم لم يريدوا هذا، و إنّما أرادوا به استغراق رسم الوقت في وجود الحقّ، و يعبّر هذا الاستغراق المذكور هو أنّ العبد السّالك بهذا المعنى الثالث إذا شهد استغراق وقته الحاضر في معنويّة الزّمان المطلق، فقد استغرق الزّمان رسم الوقت الذي كان جزءا من أجزائه مغمورا فيه، كالنّقطة من الماء إذا ألقيتها في البحر، فإنّه يضمحلّ رأس النّقطة في وجود البحر، ثمّ إنّ الزّمان يستغرق/ رسمه أيضا في وجود الدّهر، و هو ما بين الأزل و الأبد، ثمّ إنّ الدّهر و هو ما لا بداية له و لا نهاية، هو الدّوام الإلهيّ، و هو صفة الحقّ تعالى، إذ هو دوامه، و لذلك يسمّى الله تعالى به. قال عليه السّلام: «لا تسبّوا الدّهر، فإنّ الله هو الدّهر»، على أحد التّفاسير الاعتباريّة، فإذن يضمحلّ الدّهر في وجود

وصف موصوفه الحقّ تعالى، فيحصل من ذلك اضمحلال رسم الوقت في وجود الحقّ، فذلك هو مراد القوم بقولهم: الوقت الحقّ.

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد۲، ص ۴۶۱

قوله: و هذا المعنى يسبق على هذا الاسم عندي، أي إنّ الحقّ سابق على هذا الاسم الذي هو الوقت، أي هو منزّه عنه، فلا ينبغي نسبته إليه، فكأنّه كره اصطلاحهم على هذا المعنى، و عدل عنه إلى معنى آخر سنذكره و هو قوله: لكنّه هو اسم في هذا المعنى الثالث لحين تتلاشى فيه الرّسوم، كشفا لا وجودا محضا، يعني: لكنّ الوقت في هذا المعنى الثالث من معاني الوقت اسم لحين تتلاشى فيه الرّسوم، أي تفنى فيه الرّسوم، و قد فهمت معنى فناء الرّسوم من ذكرنا إيّاها مرارا.

يقول: بحيث يكون تلاشي الرّسوم كشفا لا وجودا، و الكشف هنا هو دون الوجود، كأنّ الكشف يكون بعد بقاء بعض رسوم المكاشف، و الوجود لا يكون معه رسم باق، و لذلك قال: لا وجودا محضا، و المحض هو الخالص، و التّلاشي هو مثل الذّوبان، و هذا هو الفناء المذكور.

قوله: و هو فوق البرق و الوجد، أي و هذا الوقت بالمعنى الثالث هو فوق مقام البرق، و فوق مقام الوجد، و قد تقدّم شرح مقاميهما.

قوله: و هو يشارف مقام الجمع لو دام، أي لو دام الوقت و بقي بالمعنى الثالث لشارف حضرة الجمع، لكنّه لا يدوم.

قوله: و لا يبلغ وادي الوجود، يعني: الوقت المذكور مقامه يبلغ السّالك فيه وادي الوجود، و هو فيه حتّى يتجاوزه، و وادي الوجود هو حضرة الجمع.

قوله: لكنّه يكفي مئونة المعاملة، يعني: لكنّ الوقت مقامه و إن قصر عن/ وادي الوجود، لكنّه يكفي مئونة المعاملة، أي كلفة المعاملة، و المعاملة الجسمانيّة، خلا الفرائض و السنن الرواتب.

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد۲، ص ۴۶۲

قوله: و يصفّي عين المسامرة، يعني إنّه إذا رفع عن العبد التطوّعات التكلّفيّة الجسمانيّة نقله إلى صفاء عين المسامرة، و المسامرة معروفة، و هي هنا استعارة لمخاطبة الحقّ لعبده، و هي لمحمّد صلى الله عليه و سلم حضرة التدلّي في قوله: **ثُمَّ دَنٰا فَتَدَلّٰى، فَكٰانَ قٰابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنىٰ، فَأَوْحىٰ إِلىٰ عَبْدِهِ مٰا أَوْحىٰ**، و يتكمّل من ميراث ذلك بمقدار ما يصحّ وجوده لهم، و للرّسول عليه السّلام مقام هو فوق مقام هذا، و هو حين زجّ به في النّور، و ذلك هو مقام الوجود الذي للورثة منه نصيبهم بطريق التبعيّة.

قوله: و يشمّ روائح الوجود، أي يجد صاحب مقام الوقت بالمعنى الثالث روائح الوجود، و هو حضرة الجمع، فإنّهم يسمّونها الجمع و الوجود، يعنون بذلك ظهور وجود الحقّ بفناء وجود الخلق، و الله يقول الحقّ و هو يهدي السّبيل.

و أمّا الدّرجة الثالثة الخاصّة بهذا المعنى الثالث، فهو كونه يكفي مئونة المعاملة، و يصفّي عين المسامرة، و يشمّ روائح الوجود.

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد۲، ص ۴۶۳

[باب الصّفاء]

باب الصّفاء قال الله تعالى: وَ إِنَّهُمْ عِنْدَنٰا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيٰارِ.

الصّفاء اسم للبراءة من الكدر، و هو في هذا الباب سقوط التّلوين.

المصطفون الأخيار، هم أهل مقام الصّفاء.

قوله: الصّفاء، اسم للبراءة من الكدر، البراءة هي الخلاص، و الكدر هو امتزاج الطيّب بالخبيث.

قوله: و هو في هذا الباب سقوط التّلوين، يعني، و الصّفاء في هذا الباب هو سقوط التّلوين، و التّلوين هو التردّد و التذبذب.

[درجات الصفاء]

و هو على ثلاث درجات:

[الدّرجة الأولى صفاء علم يهذّب لسلوك الطّريق]

الدّرجة الأولى:

صفاء علم يهذّب لسلوك الطّريق، و يبصّر غاية الجدّ، و يصحّح همّة القاصد.

قوله: صفاء علم يهذّب لسلوك الطّريق، يعني به علم الشّريعة المطهّرة، و التهذيب هو التّأديب، يعني التأدّب بآداب الرّسول/ صلّى الله عليه و سلم،

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۴۶۴

و الطريق هي طريقة العبادة، و إنّ ما فوق العبادة هو بتهذيب الحال لا بتهذيب العلم.

قوله: و يبصّر غاية الجدّ، الجدّ هو الاجتهاد، و الغاية هي النهاية، فكأنّه قال: و يهدي إلى الوصول إلى غاية الجدّ، و هي القيام بمقتضى الأمر و النهي الواردين في الشرع الشريف.

قوله: و يصحّح همّة القاصد، أي و يصحّح العلم المذكور همّة القاصد إلى العبادة، و الهمّة قد تقدّم شرحها، و نصيب هذه الدّرجة من الهمّة ما ذكر في الدّرجة الأولى من باب الهمّة لا الدّرجتين الأخريتين.

[الدّرجة الثانية صفاء حال يشاهد به شواهد التّحقيق]

الدّرجة الثانية:

صفاء حال يشاهد به شواهد التّحقيق، و يذاق حلاوة المناجاة، و ينسى به الكون.

هذه الدّرجة الثانية تختصّ بصفاء الحال، كما اختصّت الدّرجة الأولى بصفاء العلم.

قوله: صفاء حال يشاهد به شواهد التّحقيق، الصفاء قد علمت شرحه، و الحال هو انصباغ القلب بحكم الواردات على اختلافها، و الحال يدعو إلى المقام الذي عنه صدر الوارد، و إذا كان الوارد من حضرة الحقيقة شاهد السّالك بصفائه شواهد التّحقيق، و هي علاماته، و التّحقيق هو حكم الحقيقة، و الحقيقة هي وصف الحقّ، و الحقّ هو ربّ الخلق تبارك و تعالى.

قوله: و يذاق به حلاوة المناجاة، هذا الحال الثاني الذي يذيق حلاوة المناجاة، هو دون الحال الذي يشاهد به شواهد التّحقيق، إلاّ أن يعني

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۴۶۵

بالتّحقيق غير المعنى المحقّق له، فيكون يحسب ما رآه الشيخ رضي الله عنه، و أمّا على حكم قلته أنا، فهو دونه، و ذلك يدلّ على أنّ الشيخ خالف عادته، فإنّه دائما يقدّم ذكر الأنقص، ثمّ يترقّى منه إلى ما فوقه، و إنّما قلنا: إنّ حال ما يذاق به حلاوة المناجاة دون الحال التي يشاهد بها شواهد التّحقيق، لأنّ التّحقيق هو حكم الحقيقة، و الحقيقة وصف الحقّ، و الحقّ هو الآنية التي تنسب إليها الأسماء و الصّفات، لأنّ لفظ الحقّ هنا ليس في مقابلة لفظ الباطل، بل هو بمعنى منزّه عن المقابل.

/ و أمّا الحال المستندة إلى وارد يذاق به حلاوة المناجاة، هو من حضرة اسم واحد، و هو اسمه الودود تبارك و تعالى، و نسبة الودود إلى الحقّ كنسبة الاسم إلى المسمّى، و الوصف إلى الموصوف، و المناجاة هي المفاعلة من النّجوى، و هو الخطاب سرّا، أي في سرّ العبد.

قوله: و ينسى به الكون، أي ينسى الكون بما يغلب على القلب من هذه الحال المذكورة، و المراد بالكون هنا المخلوقات، فكأنّه قال: يشتغل بالحقّ عن المخلوقات.

[الدّرجة الثالثة صفاء اتّصال يدرج حظّ العبوديّة في حقّ الربوبيّة]

الدّرجة الثالثة:

صفاء اتّصال يدرج حظّ العبوديّة في حقّ الربوبيّة، و يغرق نهايات الخبر في بدايات العيان، و يطوي خسّة التكاليف في عين الأزل.

الصفاء قد عرفته، و الاتّصال هو اتّصال العبد بربّه عزّ و جلّ، فإنّ العبيد من أفعال الله تعالى، و أفعال الله تعالى من صفاته، و صفاته من ذاته المقدّسة.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۴۶۶

و قد بيّن الشيخ في هذا الفصل بعض معنى الاتّصال، و هو قوله: يدرج حظّ العبوديّة في حقّ الربوبيّة، و حقّ العبوديّة هو ذاتها و صفاتها و أسماؤها و أفعالها، و اندراج هذه في حقّ الربوبيّة، هو أن يشهد هذا الحظّ المذكور حقّا من حقوق الربوبيّة، و يشهد هذا الحقّ المذكور فعلا من أفعال الربوبيّة، و يشهد فعل الربوبيّة وصفا من صفاتها، و صفاتها من ذاتها، فيغلب الحقّ تعالى على أمر العبد في الظّاهر و الباطن و الأوّل و الآخر و الإحاطة.

قوله: و يغرق نهايات الخبر في بدايات العيان، الخبر هو ما يجاب قائله بصدق، و العيان هو إدراك عين البصير لمصدر الخبر، و مقصوده بقوله: نهايات الخبر، أي مضمون الخبر كلّه، و المقصود ببدايات العيان الشّروع في الفناء الذي سترى حقيقته إن شاء الله تعالى.

و حاصل مقصوده، أن يرى الشّاهد ما أخبر به عيانا، فيصير عبدا بالعيان لا بالخبر وحده،/ و يصير الحاكم عليه العيان لأجل غرق الخبر فيه.

قوله: و يطوي خسّة التّكاليف في عين الأزل، أي يطوي رؤية أنّ العبادات تكليف، فإنّ رؤيتها تكليفا هو خسّة من الرّائي، لأنّه رآها بعين الخلقيّة، فإذا صار الحقّ سمعه و بصره رآها بعين الحقيقة، فتغيّر النّظر من باطل إلى حقّ، فزالت الخسّة بالحقّ، و ذلك هو انطواؤها في عين الأزل، و الأزل هو القدم الذي لا أوّل له، و المراد به هنا صفة الحقّ تعالى.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۴۶۷

[باب السّرور]

باب السّرور قال الله عزّ و جلّ: قُلْ بِفَضْلِ الله وَ بِرَحْمَتِهِ فَبِذٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ.

السّرور هو اسم للاستبشار جامع، و هو أصفى من الفرح، لأنّ الأفراح ربّما شابتها الأحزان، و لذلك نزل القرآن باسمه في أفراح الدّنيا في مواضع، و ورد اسم السّرور في موضعين في القرآن في حال الآخرة.

قوله: اسم للاستبشار جامع، الجامع هو الذي يشمل العبد في ظاهره و باطنه، و جملته و تفصيله، و أصل السّرور من أسارير الوجه، فإنّه تبرق منه أسارير الوجه، قال بعض العرب:

و إذا نظرت إلى أسرّة وجهه   برقت كبرق العارض المتهلّل

فالسّرور مشتقّ من الأسارير، و الاستبشار أصل اشتقاقه ما يظهر على البشرة من الفرح.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۴۶۸

قوله: هو أصفى من الفرح، يعني أنّ السّرور أصفى من الفرح، و علّل ذلك بقوله: لأنّ الأفراح ربّما شابها أحزان، أي مازجها أحزان.

قال الشيخ رضي الله عنه: الحقّ تعالى نسب الفرح إلى أحوال الدّنيا في كتابه العزيز، لأنّ الدّنيا لا تتخلّص أفراحها من أحزانها، فلا بدّ في فرح الدّنيا من حزن يمازجه، فلذلك خصّ الدّنيا بلفظ الفرح لما ذكره في كتابه العزيز، و لمّا كان السّرور و هو الذي لا يمازجه حزن أصلا، خصّه الحقّ تعالى بالآخرة و أحوالها، فذكر السّرور في أحوال الآخرة/ في موضعين من كتاب الله عزّ و جلّ، أحدهما في سورة الإنسان، و هو قوله: **فَوَقٰاهُمُ الله شَرَّ ذٰلِكَ الْيَوْمِ وَ لَقّٰاهُمْ نَضْرَةً وَ سُرُوراً**، فهذا السّرور منسوب إلى أهل الجنّة لاقترانه بقوله: **فَوَقٰاهُمُ الله شَرَّ ذٰلِكَ الْيَوْمِ**، يعني يوم القيامة، و عطف عليه قوله: **وَ لَقّٰاهُمْ نَضْرَةً وَ سُرُوراً**.

و الموضع الثاني الذي ذكر فيه السّرور منسوبا إلى عمل الآخرة أيضا، و هو في سورة: **إِذَا السَّمٰاءُ انْشَقَّتْ. وَ يَنْقَلِبُ إِلىٰ أَهْلِهِ مَسْرُوراً.**

[درجات السرور]

و هو في هذا الباب على ثلاث درجات:

[الدّرجة الأولى سرور ذوق ذهب بثلاثة أحزان]

الدّرجة الأولى:

سرور ذوق ذهب بثلاثة أحزان: حزن أورثه خوف الانقطاع.

و حزن هاجته ظلمة الجهل. و حزن أغشته وحشة التفرّق الحزن الذي أورثه خوف الانقطاع، هو حزن العصاة، فإنّ خوف الانقطاع عن فقد الجنّة يختصّ بالعصاة، و أهل الانقطاع هم أهل النّار،

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۴۶۹

و الذوق الذي يذهب بهذا الحزن الأوّل هو الذوق المذكور في الدّرجة الأولى من باب الذوق، و هو ذوق التّصديق طعم العدة، فلا يعقله ظنّ، و لا يقطعه أمل، و لا يعوقه أمنية، و شرح هذا قد سبق في بابه.

قوله: و حزن هاجته ظلمة جهل، و المراد هنا بظلمة الجهل الحيرة، و عدم معرفة الطّريق، و شبّه ذلك بالظّلمة، و الذوق الذي يذهب بهذا الحزن، هو الذّوق المذكور في ثاني درجة من باب الذّوق.

قوله: حزن بعثته وحشة التفرّق، و هو تفرّق الخاطر عن التوجّه إلى الله تعالى، و له وحشة يقترن بها حزن على فوات الجمعيّة، و الذّوق المذكور في ثاني درجة أيضا هو الذي يذهب بهذا الحزن، و لذلك قال فيه: هو الذي لا تكدّره تفرقة.

[الدّرجة الثانية سرور شهود كشف حجاب العلم]

الدّرجة الثانية:

سرور شهود كشف حجاب العلم، و فكّ رقّ التكلّف، و نفي صغار الاختبار.

يقول: للعلم حجاب عن المعرفة، و شهود كشفه يوجب سرورا، و ذلك السّرور هو سرور شهود كشف حجاب العلم.

قوله: و فكّ رقّ التكلّف، يعني، و ذلك السّرور المذكور يعتق العبد من رقّ التكلّف، فلا يجد في العبادة كلفة و لا تكليفا، و هذه الحال تكون لقوم انتقلت عبادتهم من ظواهرهم إلى بواطنهم لاشتغالهم بالشّهود، فكأنّهم/ خلصوا من رقّ التكلّف المختصّ بالعلم، و قاموا بما يوجبه عليهم الحكم، و قد مضى ذكر هذا مرارا.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۴۷۰

قوله: و نفي صغار الاختبار، يعني أنّ من كان في طور حجاب العلم كان البلاء في حقّه اختبارا، أي يشهد العلم أنّه اختبار، و في الاختبار صغار، و الصغار هو الذلّ، فأمّا من رفع عنه حجاب العلم، فالبلاء في حقّه نعيم، فكيف العافية.

و بالجملة فحاصل هذا الفصل هو الانقياد لأحكام المعرفة و الرّاحة من أحكام العلم، و قد قيل: إنّ العالم يسعطك الخلّ و الخردل، و العارف ينشقك المسك و العنبر، و معنى هذا إنّك مع العالم في تعب، و مع العارف في راحة، لأنّ العارف يبسط عذر العوالم و الخلائق و العالم يلوم، و قد قيل: من نظر النّاس بعين العلم مقتهم، و من نظرهم بعين الحقيقة عذرهم.

[الدّرجة الثالثة سرور سماع الإجابة]

الدّرجة الثالثة:

سرور سماع الإجابة، و هو سرور يمحو آثار الوحشة، و يقرع باب المشاهدة، و يضحك الرّوح.

سماع الإجابة هو سماع انقياد عوالم النّفس إلى داعي الفناء في المشهود.

قوله: يمحو آثار الوحشة، يعني يزيل بقاء الوحشة، و هي آثار تبقى لأهل الدّرجة الثانية المذكورة قبل هذه الدّرجة، و هم أهل كشف حجاب

العلم إذا بقيت عندهم آثار قليلة من الوحشة التي في العلم زالت في هذه الدّرجة عند سماع الإجابة المذكورة.

قوله: و يقرع باب المشاهدة، يعني مشاهدة حضرة الجمع، و إلاّ فقد سبق لهؤلاء مشاهدة أخرى لكنّها جزئيّة، و إنّما قلت ذلك، لأنّ

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۴۷۱

أهل الدّرجة الثانية و هم الذين كشف عنهم حجاب العلم بالمشاهدة، فإنّ العلم لا يرفع حجابه إلاّ المشاهدة، فإذا المشاهدة التي تقرع بابها سماع الإجابة هي المشاهدة الجامعة الذاتيّة، و ذلك هو شهود حضرة الجمع و الوجود.

قوله: و يضحك الرّوح، يعني سماع الإجابة تضحك الرّوح، و معنى ضحك الرّوح هو سرورها بالوصلة و الاتّصال، و سيأتي الكلام على باب الاتّصال، و إنّما خصّ الضحك هنا بالرّوح ليخرج سرورا يضحك العقل و يبهجه، و ذلك في مقام العلم قبل رفع حجابه، و محلّه النّفس، لأنّ العقل يبقى ببقاء النّفس النّاطقة، فإذا محا الشّهود رسمها كان الإدراك بالرّوح، فيكون السّرور إنّما يضحك الرّوح.

/ و قد قيل: الفتح على قسمين، فتح في النّفس و هو يعطي العلم التّام نقلا و عقلا، و فتح في الروح، و هو يعطي المعرفة وجودا لا نقلا و لا عقلا.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۴۷۳

[باب السّرّ]

باب السّرّ قال الله عزّ و جلّ: اللهُ أَعْلَمُ بِمٰا فِي أَنْفُسِهِمْ.

أصحاب السرّ هم الأخفياء الذين ورد فيهم الخبر.

قوله: الأخفياء، أي الذين أخفاهم الله تعالى عن خلقه، إن حضروا لم يعرفوا، و إن غابوا لم يذكروا.

قوله: ورد فيهم الخبر، كأنّه يشير إلى قوله عليه السّلام: «ربّ أشعث أغبر لا يؤبه إليه، لو أقسم على الله لأبر قسمه».

[درجات السر]

و هي على ثلاث طبقات:

[الطّبقة الأولى طائفة علت هممهم، و صفت قصودهم، و صحّ سلوكهم]

الطّبقة الأولى:

طائفة علت هممهم، و صفت قصودهم، و صحّ سلوكهم، و لم يوقف لهم على رسم، و لم ينسبوا إلى اسم، و لم تشر إليهم الأصابع، أولئك ذخائر الله حيث كانوا.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۴۷۴

قوله: علت هممهم، أي كانوا في الدّرجة الثالثة من باب الهمّة، و قد تقدّم شرحها، فانظره هناك.

قوله: وصفت قصودهم، القصد المختصّ بهؤلاء هو القصد المذكور في الدّرجة الأخيرة من باب القصد، و هو العزيمة على اقتحام بحر الفناء، و المقصود جمع قصد، و الصّفاء قد ذكر شرحه، و هو في الدّرجة الأخيرة من باب الصّفاء، و هو الصّفاء الذي يدرج حظّ العبوديّة في حقّ الربوبيّة.

قوله: و صحّ سلوكهم، أي سلموا من العوائق المذكورة في جملة الأبواب، و السّلوك هو ما شرحناه في الأبواب كلّها.

قوله: و لم يوقف على رسم، أي امّحت رسومهم، فلم يبق منها ما يقف عليه واقف، و كأنّ الإشارة بذلك إلى أنّهم ما علم كيف سلكوا.

قوله: و لم ينتسبوا إلى اسم، أي لم يشتهروا باسم عند النّاس، و يجوز أن يعني بقوله: و لم ينتسبوا إلى اسم، إنّهم لم يكن لهم مقام شهود جزئيّ في شهود تجلّيات الأسماء، بل محاهم الحقّ تعالى في حضرة الجمع الذاتيّ، بخلاف أهل التجلّيات الجزئيّة، فإنّ العادة جارية بين هذه

الطّائفة أن ينسبوا كلّ صاحب شهود جزئيّ إلى عبوديّة الاسم الخاصّ بذلك التجلّي، مثال ذلك: من انشقّ حسّه حتّى شهد بظاهره ظاهر الحقّ تعالى، فاسمه عندهم عبد الظّاهر، و من انشقّت نفسه حتّى شهد بسرّه سرّ الله تعالى، فاسمه عندهم عبد الأوّل، و من شهد في الخلق باللّه فظهرت له القيّوميّة التي قام بها كلّ شيء، فاسمه عندهم عبد القيّوم،/ و من شهد عظمة الله تعالى فانقهر تحت سلطان تجلّيها

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۴۷۵

عليه، سمّي عندهم عبد العظيم، و هكذا تجري أحكام الأسماء كلّها عندهم.

فأمّا من محت الحقيقة رسمه دفعة واحدة، فذلك لا ينسب إلى سم، فأمّا من كان فوقه من الكلّ، فقد تكون نسبته إلى اسم الله بحقّ الوراثة عن رسول الله صلّى الله عليه و سلم، و ذلك قوله عزّ و جلّ: **وَ أَنَّهُ لَمَّا قامَ عَبْدُ اللهِ يَدْعُوهُ**، فسمّى رسول الله صلّى الله عليه و سلم عبد الله، فهؤلاء الأخفياء الذين ما انتسبوا إلى اسم قد يكونون ممّن ذكرنا حالهم، و هم الذين محتهم الحقيقة دفعة واحدة.

قوله: و لم تشر إليهم الأصابع، أي، لم يشتهروا حال الحياة بين النّاس، و الشيخ محمّد بن عبد الجبّار النفريّ منهم، و أويس القرنيّ رضي الله عنهم سيّدهم.

قوله: أولئك ذخائر الله حيث كانوا، أي ذخائر الله الذين بهم يدفع البلاء عن عباده، كما يدفع بالذخيرة بلاء الحاجة.

[الطّبقة الثانية طائفة أشاروا عن منزل، و هم في غيره]

الطّبقة الثانية:

طائفة أشاروا عن منزل، و هم في غيره، و ورّوا بأمور و هم بغيرها، و نادوا على شأن و هم على غيره، فهم بين غيرة عليهم تسترهم، و أدب منهم يصونهم، و ظرف يهذّبهم.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۴۷۶

هذه الطبقة لقوم سادة هم مع النّاس بظواهرهم، يخاطبونهم على قدر عقولهم، و لا يظهرون ما ينكرونه عليهم، و يعتقد العالم أنّهم أمثالهم، يجدهم كلّ واحد عنده، و لا يجدون أحدا عندهم، و هم أهل تمكين.

قوله: أشاروا إلى منزل و هم في غيره، يعني مثل أن يشيروا بأنّهم عامّة و هم خواصّ، أو يشيرون إلى أنّهم أهل جهل و هم عارفون، و بالجملة فما يذكرون ما هم عليه، و لا يصفون أنفسهم إلاّ بما يعرفه النّاس.

قوله: و ورّوا بأمورهم بغيرها، التورية هي أن يذكر لفظا موهما حالين، و هو لا يريد إلاّ أحدهما، و ذلك مثل أن يقول أحدهم: ما لي عند الله منزلة، فيوهم أنّ ذلك لنقصه و هو لكماله، لأنّه قطع المقامات كلّها و بقي بلا مقام، لأنّه قد فنى رسمه، و المقامات إنّما تكون لأصحاب الرسوم.

قوله: و نادوا على شأن و هم على غيره، أي عظّموا شأنا و دعوا النّاس إليه بحالهم/ و مقالهم ظاهرا، و هم لا يرضون به لأنفسهم لأنّهم فوقه، و النّداء على الشيء هو إشهاره.

قوله: فهم بين غيرة عليهم تسترهم، أي يغار الحقّ تعالى عليهم فيسترهم، بل هم يغارون على أنفسهم فيستترون عن إدراك العالم، و لله درّ القائل:

و اسم تألّف بالخمول صيانة	فكأنّما تعريفه أن ينكرا
و كأنّه كلف الفؤاد بنفسه	فحمته غيرته عليها أن ترى

و كذلك قول بعضهم في معنى قوله: و أدب منهم يصونهم:

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۴۷۷

أبلج سهل الأخلاق ممتنع | يبرزه الدّهر و هو يحتجب
إذا ترامت به عزائمه إلى | الثريّا رسا به الأدب

قوله: و ظرف يهذّبهم، يعني إنّهم يتركون المنافسة في المقامات الإلهيّة تظرّفا، و في هذا المعنى قول بعضهم: أعطيت التصرّف، فمنعني منه التظرّف، و التّهذيب هو التّأديب.

[الطّبقة الثالثة طائفة أسرهم الحقّ عنهم و ألاح لهم لائحا أذهلهم عن إدراك ما هم فيه]

الطّبقة الثالثة:

طائفة أسرهم الحقّ عنهم و ألاح لهم لائحا أذهلهم عن إدراك ما هم فيه، و هيّمهم عن شهود ما هم له، و ضنّ بحالهم على علمهم معرفة ما هم به، فاستسرّوا عنهم مع شواهد تشهد لهم بصحّة مقامهم عن قصد صادق، يهيّجه غيب و حبّ صادق يخفى عليهم مبدأ علمه، و وجد غريب لا ينكشف لهم موقده، و هذا من أرقّ مقامات أهل الولايات.

قوله: أسرهم الحقّ عنهم، أي شغلهم به عن ذكر أنفسهم، و المولّهون هم من جملة هؤلاء، و أسرهم، الأسر معروف، و المراد به أنّه أخذهم إليه، و شغلهم عنهم، أي عن أنفسهم.

قوله: و ألاح لهم لائحا أذهلهم عن إدراك ما هم فيه، هؤلاء هم المولّهون، و ألاح بمعنى أظهر، و معنى أذهلهم، أي عقلت عقولهم عن إدراك ما هم فيه.

قوله: و هيّمهم عن إدراك ما هم له هؤلاء المهيّمون، و هم في مقام الكرّوبيين من الملائكة الذين قيل فيهم: الذين لا يعلمون أنّ الله خلق آدم لاشتغالهم بالحقّ تعالى عمّا سواه، فهم هائمون في شهود جماله، و معنى شهود ما هم له، أي هيّمهم/ عن شهود ما خلقوا له.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۴۷۸

قوله: و ضنّ بحالهم، أي بخل بحالهم على علمهم، أي لم يمكن علمهم أن يتعلّق بمعرفة حالهم و ما هم به.

قوله: فاستسرّوا عنهم، أي اختفوا حتّى عن أنفسهم.

قوله: مع شواهد يشهد لهم بصحّة مقامهم، أي يظنّهم الجاهل مجانين، و لهم عند المحقّق شواهد يعرفهم بها، تشهد لهم بصحّة حالهم بخلاف المجانين.

قوله: عن قصد صادق، أي حصل لهم هذا عن قصد صادق يهيّجه غيب، أي لهم قصد صادق ملازم لهم يهيجه أمر هو غيب عنهم، أي غائب عن إدراكهم.

قوله: و حبّ صادق يخفى عليه مبدأ علمه، أي هم لا يعرفون ما مبدأ ما بهم لغفلتهم عن الحسّ.

و وجد غريب، قد عرفت معنى الوجد، و الغريب يعني نوعه قليل الوجود.

قوله: لا ينكشف لهم موقده، شبّه الوجد بالنّار، و شبّه سببه بالموقد، و صاحب هذا الوجد ينكشف له السّبب الذي يوقد نار وجده.

قوله: و هذا من أرقّ مقامات الولايات، جعله رقيقا لكون الحسّ مغلوبا عند صاحبه، و العادة و الحجب لا يحكم عليه.

و أقول: إنّ هذا المقام ضعيف عند هذه الطّائفة، و الذي ذكر الشيخ في الطّبقة الثانية أعلى مقاما منه، و كان الواجب أن يقدّم هذا على ذاك، كما عادته أن يقدّم النّاقص، ثمّ يختم بالكامل، و يجوز أن توجد هذه الصّفات المذكورة في هذه الطّبقة الأخيرة بأدنى بارقة من الشّهود،

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۴۷۹

فيكون هؤلاء ضعفاء بالمرّة و أعظم القوم من يثبت للتّحقيق، و فيهم أقول من جملة أبيات:

إنّي امرؤ من عصابة كرمت أذهب في الحبّ حيثما ذهبوا
سقوا فلم يسكروا و كم فئة أسكرهم عطرها و ما شربوا

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد۲، ص ۴۸۱

[باب النّفس]

باب النّفس قال الله عزّ و جلّ: **فَلَمَّا أَفٰاقَ قٰالَ سُبْحٰانَكَ.**

سمّي النّفس نفسا لترويح المتنفّس به.

قوله: سمّي النّفس لترويح المتنفّس به، و التّنفيس هو التّرويح، فهو مشتقّ يقال نفس الله عنك الكرب، أي أراحك الله من الكرب.

[درجات النفس]

و هو على ثلاث درجات، و هي تشابه درجات الوقت، و الأنفاس ثلاثة:

[النّفس الأوّل نفس في حين استتار مملوء من الكظم]

النّفس الأوّل:

نفس في حين استتار مملوء من الكظم، معلّق بالعلم، إن تنفّس تنفّس تنفّسا بالأسف، أو نطق نطق بالحزن، و عندي: هو يتولّد من وحشة الاستتار، و هي الظّلمة التي قالوا إنّها مقام.

قوله: تشابه درجات الوقت، يعني في كون الأنفاس تكون عن وجد، و الوقت يكون عن وجد، قال في باب الوقت: هو حين

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد۲، ص ۴۸۲

وجد صادق، فقيّد الحين بالوجد، و الوحد بالحين، و قال في هذا الباب: هو نفس في حين، فقيّد بالحين و الوجد، لأنّه من اعتباره فيهما، و أيضا من جهة أنّ الوقت له سبب أو أسباب ذكرها في بابها، و كذلك النّفس له أسباب ستذكر، فبينهما تشابه من جهة أنّ كلّ واحد منهما هو عن أسباب عرضت للقلب.

قوله: النّفس الأوّل نفس في حين استتار، يعني التنفّس الذي يحصل لمن انحجب عنه مطلوبه، أو فارقه حال صادق قد كان له فاستتر عنه، فهذا و أشباهه هو الاستتار المشار إليه، و هو يوجب تنفّس الحزين المكروب.

قوله: مملوء من الكظم، الكظم هو التّسكين، يقال: فلان كظم غيظه، أي سكّنه، و المملوء هو ضدّ الفارغ، فكأنّه قال: نفس يضطرّ صاحبه إلى أن يسكّنه و يكظمه.

/ قوله: معلّق بالعلم، يعني ذلك النّفس معلّق بأحكام العلم الظّاهر، لا بأحكام الحال، و ذلك هو الكرب الشّديد من جهة خلوّه من أحكام المحبّة التي تهوّن الصّعب، و تعلّقه بالعلم الذي هو عالم التّكليف و القهر، فإنّ كرب المحبّة ممزوج بالحلاوة، و كرب العلم لا حلاوة فيه، و إنّما يسكن بمرارة الصّبر.

قوله: إن تنفّس تنفّس المتأسّف، يعني يتأسّف على ما استتر عنه من مطلوبه، أو من صدق حاله.

قوله: أو نطق نطق بالحزن، يعني، و إن نطق هذا المتنفّس نطق بما يدلّ على الحزن الشّديد على ما حجب عنه من مطلوبه أو من حاله.

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد۲، ص ۴۸۳

قوله: و عندي هو تولّد من وحشة الاستتار، يعني أنّ الصّوفيّة قالوا:

إنّ النّفس يكون في حين الاستتار، كما ذكر في أوّل الفصل، و لم يذكروا السّبب.

و الشيخ يقول: إنّ سببه عندي هو الوحشة الحاصلة من الاستتار، و الوحشة الحاصلة من الاستتار هي مرارة الفراق، و هو أمر معروف عند من فارقه محبوبه أو فاته أمر هو حريص عليه.

قوله: و هي الظلمة الّتي قالوا إنّها مقام، يعني أنّ وحشة الاستتار ظلمة، و قال قوم: إنّها مقام، و كان الشيخ لا يرى أنّها مقام، و رأي الشيخ عندي هو الحقّ، و سبب ذلك أنّ المقامات هي منازل في طريق المطلوب، فكلّ موقوف يحصل بتقدّم ما في السّلوك، فهو يصلح أن يسمّى مقاما، و أمّا وحشة الاستتار فهي تأخّر في الحقيقة لا تقدّم، فكيف يسمّى التأخّر مقاما و هو ضدّ المقام، فإلى هذا المعنى ذهب الشيخ رضي الله عنه.

و الدليل أيضا على أنّ وحشة المفارقة و الاستتار ليست مقاما، أنّ كلّ مقام ففيه محلّ تعلّق بالحقّ تعالى ليكون العبد في المقامات بالمقيم الحقّ لا بالمقام.

و أمّا حال الاستتار فهو حال انقطاع عن ذلك التعلّق المذكور، فهو إذا ضدّ المقام، فتبيّن بهذا أنّ النّفس يتولّد عن الاستتار، و أنّ ظلمة الاستتار ليست مقاما.

[النّفس الثاني نفس في حين التجلّي]

النّفس الثاني:

نفس في حين التجلّي، و هو نفس شاخص عن مقام السّرور إلى روح المعاينة، مملوء من نور الوجود، شاخص إلى مقام السّرور، و ذلك روح منقطع الإشارة.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۴۸۴

قوله: نفس في حين التجلّي النّفس الذي يتروّح به المتنفّس، و حين التجلّي هو زمان حصول الكشف، و التجلّي مشتقّ من الجلوة.

قوله: و هو نفس شاخص عن مقام السّرور، أي صادر عن مقام السّرور، لأنّ الشّخوص هو الخروج، تقول: فلان شاخص إلى سفره، أي خارج إلى سفره، و تقول: شخص فلان من المدينة مسافرا، أي خرج. و مقام السّرور قد تقدّم شرحه، و المراد هنا الدّرجة الثالثة من مقام السّرور، و هو سماع الإجابة، و هو الذي يمحو آثار الوحشة.

قوله: إلى روح المعاينة، أي إلى راحة المعاينة، إنّ الرّوح بفتح الرّاء هو الرّاحة، فكأنّه قال: إنّ هذا النّفس خارج من مقام السّرور طالب روح المعاينة.

قوله: مملوء من نور الوجود، أي هذا النّفس مملوء من نور الوجود، و الوجود عندهم هو حضرة الجمع، و يسمّى حضرة الجمع و حضرة الوجود، فكأنّه يقول: هذا النّفس منصبغ بنور الوجود، أي صاحب هذا النّفس لمّا تنفّس به كان مشاهدا لحضرة الوجود الجمعيّ.

قوله: شاخص إلى مقام السرّ، قد عرفت شرح مقام السرّ.

قوله: و ذلك روح منقطع الإشارة، أي و ذلك النّفس الموصوف بهذه الصّفات، هو روح منقطع الإشارة، أي راحة شهود حضرة الجمع التي هي منقطع الإشارة، لأنّها حضرة طمس.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۴۸۵

[النّفس الثالث: نفس يطهر بماء القدس]

النّفس الثالث:

نفس يطهر بماء القدس، قائم بإشارات الأزل، و هو النّفس الذي يسمّى صدق النّور، فالنّفس الأوّل للعبور سراج، و النّفس الثاني للقاصد معراج، و النّفس الثالث للمحقّق تاج.

قوله: نفس يطهر بماء القدس، هو الطهر، و التقديس هو التّطهير، و المراد بماء القدس هنا، هو الشّهود الذي يفني الحادث،/ و يبقي القديم جلّ

جلاله، فكأنّ صفات الحدوث عندهم نجس، و التجلّي المذكور هو يطهّره، و يثبت القدس الذي هو الطهر، و معنى الاسم القدّوس المنزّه، لأنّ التّنزيه تطهير و تقديس من النّقائص، و حاصل ما نقول:

إنّه نفس صدر عن مشاهد الأزل المطهّر للحوادث بمحوها.

قوله: قائم بإشارة الأزل، أي هو النّفس بعد تطهيره بماء القدس قام بإشارات الأزل، أي صاحب هذا النّفس قائم بإشارات الأزل، فعبّر بالنّفس عن المتنفّس، و معنى قيامه بإشارات الأزل هو كونه فني في عيانه من لم يكن، و بقي من لم يزل، فبقيت أنفاسه من جملة إشارات الأزل.

و في هذا المكان غوص، و تلخيصه، أنّ إشارات الأزل مدد تجلّياته، و الموجودات كلّهم قائمون بذلك المدد، أي دوامهم إنّما هو به، فهذا المتنفّس عند تنفّسه كان مشاهدته لقيامه هو و نفسه بإشارات الأزل، أي بمدده.

و قد ورد في المواقف: أوقفني و قال لي: إشارتي في الشيء تمحو معنى المعنى فيه، و تثبته منه لا به، و هذا اللّفظ لا أعلم في الوقت من يشرحه غيري و الله أعلم.

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد ۲، ص ۴۸۶

قوله: و هو النّفس الذي يسمّى صدق النّور، أراد بصدق النّور ظهوره، فحذف المضاف و أقام المضاف إليه مقامه، و إلاّ فالنّور كلّه صادق، غير أنّ ظهور صدقه للمكاشف إنّما هو عند ما يقع المحو في منقطع الإشارة، فإنّ السّالك يلوح في سلوكه النّور مرارا ثمّ يخفى، فإذا وقع المطر ظهر صدق البرق، و كذلك إذا حصل هذا الكشف المذكور ظهر صدق ذلك النّور الذي كان قد ظهر ثمّ استتر.

قوله: فالنّفس الأوّل للعبور سراج، أي سراج في ظلمة السّلوك، لأنّه تعلّق بالعلم كما تقدّم، و العلم سراج يهتدى به في ظلمة الأعمال الصّالحة، و تتيسّر طرقها به، و تتّضح مسالكها باستعماله، و ذلك هو العلم الظّاهر، فإذا هو للعبور إلى الأعمال سراج.

قوله: و النّفس الثاني للقاصد/ معراج، يعني لأنّه بنور التجلّي فهو معراج، إذ هو أعلى من العلم، إذ سلوكه بنور المعرفة الرّافعة لحجاب العلم.

قوله: و النّفس الثّالث للمحقّق تاج، يعني لأنّه نفس المتطهّر من دنس الأكوان و الوصلة بالمكوّن الحقّ تعالى، فهو تاج يفتخر به صاحبه على من دونه افتخارا ذاتيّا من غير قصد للفخر، و لا نطق باللّسان، و لو تلفّظ بالفخر لم يكن ذلك الفخر هو الفخر المنهيّ عنه، بل ليس هو فخرا، إذ هو ميراث من تبعيّة النبيّ صلّى الله عليه و سلم في قوله: «أنا سيّد ولد آدم و لا فخر»، أي ليس هذا القول من قبيل الفخر، بل هو من قبيل الإخبار بالشيء على ما هو عليه.

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد ۲، ص ۴۸۷

[باب الغربة]

باب الغربة قال الله عزّ و جلّ: فَلَوْ لا كانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلاً مِمَّنْ أَنْجَيْنا مِنْهُمْ.

الاغتراب اسم يشار به إلى الانفراد عن الأكفاء.

قوله تعالى: **إِلَّا قَلِيلاً مِمَّنْ أَنْجَيْنا مِنْهُمْ**، رجع معناه بعد التّأويل إلى أنّ الذين ينهون عن الفساد قليل منهم غرباء.

قوله: الاغتراب إلى آخر الفصل، أنّ كلّ من انفرد بوصف شريف دون أبناء جنسه يسمّى في اصطلاحهم غريبا.

[درجات الغربة]

و هو على ثلاث درجات:

[الدّرجة الأولى الغربة عن الأوطان]

الدّرجة الأولى:

الغربة عن الأوطان، و هذا الغريب موته شهادة، و يقاس له في قبره من مدفنه إلى وطنه، و يجمع يوم القيامة إلى عيسى بن مريم عليهما السّلام.

شرح‏منازل‏السائرين‏إلى‏الحق‏المبين، جلد۲، ص ۴۸۸

أراد بالغربة من الأوطان السّفر عن دويرة أهله إلى وطن آخر.

قوله: موته شهادة، إشارة إلى الخبر النّبويّ و هو قوله عليه السّلام:

«الغريب شهيد».

قوله: و يقاس له في قبره إلى آخر هذا الفصل، هذا ورد في الحديث.

[الدّرجة الثانية غربة الحال]

الدّرجة الثانية:

غربة الحال، و هذا من الغرباء الذين طوبى لهم، و هذا رجل صالح في زمان فاسد بين قوم فاسدين، أو عالم بين قوم جاهلين، أو صدّيق بين قوم منافقين.

قد فسّر الحال بالصّلاح،/ و هو على خلاف عادته و عادة القوم، و العذر في ذلك أنّه ما قصد الحال المعروف في الاصطلاح، بل الحال المعروف في اللّغة، فإنّ كلّ وصف فهو حال من أحوال النّاس.

قوله: و هذا من الغرباء الّذين طوبى لهم، أشار إلى الخبر النّبويّ و هو قوله عليه السّلام: «طوبى للغرباء». و طوبى قيل: موضع في الجنّة، قال الله تعالى: طُوبىٰ لَهُمْ وَ حُسْنُ مَآبٍ.

قوله: و هذا رجل صالح في زمان فاسد، الصّالح هو الذي عمل بالعلم، و صلاحه هو كونه مقيّدا بأحكام العلم الشّريف. و الزّمان الفاسد هو إمّا زمان الفتن، و هو الذي يشتغل النّاس فيه بالفتنة عن العمل، و إمّا زمان تكثر فيه المعاصي، و يقلّ إنكار المنكر.

قوله: بين قوم فاسدين، يعني فاسقين، أو كفرة منافقين.

شرح‏منازل‏السائرين‏إلى‏الحق‏المبين، جلد۲، ص ۴۸۹

قوله: أو عالم بين قوم جاهلين، العالم هو من علم علم الشّريعة المطهّرة لا غير، و الجاهل من جهل ذلك.

قوله: أو صدّيق بين قوم منافقين، الصدّيق هو الذي صدّق ظاهره و باطنه بما جاء عن الله تعالى و عن رسوله، و المنافق من خالف باطنه ظاهره، مشتقّ من النّافقاء و هو بيت اليربوع و الفأر البرّيّ، فإنّ له أبوابا كثيرة إذا طلب من إحداها خرج من الآخر، و لأبوابه أسماء من جملتها النّافقاء، و الفاسقاء، فالمنافق يشبه ذلك الفأر، لأنّه إذ طلب بالإسلام من باب النّطق خرج منه من باب الباطن، كما يخرج الفأر من الباب الآخر.

[الدّرجة الثالثة غربة الهمّة]

الدّرجة الثالثة:

غربة الهمّة، و هي غربة طلب الحقّ، و هي غربة العارف، لأنّ العارف شاهده غريب، و مصحوبه من شاهده غريب، فموجوده فيما يحمله علم أو يظهره وجد، أو يقوم فيه رسم، أو تطيقه إشارة، أو يشتمله اسم غريب، فغربة العارف غربة الغربة، لأنّه غريب في الدّنيا، و غريب في الآخرة.

قوله غربة الهمّة، هي السير من غير توان، و قد تقدّم شرحها.

قوله: و هي غربة العارف، العارف هو الذي ارتفع عنه حجاب العلم بالتجلّي الشهوديّ.

قوله: لأنّ العارف في شاهده غريب، شاهده هو الذي يشهد عنده بصحّة ما وجد، و ذلك هو الحقّ، و معنى غربته كون النّاس لا يدركونه، و لا يدركون حاله و لا يفهمون مقاله.

شرح‏منازل‏السائرين‏إلى‏الحق‏المبين، جلد۲، ص ۴۹۰

قوله: و مصحوبه من مشاهده غريب، يعني بالمصحوب العلم الحقيقيّ الذي يصحبه بعد المشاهدة، و ذلك أنّ الشّهود حالة فناء و سكر، و الصّحو منه يحصل علما يصحب ذلك المشاهد بعد انقضاء الشّهود، فذلك العلم هو مصحوبه من شاهده، و إنّما مصحوبه من شاهده غريبا، لأنّ إدراكه ليس بالعقل، بل بالحقّ تعالى، و إدراك النّاس/إنّما هو بالعقل، و الحقّ عند العقل غريب، و ذلك لأنّ الحقّ لا يشهد مع حضور العقل، فإذا علوم المشاهدة لا تكون مع علوم العقل، و بهذا التّناقض الذي بين طور العقل و طور الشّهود، حصل إنكار أهل العقول على العارفين، و أوجب الحقّ تعالى على العارفين كتمان ما أودعهم من أسراره، فعلومهم التي هي مصحوبهم من شاهدهم غريبة.

قوله: و موجوده فيما يحمله علم، أو يظهره وجد، أو يقوم به رسم، أو تطيقه إشارة، أو يشمله اسم غريب، يعني بموجوده ما يجده في شهوده وجدانا ذاتيّا حقيقيّا في هذه المراتب المذكورة، لأنّ الشهود يشملها كلّها شمولا واحدا حالة المشاهدة، فأمّا ما يحمله العلم فهو أحكام الشّرع كلّها، و موجود هذه المشاهدة في هذه الأحكام هو إصابته وجه الصّواب الذي أراد الحقّ تعالى في شرعه إصابة ليس فيها شكّ و لا تبديل، و هذه الإصابة غريبة عند علماء الشّرع، متروكة عندهم فيما تفقّهوا فيه من تلقاء أنفسهم، و الحقّ تعالى غير مطالب له بها، إذ ليست في وسعهم، و قد قال الله تعالى: **لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَها**. و هذا ليس وسعها.

و مسألة تكليف ما لا يطاق لا يدخل في هذا الباب، لأنّ تكليف ما لا يطاق فرع من العلم به، و هذا المشار إليه غير معلوم في الأصل،

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۴۹۱

فلا يرد علينا فرعه، و من جملة ما يحمله العلم و يجده العارف دون غيره أحكام الفلاسفة، بل العقلاء كلّهم، فإنّ موجود العارف من علومهم غريب عندهم، و ذلك لأنّ الحقّ تعالى تعرّف إلى العقول على مقاديرها، و هو فوق مقاديرها، و تعرّف إلى أرواح أهل المشاهدة به فعرفوه، فكان هو العارف و المعروف، و هذا القدر لا تحمله العقول.

و قد ورد هذا المعنى في بعض التنزّلات في كتاب المواقف، قال:

أوقفني فقال لي: تعرّفي في الذي أبديته لا يحتمل تعرّفي الذي لم أبده، فتعرّفه الذي أبداه هو المنقول و المعقول، و تعرّفه الذي لم يبده هو تعرّفه المشهود، و المعقول لا يحتمل المشهود،/فما يحمله العارف و يجده ممّا يحمله العلم، مع اعترافي بأنّ العلماء لا يدركونه من جهة أنّ العلم في نفس الأمر يحمله، و العارف يشهده، و غير العارف لا يعقله، فالعلم لا يحمله بالنّظر إلى إدراك العقل، فهو يحمله بالنّظر إلى إدراك الشّهود، فما بينهما هو موجود العارف ممّا يحمله العلم، و هو غريب.

قوله: أو يظهره وجد، هذه المرتبة الثانية، أي موجود العارف منها غريب بالنّظر إلى إدراك غيره، و ذلك أنّ الوجد يظهر أمورا ينكرها العلماء، و يثبتها العارفون، وجهة إثباتها هو موجود العارف منها، و ذلك غريب عند العالم، و لذلك ينكره، و الوجد قد تقدّم شرحه فطالعه من هناك.

و من جملة ما يثبته الوجد و ينفيه العلم سماع الصوفيّة و أحوالهم الخارقة.

قوله: أو يقوم به رسم، هذه هي المرتبة الثالثة ممّا موجود العارف فيها غريب، و هو شهود الرّسم و ما قام به، و الرّسم هو الصّور الخلقيّة،

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۴۹۲

و الذي قام به الرّسم هي القيّوميّة الإلهيّة من حضرة اسمه القيّوم، و العارفون يشهدون قيام الأشياء كلّها باللّه تعالى، و من دونهم لا يعلمون ذلك، و إنّ صدّق به صدّق به تقليدا، و هذه المرتبة فيها يشهد الخلق، و يشهد كيفيّة أحوال وجودهم مع الحقّ تعالى، و فيها يشهد أهل الوجود عين الماهيّة أو غيرها، و من أين أتت الصّور، و كيف أتته، و إلى أين ترجع، و موجود العارف من هذا كلّه، و ممّا لا يتناهى صوره من أحكام هذه المرتبة غريب جدّا، و هو من أعظم أسرار الله تعالى.

قوله: أو تطيقه إشارة، هذه المرتبة الرابعة ممّا موجود العارف فيها غريب، و هو ما تقوم به الإشارة دون العبارة، و ذلك يختصّ بمقام الأحوال و مواجيد المتوسّطين، و أكثر ما يكون هذا بين الصوفيّة، و ليس للعلماء في هذا حظّ، لأنّه يلطف إدراكه عنهم، و مع ذلك فموجود العارف

فيه غريب عن أهل الإشارات، لأنّهم بعد ضعفاء عن مقام مقام المعرفة.

قوله: أو يشتمله اسم، هذه المرتبة الخامسة/ ممّا موجود العارف فيه غريب، و المراد بما اشتمل عليه اسم سواء كان من الأسماء الإلهيّة أو من غيرها، فإنّ هذه المرتبة محيطة بكلّ الأسماء، و موجود العارف منها غريب، و لو لا ما في كشف موجود العارف في هذه المراتب الخمسة من سوء الأدب لأشرت إلى بعض حقائق موجود العارف فيها، لكن ذلك يفضي إلى نقص، و فيما ذكرناه كفاية.

قوله: فغربة العارف، الغربة هي أن يكون الإنسان بين أبناء جنسه غريبا، و أمّا غربة المعرفة، فهي لا تبقى معها نسبة بين أرباب جنسه و بينه البتّة، لأنّه فارق رسم الخلق حين محاه الحقّ، فهو إذا في غربة الغربة.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۴۹۳

قوله: لأنّه غريب في الدّنيا و غريب في الآخرة، يعني أنّ أهل الدّنيا و هم طلاّب الدّنيا لا يعرفونه، و ذلك لأنّه استتر بالحقّ عن الخلق كما قال الشاعر:

تسترّت عن دهري بظلّ جناحه ... فعيني ترى دهري و ليس يراني

فلو تسأل الأيّام ما اسمي فما درت ... و أين مكاني ما عرفن مكاني

و قد ورد عن بعض الأكابر و قد سئل عن التصوّف ما هو، فقال:

هو إسقاط الجاه، و سواد الوجه في الدّنيا و الآخرة، و فسّر شيخنا رضي الله عنه سواد الوجه بكونه مواجه حضرة الغيب، و هي تشبه الظّلمة، و أنا أقول: سواد الوجه في الدّنيا و الآخرة، هو إبهامه على أهل الدّنيا و الآخرة، أي لا يعرفونه في الحقيقة، هذا هو المحقّق لا الصوفيّ، فإنّ الصوفيّ هو صاحب الأخلاق الصّافية من الدنس لا غير.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۴۹۵

[باب الغرق]

باب الغرق قال الله تعالى: فَلَمَّا أَسْلَمٰا وَ تَلَّهُ لِلْجَبِينِ.

هذا اسم يشار به في هذا الباب إلى من توسّط المقام، و جاوز حدّ التفرّق.

قوله تعالى: **أَسْلَمٰا**، أي أسلما الأمر لله تعالى، **وَ تَلَّهُ لِلْجَبِينِ**، أي صرعه.

قوله: هذا اسم، يعني الغرق هو اسم في هذا الباب، يعني باب السّلوك إلى الله تعالى، أي في اصطلاح القوم.

قوله: إلى من توسّط المقام، المقام هو منزل من منازل السّالكين، و هو يختلف باختلاف مراتبه من البداية و التوسّط و النّهاية، و معنى توسّط المقام صار في وسط المقام.

[درجات الغرق]

و هو على ثلاث درجات:

[الدّرجة الأولى: استغراق العلم في عين الحال]

الدّرجة الأولى:

استغراق العلم في عين الحال، و هذا رجل قد ظفر بالاستقامة، و تحقّق في الإشارة بالكشف، فاستحقّ صحّة النّسبة.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۴۹۶

قوله: استغراق العلم في عين الحال، يعني إنّه انتقل من أحكام العمل بالعلم وحده إلى أحكام العمل بالمواجيد الحالية مع استصحاب صورة العلم، لكن صورة تكون مستغرقة مستهلكة في أحكام الحال، و هذا الانتقال المشار إليه هو بالعبور على مراد الله تعالى بالعلم على الوجه

الأصحّ.

قوله: و هذا رجل ظفر بالاستقامة، أي على محجّة الطريق إلى الله تعالى على أتمّ وجوه السّلوك إليه، و الظّفر هو تحصيل المقصود.

قوله: و تحقّق في الإشارة بالكشف، الإشارة ما يشير إليه، فإشارته غريقة في المشاهدة، و ليست كإشارة أهل البروق التي تلوح ثمّ تذهب.

قوله: فاستحقّ صحّة النّسبة، أي فاستحقّ أن ينسب إلى الحقّ تعالى بالعبوديّة على مقداره إن كان كشفه من عالم الجمال، فاسمه عبد المحسن، و عبد اللّطيف، و عبد الوهّاب، و شبه ذلك، و إن كان كشفه من عالم الجلال، فاسمه عبد العظيم، و عبد الجبّار، و عبد القاهر، و شبه هذه الأسماء، فأمثال هذه المعاني ينسب المكاشف إليها، فكأنّه قال:

استحقّ أن يكون عبدا، و هي أشرف النّسب.

[**الدّرجة الثانية استغراق الإشارة في الكشف**]

الدّرجة الثانية:

استغراق الإشارة في الكشف، و هذا رجل ينطق عن موجوده، و يسير مع شهوده، و لا يحسّ برعونة رسمه.

قوله: استغراق الإشارة في الكشف، أي ذهبت الإشارة في الكشف، بمعنى ارتفع حكم الإشارة، و ذلك أنّ الإشارة نداء على رأس البعد، بوح بغير العلّة، و قد ارتفعت العلل عن صاحب هذه الدّرجة،

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۴۹۷

فاستغرقت الإشارة في الكشف، فلم تبق له إشارة، و إنّما ترتفع الإشارة لظهور الوحدانيّة و فناء الثنويّة عنها، إلاّ أنّ صاحب هذه الدّرجة فيه رسم خفيّ، إلاّ أنّه لا يحسّ به، و لذلك قال في آخر الدّرجة: و لا يحسّ برعونة رسمه.

قوله: و هذا رجل ينطق عن موجوده، أي لا يحتاج فيما يذكره إلى أن ينقله نقلا من الكتاب، أو يأخذه بالوسائط،/ بل يشهده موجودا، و يجده شهودا، فهو ينطق عن عرفان موجود عنده، غير غائب عنه.

قوله: و يسير مع شهوده، أي و يكون سيره إلى الله تعالى عن شهود و كشف.

قوله: يسير هو بالسّين غير منقوطة لئلا يتصحّف بالشّين، فيكون بمعنى الإشارة، و ليس كذلك، فإنّ الإشارة هنا قد استغرقت في الكشف، و إنّما المراد الصّبر مع الشهود إلى المقرّ المقصود.

قوله: و لا يحسّ برعونة رسمه، الرّسم هو البشريّة و الخلقيّة، و بالجملة هو ذات العبد الّتي تفنى عند الشّهود، و الرّعونة هي الأخلاق الدنيّة، و الصّفات غير المرضيّة، و أكثر ما يوصف بالرّعونة الأطفال و الأحداث و النّسوان و من لا عقل له، و كأنّ الرّعونة طباع تكتسب من الدّلال في الصّغر، و عدم التّأديب و التّهذيب في الكبر، و مرجعها إلى النّفس الأمّارة بالسّوء، و ليس المراد بها في هذا المكان هذا كلّه، بل بقيّة تبقى من المشاهد لا يدركها لضعفها و قلّتها، و اشتغاله بنور الكشف عن ظلمتها، فهو لا يحسّ بها.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۴۹۸

[**الدّرجة الثالثة استغراق الشّواهد في الجمع**]

الدّرجة الثالثة:

استغراق الشّواهد في الجمع، و هذا رجل شملته أنوار الأوليّة ففتح عينه في مطالعة الأزليّة، فتخلّص من الهمم الدنيّة.

استغراق الشّواهد في الجمع، أي استغراق الأسماء و الصّفات في شهود حضرة الذّات، فإنّها هي حضرة الجمع، و الأسماء و الصّفات و ما يتبعها هي شواهد الجمع، فإذا ظهر الجمع نفسه غابت الشّواهد فيه، و هنا لك يفنى العبد بالكلّية، و يعود التعرّف غيبا في الكنزيّة.

قوله: و هذا رجل شملته أنوار الأوّليّة، أي و صاحب هذه الدّرجة هو رجل شملته أنوار الأوّليّة، و معنى شملته، أحاطت به، و أنوار الأوّليّة هي

حقائق الكنزيّة، و معنى الكنزيّة هو مفهوم قوله تعالى: كنت كنزا لم أعرف، أي غيبا لا أدرك.

قوله: ففتح عينيه في مطالعة الأزليّة، أي نظر بالحقّ لا بنفسه، فإدراك الأزل بالأزل تعالى، و معنى فتح في عينيه، أي استمدّ من نور الحقّ تعالى، و طالع الأزل، فيخلص من الهمم الدنيّة، أي يخلص من همم المخلوقين، فإنّها دنيّة، أي متعلّقة بالدّنايا، و هي القبائح، اكتفاء بالحقّ تعالى/ التي قامت عنه بأوصافه، فصارت أوصافه سيّئة، و ذلك هو ميراثه من محمّد صلّى الله عليه و سلم من سرّ الخلافة الإنسانيّة، و هو التّحقيق بشهود، **فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَ لٰكِنَّ الله قَتَلَهُمْ**، إذ شهد ذلك عيانا من غير تقليد، و الهمم جمع همّة، و قد تقدّم شرح الهمّة ما هي، و بالجملة فالهمّة هنا هي القصد.

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد۲، ص ۴۹۹

[باب الغيبة]

باب الغيبة قال الله تعالى: وَ تَوَلَّى عَنْهُمْ، وَ قٰالَ يٰا أَسَفىٰ عَلىٰ يُوسُفَ.

[درجات الغيبة]

الغيبة التي يشار إليها في هذا الباب هي على ثلاث درجات:

[الدّرجة الأولى غيبة المريد]

الدّرجة الأولى:

غيبة المريد، في مخلص القصد عن أيدي العلائق، و درك العوائق لالتماس الحقائق.

قوله: غيبة المريد في مخلص القصد، أي غيبة المريد عن بلده و وطنه و عاداته في محلّ تخليص القصد و تصحيحه ليقطع بذلك العلائق، و هي ما تتعلّق بقلبه و قالبه و حسّه من المألوفات، و يسبق العوائق حتّى لا تتدركه، و ذلك قوله: و درك العوائق.

قوله: لالتماس الحقائق، أي غيبة المريد لالتماس الحقائق، و هي جمع حقيقة، و الحقيقة هي صفة الحقّ تعالى، فكأنّه قال: لطلب شهود صفات الحقّ تعالى.

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد۲، ص ۵۰۰

[الدّرجة الثانية غيبة السّالك عن رسوم العلم، و علل السّعي، و رخص الفتور.]

الدّرجة الثانية:

غيبة السّالك عن رسوم العلم، و علل السّعي، و رخص الفتور.

قوله: غيبة السّالك عن رسوم العلم، أي انتقاله عن أحكام العلم إلى أحكام الأحوال و المواجيد، و ذلك يكون برفع حجاب العلم، و معنى رسوم العلم حدوده و معانيه، و غيبة السّالك عنها بأن يقوم له الحال مقام العلم، و هو للسّالك معراج، كما أنّ العلم سراج، و المعراج هو السلّم.

و قوله: و علل السّعي، يعني و غيبة السّالك أيضا من علل السّعي، و علل السّعي هي اعتقاد أنّه يوصل إلى الله تعالى، فالمساعي كلّها فيها علل، فإذا انتقل العبد عن حجاب العلم إلى موجود الحال، غاب إدراكه عن اعتبار السّعي و اعتبار أحكامه.

قوله: و رخص الفتور، أي و غاب أيضا عن إدراك رخص الفتور، ذلك لأنّ من كان حاضرا مع العلم اعتبر السّعي و الاجتهاد، و ضدّه الذي هو الفتور،/ فإذا انتقل إلى مواجيد الأحوال غاب عن إدراك الأمرين جميعا، فلا ينظر إلى عزيمة السّعي، و لا إلى رخص الفتور لغيبته عنهما معا.

[الدّرجة الثالثة غيبة العارف عن عيون الأحوال و الشّواهد]

الدّرجة الثالثة:

غيبة العارف عن عيون الأحوال و الشّواهد، و الدّرجات في عين الجمع.

العارف هو المتوسّط، و غيبته عن عيون الأحوال، أي لا يرى الأحوال و لا تراه، لأنّ الأحوال تقتضي واجدا و موجودا و وجدانا، و الجمع يمحو الرّسوم، و لا يبقي ثنويّة.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۵۰۱

قوله: و الشّواهد هي الأسماء و الصّفات، و الغيبة عنها هي شهود الذّات، و هو الجمع.

قوله: و الدّرجات، أي و الغيبة عن رؤية الدّرجات، و اعتبار علوّها و قربها و غير ذلك.

قوله: في عين الجمع، أي الدّرجة الثالثة هي الغيبة في عين الجمع عن هذه الثلاثة أشياء: عيون الأحوال، و الشّواهد، و الدّرجات.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۵۰۳

[باب التمكّن]

باب التمكّن قال الله عزّ و جلّ: وَ لا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ.

التمكّن فوق الطمأنينة، و هو إشارة إلى غاية الاستغراق.

التمكّن هو القدرة على التصرّف في الفعل و التّرك، و أكثر ما يطلق في اصطلاح القوم على ما حصل له البقاء بعد الفناء، و هو نهاية السّفر الثاني، غير أنّ الشيخ رضي الله عنه لم يرد به في هذا الباب ذلك المعنى، لأنّ الشيخ لم يذكر في هذا الكتاب نفسا واحدا من أحكام السّفر الثاني، فكيف الثالث و الرابع، و الطمأنينة هي السّكون، و غاية الاستغراق هي نهايته، و الاستغراق و الغرق واحد، و قد شرح مقام الغرق، فطالعه من هناك.

[درجات التمكن]

و هو على ثلاث درجات:

[الدّرجة الأولى تمكّن المريد]

الدّرجة الأولى:

تمكّن المريد، و هو أن تجتمع له صحّة قصد تيسّره، و لمع شهود يحمله، و سعة طريق تروّحه.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۵۰۴

و قد عرفت معنى المريد، و إنّه فوق العابد، و دون السّالك، و تمكّنه هو بما ذكره.

قوله: و هو أن تجمع له إلى آخر الدّرجة، يعني و التمكّن هو أن يجتمع له ما ذكره، و هو إمّا صحّة القصد، و ذلك الذي يسيّره، أي يسير به، و إمّا لمع شهود تحمله، يعني يحثّه و يحرّضه، و إمّا سعة الطّريق التي تروّحه، فإنّ سعة الطّريق هي جمعيّة المريد و تواتر/البوارق الّتي ترشده.

[الدّرجة الثانية تمكّن السّالك]

الدّرجة الثانية:

تمكّن السّالك، و هو أن تجتمع له صحّة انقطاع، و برق كشف و صفاء حال.

السّالك هو فوق المريد، و دون العارف.

قوله: و هو أن تجتمع له صحّة انقطاع عن الأغيار، هذا هو المراد.

قوله: و برق كشف، البرق قد تقدّم شرحه، و الكشف هو الشّهود.

قوله: و صفاء حال، هو أن لا يعارضه العلم، و لا تفارقه الهمّة، و لا يسلب في وقت من الأوقات.

[الدّرجة الثالثة تمكّن العارف]

الدّرجة الثالثة:

تمكّن العارف، و هو أن يحصل في الحضرة فوق حجب الطّلب لابسا نور الوجود.

العارف فوق السّالك و دون الفقير.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۵۰۵

قوله: و هو أن يحصل في الحضرة، يعني تمكّن العارف هو أن يحصل في الحضرة، و يعني بالحضرة حضرة الجمع.

قوله: فوق حجب الطّلب، يعني أنّ الطّالب يكون من قبل حضرة الجمع، و لا يكون إلاّ مع الحجب، و لو لا الحجب لما كان طلب، فإذا حضرة الجمع لمن هو فوق حجب الطّلب، و الحجاب هو رؤية الأغيار بأيّ صفة من صفات الأغيار.

قوله: لابسا نور الوجود، هذه اللّفظة هي أعلى لقطة مرّت بي في الأبواب الماضية، و ذلك أنّ الفاني في الشّهود هو الفقير، و هو الذي تمكّن من العارفين، فإذا ردّ إلى البقاء بعد الفناء، كان الوجود لسانه و كسوة عليه، و ذلك هو موطنه من الغيب المطلق، و ليس المراد بالوجود ما يفهمه أهل الكلام و لا الحكماء، فإنّ أكثرهم يعتقد أنّ الوجود عرض، و ليس المقصود هنا ما يذهبون هم إليه، و لكن معنى آخر يعرفه أهله، و مع هذا فإنّ هذا المقام هو أوّل السّفر الثّاني.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۵۰۷

[قسم الحقائق]

و أمّا قسم الحقائق، فهو عشرة أبواب، و هي:

المكاشفة و المشاهدة و المعاينة و الحياة و القبض و البسط و السّكر و الصّحو و الاتّصال و الانفصال

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۵۰۹

[باب المكاشفة]

باب المكاشفة قال الله تعالى: فَأَوْحىٰ إِلىٰ عَبْدِهِ ما أَوْحىٰ.

المكاشفة مهاداة السرّ بين باطنين، و هو في هذا الباب بلوغ ما وراء الحجاب وجودا.

قوله: مهاداة السرّ، أي تردّد السرّ في الإدراك.

قوله: بين باطنين، يعني باطن المكاشف، و باطن/المكاشف به، فأمّا إنّ ما كوشف به العبد باطن، فإنّه لو كان ظاهرا احتاج إلى الكشف فهو إذا باطن، و أمّا أنّ الذي يدركه من الإنسان هو باطن، فإنّه ليس من إدراك الحواسّ، فيكون ظاهرا، و إذا لم يكن ظاهرا فهو إذا باطن، و أمّا تهادي السرّ بين الباطنين فهو سريانه، و قد يقال للمرأة الجميلة:

إنّها تتهادى، أي تتمايل و تتدافع في مشيتها.

قوله: و هو في هذا الباب بلوغ ما وراء الحجاب، يعني في باب السير إلى الله تعالى هو بلوغ ما وراء الحجاب من المشاهد الإلهيّة، و احترز بقوله في هذا الباب من المكاشفة الصّوريّة، و هو كشف الصّور،

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۵۱۰

مثل الإخبار بوقت قدوم الغائب، و الإخبار بما وراء الجدار ممّا لم يشاهده بالحسّ، و نحو ذلك، و تلك المكاشفة ليست في طريق الله عزّ و جلّ، بل هي قاطعة عنه، و لذلك لم تختصّ بها ملّة دون أخرى.

قوله: ما وراء الحجاب، يعني حجاب العلم، و قد تقدّم شرح ذلك.

قوله: وجودا، احتراز من إدراك ذلك سماعا أو فهما، و إن كان الفهم لا يتعلّق به، لكن يتوهّم أنّه تعلّق به، و أمّا الوجود فذلك هو المشاهدة.

[درجات المكاشفة]

و هو على ثلاث درجات:

مكاشفة تدلّ على التّحقيق الصّحيح، و هي أن تكون مستديمة، فإذا كانت حينا دون حين، لم يعارضها تفرّق، غير أنّ العين ربّما شابت إنّه قد بلغ مبلغا لا يلفته قاطع، و لا يلويه سبب، و لا يقطعه حظّ، و هي درجة للقاصد، فإذا استدامت فهي الدّرجة الثانية.

قوله: تدلّ على التّحقيق الصّحيح، هو مطالعة تجليّات الأسماء الإلهيّة، هذا هو أوّل التّحقيق الصّحيح.

قوله: و هي أن تكون مستديمة، يعني و المكاشفة الدالّة على التّحقيق، هي التي تكون مستديمة، أي دائمة.

قوله: فإذا كانت حينا دون حين، لم يعارضها تفرّق، يعني، فإذا كانت المكاشفة في حين دون حين و لم يعارضها تفرّق، فهي الدّرجة الأولى.

قوله: لا يلفته قاطع، يعني لا يوجب التفات المكاشف سبب قاطع عمّا كوشف به.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۵۱۱

قوله: و لا يلويه سبب، أي لا يلويه عن مقصوده سبب من أسباب المنع، و يعني يلويه، يردّه.

/ قوله: و لا يقطعه حظّ، أي، لا يقطعه عن مقصوده حظّ من حظوظ النّفس أو البشريّة.

قوله: و هي درجة القاصد، يعني الدّرجة الثانية من باب القصد، و هو القصد الذي لا يلتقي سببا إلاّ قطعه، و لا حائلا إلاّ منعه، و لا تحاملا إلاّ سهّله، فإذا أردت شرح ذلك فطالعه من باب القصد من قسم الأصول.

قوله: فإذا استدامت، فهي الدّرجة الثانية، يعني، فإذا استدامت هذه الصّفات المذكورة فهي حقيقة الدّرجة الثانية، و لا يحتاج إلى ذكرها، لأنّها تفهم من الدّرجة الأولى صورها، و يضاف إلى ذلك دوامها، فتكون هي الدّرجة الثانية.

و أمّا الدّرجة الثالثة:

فمكاشفة عين، لا مكاشفة علم، و لا مكاشفة حال، و هي مكاشفة لا تذر سمة تشير إلى التذاذ، أو تلجئ إلى توقّف، أو تنزل على رسم، و غاية هذه المكاشفة المشاهدة.

قوله: مكاشفة عين، أي تتعلّق بعين الحقيقة.

قوله: لا مكاشفة علم، مكاشفة العلم هي التي تتعلّق بأمثلة في الذّهن، دالّة على صور ما كوشف به، و ذلك هو العلم.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۵۱۲

قوله: و لا مكاشفة حال، مكاشفة الحال هي المواجيد التي يجدها السّالك بالواردات و التنزّلات مع رفع حجاب العلم و خرق العادة، و ذلك هو مكاشفة الحال.

قوله: و هي مكاشفة لا تذر سمة تشير إلى التذاذ، يعني أنّ هذه المكاشفة تمحو رسم المكاشف، فلا تبقي منه ما يحسّ بلذّة الأحوال، و المواجيد لها لذّات روحانيّة، و مكاشفة العين تغيب المكاشف عن إدراك تلك اللذّة، فهذا معنى قوله: لا تذر سمة تشير إلى التذاذ، و السمة هي العلامة.

قوله: أو تلجئ إلى موقف، يعني إنّ البقيّة تلجئ إلى التوقّف عن السّلوك، و هذه المكاشفة في الدّرجة الثالثة لا تبقي بقيّة تلجئ إلى التوقّف، و معنى قوله: تلجئ، أي تحوج، و حاصل كلامه أنّ تلك المكاشفة لا تذر سمة و لا بقيّة.

قوله: و لا تنزل على رسم، أي لا تنزل هذه المكاشفة على من بقي فيه رسم، و قد تقدّم شرح الرّسم.

قوله: و غاية هذه المكاشفة المشاهدة، يعني، و نهاية هذه المكاشفة هو مقام المشاهدة التي نذكره بعد هذا المقام.

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد۲، ص ۵۱۳

[**باب المشاهدة**]

باب المشاهدة قال اللّه عزّ و جلّ: إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَذِكْرىٰ لِمَنْ كٰانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَ هُوَ شَهِيدٌ.

المشاهدة سقوط الحجاب، و هي فوق المكاشفة، لأنّ المكاشفة ولاية النّعت، و فيها شيء من بقاء الرّسم، و المشاهدة ولاية العين و الذّات.

قوله: المشاهدة سقوط الحجاب، يعني المشاهدة هي المسقطة للحجاب، أو الّتي تكون عند سقوط الحجاب، و ليست هي نفس سقوط الحجاب، لكنّه عبّر بالشيء عن لازمه، فإنّ سقوط الحجاب لازم للمشاهدة.

قوله: و هي فوق المكاشفة، لأنّ المكاشفة ولاية النّعت، يعني أنّ المكاشفة تتعلّق بالصّفات الإلهيّة، و ولايتها ولاية النّعوت، بخلاف المشاهدة.

قوله: و فيها شيء من بقاء الرّسم، يعني في الدّرجة الأولى من المكاشفة شيء من بقاء الرّسم، بخلاف المشاهدة، و أمّا الدّرجة الثالثة

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد۲، ص ۵۱۴

فقد قال فيها: إنّ مكاشفتها لا تنزل على رسم، فكيف يكون فيها بقاء رسم، و إنّما المراد الدّرجة الأولى من المكاشفة، و أمّا المشاهدة فليس فيها بقاء رسم لا في الأولى و لا في غيرها.

قوله: و المشاهدة ولاية العين و الذّات، العين هي الذّات، يعني، إنّها فوق ولاية الكشف، لأنّ تلك ولاية الصّفات، و هذه ولاية الذّات، و ولاية الذّات فوق ولاية الصّفات، و أقوال: إنّه قد تقدّم في كلامه ما يدلّ على أنّ المشاهدة قد تطلق على الصّفات، لكنّه ربّما رأى أنّ المشاهدات بالقصد الأوّل للذّات بالحقيقة و إطلاقها على الصّفات بطريق المجاز، و اللّه أعلم، و إن كان هذا أمرا راجعا إلى الاصطلاح، فلا ضرورة في مشاحته فيه مع علوّ قدره و وجوب الأدب معه.

[**درجات المشاهدة**]

و هو على ثلاث درجات:

[**الدّرجة الأولى مشاهدة معرفة تجري فوق حدود العلم في لوائح نور الوجود**]

الدّرجة الأولى:

مشاهدة معرفة تجري فوق حدود العلم في لوائح نور الوجود منيخة بفناء الجمع.

قوله: مشاهدة معرفة تجري فوق العلم، قد تقدّم مرارا ذكر المعرفة، فإنّها فوق العلم، و هو أن ينتقل العمل بالعلم إلى العمل بالمعرفة، و ذلك لأنّ أعمال المقرّبين غير أعمال الأبرار.

قوله: في لوائح نور الوجود، يعني أنّ المعارف هي أحكام لوائح نور الوجود، فكأنّه يقول: مشاهدة المعرفة هي في بوارق تلوح من نور الوجود، و قد عرفت أنّ الوجود هو حضرة الجمع المقدّم ذكرها، و يسمّى حضرة الجمع و حضرة الوجود، و معنى الكلمتين سواء واحد، و لذلك/ قال: منيخة بفناء الجمع.

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد۲، ص ۵۱۵

قوله: منيخة بفناء الجمع، أي تلك المشاهدة المذكورة منيخة بفناء الجمع، و الإناخة معروفة، و هي أن تبرك الناقة أو البعير، و الفناء هو ساحة في جانب الدّار، و هذا مثل مضروب، كأنّه مثّل المشاهد بالمسافر، و المشاهدة بناقته التي يسافر عليها، و شبّه حضرة الجمع بالدّار و قد أناخ المشاهد ناقته بفنائها، أي في جانب من جوانبها، كلّ ذلك إشارة إلى إشرافه على حضرة الجمع، فإنّ نور الوجود لا يلوح إلاّ منها.

[**الدّرجة الثانية: مشاهدة المعاينة تقطع حبال الشّواهد**]

الدّرجة الثانية:

مشاهدة المعاينة تقطع حبال الشّواهد، و تلبس نعوت القدس، و تخرس ألسنة الإشارات.

هذه المشاهدة الثانية هي فوق مشاهدة المعرفة، لأنّ تلك عن لوائح نور الوجود، و اللّوائح هي البوارق، و هذه مشاهدة معاينة الوجود نفسه، لا بوارق نوره، فهي أعلى، و المعاينة أن تقع العين في العين.

قوله: تقطع حبال الشّواهد، شبّه الشواهد بالحبال، و الشّواهد هي التي تجذب العبد إلى الحضرة، فكأنّها حبال ينجذب بها العبد إلى مطلوبه، و هذا لا يكون إلاّ إذا كان بعيدا، فأمّا إذا عاين محبوبه، فلا يحتاج إلى تلك الحبال، فإذا المعاينة تقطع حبال الشّواهد، و الشّواهد هي الأنوار اللاّئحة من الوجود، كأنّها تشهد للسّالك أنّه على الطّريق المستقيمة الموصلة إلى المطلوب، إذ لو كان طالبا غير جهة محبوبه ما لاحت له أنواره، فالنّور اللاّئح شاهد صادق بصحّة السّلوك، و أنّه على جادّة الطّريق، قال تعالى: **وَ مَن لَمْ يَجْعَلِ اللّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُورٍ**، أي هاديا.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۵۱۶

قوله: و تلبس نعوت القدس، القدس هو التّطهير، بل هو نفس النّزاهة و الطّهارة، و نعوت النّزاهة هي صفاتها، كأنّه قال: يستحقّ العبد بالمعاينة أن يوصف بنعوت القدس، و النّعت و الصّفة واحد، و كأنّه يقول: أن يوصف بصفات مطهّرة من الغيريّة منزّهة من الأجنبيّة، و ذلك أنّ الحقّ تعالى يلبسه من صفاته ما شاء كما يشاء، و ذلك التّحقيق بالأسماء الحسنى، و هو فوق التخلّق بها، و استعار لفظة تلبس ليعرّفنا أنّ نعوت القدس هي خلع من الحقّ تعالى على أهل المعاينة، فإنّ الخلع تلبس، و إنّما كانت خلعا من الحقّ، / لأنّها بالحقيقة أسماء الحقّ تعالى ألبسها عبده على حكم الوجود و الهبة، كما يلبس السّلطان خلعة لخاصّته، و على الخلع رقوم نعوته دالّة على أنّها في الأصل لسلطانه لا له، و في هذا إشارة إلى أنّ رسم العبوديّة باق معتبر يثبت بالحقّ بعد فناء رسم الخلق، و إذا اغترّ بعض أهل المقام بلباس نعوت القدس، و ظنّ أنّها له حقيقة و نسي الأصل، شطح كما شطح قوم كثير هم من أهل هذا المقام، و لكن ثبت نقصهم عند الكمّل، لعدم ملاحظتهم رسم العبوديّة.

قوله: و تخرس ألسنة الإشارات، يعني أنّ الإشارات هي كالألسنة النّاطقة عن المعاني، فإذا وصل العبد إلى مشاهدة المعاينة عاد نطق الإشارة خرسا، لأنّه لا يفيد، فأشبه الأخرس الذي لسانه موجود و هو غير ناطق، فهو في معنى المفقود، فلمّا أشبهت الإشارة الألسنة، أشبه بطلان دلالتها الخرس، و إنّما بطلت الإشارة لأنّها تقتضي شرطا خفيّا و هو كونها تدلّ على ثلاثة أشياء: تدلّ على مشير، و على مشار إليه، و على إشارة إليه، و على إشارة معقولة بينهما، و حضرة المعاينة لا يكون فيها تثليث و لا ثنويّة، لأنّها توحيد و فردانيّة.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۵۱۷

[الدّرجة الثالثة مشاهدة جمع تجذب إلى عين الجمع]

الدّرجة الثالثة:

مشاهدة جمع تجذب إلى عين الجمع، مالكة لصحّة الورود، راكبة بحر الوجود.

قوله: مشاهدة جمع، يعني مشاهدة الذّات التي تستغرق الأسماء و الصّفات، و هي حضرة الجمع.

قوله: تجذب إلى عين الجمع، أي تجذب وجود العبد إلى حضرة الغيب، و صفة هذا الجذب هو أن يحلّ الحقّ عقد خلقيّته بيد حقيته، فيرجع النّور الفائض على صورة خلقيّته إلى أصله، و يرجع العبد إلى عدميّته، فيبقى الوجود للحقّ، و الفناء للخلق، و يقيم الحقّ تعالى و صفا من أوصافه نائبا عنه في استجلاء ذاته، فيكون الحقّ تعالى هو المشاهد ذاته بذاته في طور من أطوار ظهوره، و هي مرتبة عبده، فإذا أثبت تعالى عبده بعد نفيه و محوه، و أبقاه بعد فنائه، فعاد كما يعود السّكران إلى محوه، وجد في ذاته أسرار ربّه، و علوم صفاته، و حقائق ذاته، و معالم وجوده، و مطارح أشعّة نوره، و أذواق حكمه، و وجد خلقيّته أسماء مسمّيات ذاته و عوده إليه، فيرى العبد ثبوت ذلك الاسم في حضرة سائر الأسماء المشيرة بدلالتها إلى وجوده المنزّه الأصل / الموهم الفرع، فيؤدّي استصحاب النّظر إلى أصله أنّ الفرع لم يفارقه إلاّ بشكله، و الشّكل

على اختلاف ضروبه يفنى إمكانه في وجوبه.

قوله: مالكة لصحّة الورود، أي تلك المشاهدة تكون مالكة لصحّة الورود، أي تشهد هي لنفسها بصحّة ورودها إلى حضرة الجمع، و تشهد الأشياء كلّها لها بالصّدق، و يشهد المشهود أيضا لها بذلك، فتملك من مجموع هذا صحّة الورود، أي لا يبقى عندها احتمال شكّ

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۵۱۸

في ذلك، بخلاف الشّواهد التي في الدّرجتين الأوليين، فإنّهما يذهبان ببعض الشكّ لا بكلّه، و يحقّقان من كلّه، و عبّر بقوله مالكة عن التمكّن، فإنّ الملك هو أتمّ في التمكّن من غير الملك.

قوله: راكبة بحر الوجود، يعني تلك المشاهدة هي راكبة بحر الوجود، و معنى ركوبها بحر الوجود، هو كونها في بحر الوجود لا في أنواره، و لا في بوارق أنواره، و الوجود هو حضرة الجمع كما علمت.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۵۱۹

[باب المعاينة]

باب المعاينة قال الله تعالى: أَ لَمْ تَرَ إِلىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ

[المعاينات ثلاثة]

المعاينات ثلاثة:

أحدها: معاينة الأبصار.

أحدها: معاينة الأبصار.

و الثانية: معاينة عين القلب، و هي معرفة الشيء على نعته علما يقطع الرّيبة، و لا تشوبه حيرة، و هذه معاينة بشواهد العلم.

أحدها معاينة الأبصار،

و هي معلومة و لمّا كان الشيخ لم يتعرّض في معاينة الأبصار في شيء سكتنا نحن أيضا عن ذلك، إذ ليس لنا حاجة إلاّ في شرح ما يقوله لا غير.

[المعاينة الثانية معاينة عين القلب]

قوله: المعاينة الثانية معاينة عين القلب، يعني بعين القلب العقل المستنير بالحكمة من غير كشف، هي معاينة أرباب القلوب المنوّرة بآثار الأعمال الصّالحة، فهي توقف على أسرار العلم، و قد علمت أنّ العلم حجاب، لكنّه يختلف إدراك العالمين فيه، فمن تنوّر قلبه عاين حقائق العلم.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۵۲۰

قوله: و هي معرفة الشيء على حقيقته المعلومة لا المعروفة، و ذلك لأنّ إدراك العلم في طوره علم، و إدراكه في طور المعرفة معرفة، لأنّ العارف يشهد العلوم بعين المعرفة، فتكون العلوم في حقّه معارف، و ليس المقصود في هذا الفصل إلاّ إدراك العلم في طور العلم، لا في طور المعرفة التي هي أعلى من العلم.

/ قوله: علما يقطع الرّيبة، يعني يرفع الشكّ، لأنّ الرّيبة هي الشكّ.

قوله: و لا تشوبه حيرة، أي لا تمازج ذلك العلم حيرة، و هذه نهاية إدراك العلم.

قوله: و هذه معاينة بشواهد العلم، أي هذه المعاينة هي بشواهد هذا العقل و النّقل، فإنّهما مادّة العلم الصّحيح إذا كان النّقل عن الثّقات إلى الصّادق الصّادع بالمعجزات صلوات الله عليه.

[المعاينة الثالثة معاينة عين الرّوح]

المعاينة الثالثة:

معاينة عين الرّوح، و هي التي تعاين الحقّ عيانا محضا، و الأرواح إنّما ظهرت و أكرمت بالبقاء لتعاين سناء الحضرة، و تعاين بهاء العزّة، و تجذب القلوب إلى فناء الحضرة.

قوله: معاينة عين الرّوح، يعني المكاشفة.

قوله: و هي التي تعاين الحقّ عيانا محضا، أراد بالحقّ هنا الحقّ الذي هو ضدّ الباطل، و لم يرد الحقّ تعالى، فإنّ الرّوح لا تعاين الحقّ تعالى، إذ لا يعاين الحقّ إلاّ الحقّ.

قوله: و إنّما ظهرت و أكرمت بالبقاء لتعاين سناء الحضرة، يعني إنّما وجدت، فعبّر بقوله: ظهرت عن وجدت.

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد۲، ص ۵۲۱

قوله: و أكرمت بالبقاء، أي كان البقاء لها كرامة من الله تعالى لتعاين سناء حضرة الباقي عزّ و جلّ، و الرّوح هي من سناء الحضرة المذكورة، فيجوز أن يرى سناء الحضرة.

قوله: و يعاين بهاء العزّة، بهاء العزّة هو نور التّوحيد، فإنّ العزّة هي الوحدانيّة، لأنّ العزّ في اللّغة هو الامتناع، و امتناع الحقّ هو بالوحدانيّة، و ذلك لأنّ ظهورها يعني ما سواها، فيمتنع الحقّ بذلك عن إدراك خلقه إيّاه، فسمّى الحقّ تعالى بالعزيز نفسه باعتبار حضرة العزّة، و هي الوحدانيّة.

قوله: و تجذب القلوب إلى فناء الحضرة، يعني أنّ الأرواح تجذب القلوب إلى فناء الحضرة، و فناء الحضرة جانبها، و الفاء مكسورة في الفناء لأنّه لم يرد الفناء الذي هو المحو، و إنّما أراد الفناء بكسر الفاء الذي هو الجانب، و إنّما قلت ذلك لأنّ الفناء بفتح الفاء لا يجذب إليه إلاّ نور الحقّ، و الرّوح من جملة ما تفنى به، فكيف تكون الرّوح التي تجذب إليه، فثبت أنّه رضي الله عنه لم يرد إلاّ الفناء مكسور الفاء، أي الجانب.

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد۲، ص ۵۲۳

[باب الحياة]

باب الحياة قال الله عزّ و جلّ: أَ وَ من كٰانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنٰاهُ.

[اسم الحياة في هذا الباب يشار به إلى ثلاثة أشياء]

اسم الحياة في هذا الباب يشار به إلى ثلاثة أشياء:

[الحياة الأولى حياة العلم من موت الجهل.]

الحياة الأولى:

حياة العلم من موت الجهل.

قوله: حياة العلم من موت الجهل، شبّه الجاهل الذي لا يعلم علم الشّريعة بالميّت، و العلم بالحياة التي تزيل ذلك الموت، و ذلك لأنّ الحركة هي دليل الحياة، و الحركة المعتبرة هنا/إنّما هي حركة العلم الصّالح، و لا تكون إلاّ بالعلم، فإذن الحياة موقوفة على العلم، فسمّاها حياة استعارة و تشبيها.

و لها ثلاثة أنفاس:

نفس الخوف. و نفس الرّجاء. و نفس المحبّة.

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد۲، ص ۵۲۴

قوله: نفس الخوف، يعني علوم الوعيد، و التّرهيب من النّار، و كلّ ما ينسب إليها من العذاب، و النّكال، و كلّ ما ذكر من الكتاب و السنّة يتعلق بالتّخويف من ذلك هو من علوم نفس الخوف.

قوله: و نفس الرّجاء، يعني علوم التّرغيب و الوعد الجميل بالجنّة، و كلّ ما نسب إليها من النّعيم و السّرور و كلّ ما ذكر في الكتاب و السنّة و يتعلّق بالتّرغيب من ذلك هو من علوم نفس الرّجاء.

قوله: و نفس المحبّة، يعني علوم السّلوك الذي هو فوق التصوّف فكلّ ما ورد من مثل قوله **يُحِبُّهُمْ وَ يُحِبُّونَهُ**، و ما ينسب إلى ذلك هو من علوم المحبّة، فهذه ثلاثة أنفاس كلّها في الدّرجة الأولى من الحياة المختصّة بالعلم.

[الحياة الثانية حياة الجمع من موت التّفرقة.]

الحياة الثانية:

حياة الجمع من موت التّفرقة.

و المراد بالجمع هنا ليس الجمع المشار إليه قبل هذا من إنّه هو حضرة الوحدانيّة، و لكن المراد هنا هو جمع الخواطر في التوجّه إلى الله عزّ و جلّ على اختلاف مراتبه، و سمّى الجمع المذكور حياة، لأنّه يؤدّي إلى الحياة الأبديّة، و سمّى التّفرقة موتا، لأنّ التّفرقة هي الإعراض عن التوجّه إلى الله تعالى، و هو يؤدّي إلى موت القلب و دار البوار، فاستحقّ بذلك أن يسمّى التّفرقة موتا.

و لها ثلاثة أنفاس: نفس الاضطرار، و نفس الافتقار، و نفس الافتخار.

نفس الاضطرار هو من أوائل السّلوك، و هو انقطاع الأمل ممّا سوى الله تعالى، فيضطرّ إلى الله تعالى، و كلّ ضرورة تلجئ العبد إلى الله

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد۲، ص ۵۲۵

وحده على اختلاف ضروبها و أنواعها فهي من علوم نفس الاضطرار، و علوم الاضطرار كلّها هي أحد أنواع حياة الجمع.

قوله: و نفس الافتقار، نفس الافتقار هي وسط السّلوك، و هو فوق الاضطرار، لأنّ الاضطرار يقطع عن الخلق، و نفس الافتقار يعلق بالحقّ، فجميع علوم التعلّق بالحقّ بصفة العبوديّة التي يبرأ العبد فيها من الحول و القوّة و من دعوى الملك في شيء من الأشياء الخارجة عنه أو الدّاخلة في وجوده، و ما تبع ذلك أو تفرّع عنه فهو من نفس الافتقار،/ و ذلك أحد أنواع حياة الجمع.

قوله: و نفس الافتخار، هي شهودات التجلّيات الجزئيّة، و هو التحقّق بالأسماء الإلهيّة، و قد تقدّم شرح ذلك في الدّرجة الثانية من باب المشاهدة، و ذلك في قوله: و تلبس نعوت القدس، و ذلك هو الموجب للافتخار، لأنّ خلع الحقّ على عبده افتخار له، و ينبغي أن تعلم أنّ العبد لا يفتخر بذلك و إن كان عظيما، لأنّ العبوديّة تمنعه من الافتخار لما في الافتخار من النّظر إلى عالم نفسه، و ذلك مناقض للعبوديّة، و إنّما المراد بالافتخار المذكور هو شرف المنزلة بالتحقّق بأسماء سيّده، فجميع علوم الأدوات الحاصلة من التجلّيات و المعارف و المستفادة من المشاهدات هي من حياة الجمع المذكور.

[الحياة الثالثة حياة الوجود]

الحياة الثالثة:

حياة الوجود، و هي حياة بالحقّ.

حياة الوجود هو شهود القيّوميّة في أعلى درجاتها، و ذلك حيث لا يرى شيئا من الأشياء إلاّ و هو قائم بالله، و لذلك قال: و هي حياة بالحقّ،

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد۲، ص ۵۲۶

قال الله تعالى: **ما خَلَقْنَا السَّماٰوٰاتِ وَ الْأَرْضَ وَ ما بَيْنَهُمٰا إِلاَّ بِالْحَقِّ**، و أهل هذا المقام يفهمون من هذه الآية هذا المعنى، و ذلك أنّ الكتاب العزيز له وجوه، و له مفهومات لا تحصى و لا تتناهى، فكلّ مفهوم حقّ في نفس الأمر، فله في الكتاب نسبة، و للكتاب العزيز إليه

إشارة يعرفها أهلها، و إنّما سمّى هذه الحياة حياة الوجود إشارة إلى حضرة الجمع، و الوجود المذكور شرفها.

و لها ثلاثة أنفاس:

نفس الهيبة، و هي تميت الاعتلال، و نفس الوجود، و هو يمنع الانفصال، و نفس الانفراد، و هو يورث الاتّصال، و ليس وراء ذلك ملحظ للنظّارة، و لا طاقة للإشارة.

قوله: نفس الهيبة، يعني سطوة نور المشاهدة، و هي عند أوّل ما يسطع نور الوجود فيقع العبد في ذعر يستغرق حسّه في الالتفات إلى غير الحقّ تعالى من عوالم نفسه.

قوله: و هي تميت الاعتلال، الاعتلال هو شعوره بعوالم نفسه، و الهيبة إذا استغرقته عن الشعور بعوالم نفسه فقد مات الاعتلال المذكور، فهذا معنى قوله: و هو يميت الاعتلال.

قوله: و هو يمنع الانفصال، يعني و نفس الوجود يمنع الانفصال، و ذلك لأنّ العبد/ يشاهد أنّ الموجودات غارقة في نور موجدها و هو معها، قال تعالى: **وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ**، و ذلك الشّهود يمنع الانفصال، أي يمنع العبد المشاهد أن يحكم بالانفصال، بل يقول:

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۵۲۷

إنّ الحقّ تعالى مع الأشياء كما يعلم و على ما أراد من غير انفصال، و هذا و ما ينسب إليه من معارفه، و لا أقول من علومه هو من حياة الوجود، و إنّما قلت: و لا أقول من علومه، فإنّ هذه المراتب المذكورة في حياة الوجود لا تكون إلاّ بعد رفع حجاب العلم، مع أنّ المراتب المذكورة تشهد هنا أيضا، و لكن من كونها معارف، فإنّ العلم في المعرفة معرفة، و المعرفة لا تكون في العلم، لأنّ الأعلى لا يدخل تحت الأدنى، فإن نطق عارف بالمعارف عند أهل العلم ففهموا منها مفهوما، فذلك المفهوم من العلم لا من المعرفة.

قوله: و نفس الانفراد، يعني شهود الفردانيّة، و ذلك أنّ العبد يشهد عود الفروع إلى أصلها، فيشهد انفراد الحقّ تعالى بالوجود الحقيقيّ، و يشهد الوجود المجازيّ إنّما هو سعة منبسطة عن الوجود الحقيقيّ، فلا يرى إلاّ الوجود الحقيقيّ، و ذلك هو قوله: و هو يورث الاتّصال.

قوله: و هو يورث الاتّصال، أي يورث المشاهد معرفة الاتّصال.

قوله: و ليس وراء ذلك ملحظ للنظّارة، يعني ليس فوق ذلك مقام تنظر إليه عين النظّارة سواء كان النّظر بالعين أم بالقلب أم بالرّوح، إذ تلك الحضرة لا تقتضي الثنويّة لفناء السّوى في العين.

قوله: و لا طاقة للإشارة، أي لا قدرة للإشارة على أن تفيد معنى من المعاني، لأنّ المعاني مستهلكة التّعداد في وحدانيّتها، و الإشارة أيضا من جملة المستهلك، و كذلك المشير و المشار بسببه.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۵۲۹

[باب القبض]

باب القبض قال الله عزّ و جلّ: ثُمَّ قَبَضْناهُ إِلَيْنا قَبْضاً يَسِيراً.

القبض في هذا الباب اسم يشار به إلى مقام الضنائن الذين ادّخرهم الحقّ اصطناعا لنفسه.

مقام الضنائن هو ما سنذكر تفصيله بالنسبة إلى الثلاث فرق، و معنى الضّنائن المصطفين، و الضنائن جمع ضنينة، و هي الحاجة التي يضنّ بها، أي يبخلها، فإنّ ضنّ بمعنى بخل، و إن لم يكن بخلا ليدّخر ذلك لنفسه، و الاصطناع و الاصطفاء واحد في هذا الباب، قال الله تعالى: **وَ اصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي**، أي اصطفيتك،/ و معنى ادّخرهم الحقّ، أي حال بينهم و بين التعلّق بالخلق ليصرفهم إليه، كما يفعل بالذخائر، و هذا على حكم التّشبيه و الاستعارة.

و هم على ثلاث فرق:

فرقة قبضهم الحقّ تعالى إليه، قبض التوفّي، فضنّ بهم عن أعين العالمين.

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد۲، ص ۵۳۰

قوله: ثلاث فرق، أي ثلاث جماعات، فإنّ الفرقة هي الجماعة التي انفردت عن الجمع الكثير إذا انقسم.

قوله: فرقة قبضهم الحقّ إليه قبض التوفّي، أي جماعة قبضهم، أي سترهم وقاية لهم، و هؤلاء هم أهل العزلة و الخلوة و السياحة الذين لا يخالطون النّاس، قبضهم الحقّ تعالى للأنس به، و وقاهم شرور الاجتماع بالنّاس، فكأنّه بخل بهم على العالمين لعدم استحقاق العالمين أن يكون هؤلاء معهم، و ليس ذلك بخلا، لأنّ الجواد الحقّ لا يصدق عليه اسم الضنّة و البخل، و لكن صورة ذلك صورة بخل، و هو حكمة في نفس الأمر.

قوله: فضنّ بهم عن أعين العالمين، أي بخل بهم كما ذكرنا، عن أن تراهم أعين العالمين، فعزلهم عن الاجتماع بالنّاس.

و فرقة قبضهم بتستّرهم في لباس التّلبيس، و قد أسبل عليهم أكلّة الرسوم، فأخفاهم عن أعين العالم.

قوله: و فرقة قبضهم بتستّرهم في لباس التّلبيس، و قد أسبل عليهم أكلّة الرّسوم فاخفاهم عن أعين العالم، أي و جماعة قبضهم عن إدراك الخلق لا عن عيونهم، فهو معهم، لكنّ حالهم ملتبس عليهم، لا يعلمون شيئا من أحوالهم مع الله تعالى.

و التّلبيس هو التّخليط و التّشكيك، و شبّه باللّباس الذي يستر الجسد عن العين، و هؤلاء هم الذين يكونون بين الخلق، و الخلق لا يعرفونهم، و لا يثبتون لهم الولاية.

قوله: و قد أسبل عليهم أكلّة الرّسوم، أي أجرى عليهم أحكام العوامّ، يأكلون كما تأكل العوامّ، و يشربون كما تشرب العوامّ، مع

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد۲، ص ۵۳۱

أنّهم خواصّ الحقّ، و بركة الخلق. و معنى أسبل، أي جعل الغطاء سابلا، أي طويلا ساترا، و الأكلّة جمع كلّة، و هي تسمّى اليوم بشه خانه، و الرّسوم هي أحوال الخلق، فكأنّ مشاركتهم للخلق في الأفعال و الأقوال هي التي سترتهم عن إدراك أحوالهم مع الله تعالى، و هذه الحالة اختارها.

قوله: فأخفاهم عن أعين العالم، أي لا ينظرونهم بنظر الولاية، بل بنظر العامّة،/فكأنّهم ما نظروهم، و ذلك إخفاؤهم عن أعين العالم.

و فرقة قبضهم منهم إليه، فصافاهم مصافاة سرّ. فضنّ بهم عليهم.

قوله: منهم إليه، أي ما كانوا بقلوبهم مع غيره، بل معه، فقبضهم إليه منه، لأنّهم لم يكونوا من الغير، و لا الغير منهم، و هذه صفة نهاية التوجّه بالفقر.

قوله: فصافاهم مصافاة سرّ، أي جعل مواجيدهم في أسرارهم للطف إدراكهم، فلم يظهر عليهم في ظاهرهم رعب الأحوال، و لم يظهر على بشراتهم تأثيرات الجلال و الجمال، و ذلك لقوّة استعداد الكمال، فهذا معنى قوله: فصافاهم مصافاة سرّ.

قوله: فضنّ بهم عليهم، أي أخذهم بالفناء عن رسومهم، و أثبتهم به له منه، فهم فيه غائبون عن نفوسهم، فكأنّه ظنّ، أي بخل عليهم حيث لم يمكّنهم من رؤية أنفسهم، و هذا هو مقام الفناء في الوحدانيّة، فإنّ أثباتهم لم يبلغ أن يشهدوا الخلق بالحقّ، و هذا هو نهاية السّفر الأوّل.

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد۲، ص ۵۳۳

[باب البسط]

باب البسط قال الله عزّ و جلّ: يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ.

البسط أن يرسل شواهد العبد في مدارج العلم، و يسبل على باطنه رداء الاختصاص، و هم أهل التّلبيس.

قوله: أن يرسل شواهد العبد في مدارج العلم، يعني أن يستعمل العبد في ظاهره بمقتضى العلم و العبادة، و لم يحتجب باطنه عن حقّ المعرفة،

و لا عن أحوال الخصوص، فإنّ العلم هو للعموم، و ما فوق حجابه هو للخصوص، فمعنى يرسل شواهد العبد التي تشهد بحاله في مدارج العلم، أي في مراتب العلم، و ذلك هو العمل بمقتضى العلم، و هو وصف بذاته، فهو للعموم.

قوله: و يسبل على باطنه رداء الاختصاص، أي يستر باطنه برداء الاختصاص، كأنّه قال: و باطنه لابس رداء الاختصاص، أي حال الخواصّ، و المقصود أنّ باطنه باطن الخواصّ، و هم حملة أسرار الله عزّ و جلّ، و ظاهره ظاهر عامّي عابد عامل بالعلم.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۵۳۴

قوله: و هم أهل التّلبيس، يعني أنّهم هم الذين ذكرهم في باب القبض، و هم الفرقة الثانية خاصّة، و لذلك قال بعضهم: يسترهم بلباس التّلبيس.

و إنّما بسطوا في ميدان البسط، لأحد ثلاثة معان، لكلّ معنى طائفة.

قوله: بسطوا، أي بسطهم الحقّ، و لم/ يتعمّلوا هم البسط من أنفسهم.

قوله: في ميدان البسط، أي في معان البسط المختلفة، كالسّماع الشهيّ، و ملاحظة المنظر البهيّ، و الحضور في البساتين الأنيقة، و ملاحظات أحداق زهرات الحديقة، و التصرّف في معاني النظم و النثر، و انتهاز الفرص في ملح الدّهر، و سمّى هذا ميدانا إشارة إلى تنوّع التصرّف المشبّه بجولان الفارس في الميدان في كونه يذهب مقبلا و مدبرا و يمينا و شمالا و مستديرا و مستقيما، و لا سيّما لاعب الكرة، فإنّه كثير التصرّف، فذكر الميدان عبارة عن كثرة التصرّف و الجولان في معاني التظرّف.

قوله: لأحد ثلاثة معان، يعني يكون البسط منحصرا في هذه المعاني الثلاثة.

قوله: و لكلّ معنى طائفة، يعني أنّ كلّ معنى تختصّ به طائفة مخصوصة سنذكرهم، و بقي عليه أن يذكر أنّ هناك طائفة لا تختصّ بمعنى من هذه الثلاثة دون المعنيين الآخرين، بل يتصرّف في البسط بمقتضى المعاني الثلاثة، و هذه الطائفة أكمل من الثلاثة المذكورة.

فطائفة بسطت رحمة للخلق يباسطونهم و لا يؤيسونهم فيستضيئون بنورهم، و الحقائق مجموعة، و السرائر مصونة.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۵۳۵

قوله: بسطت رحمة للخلق، أي جعل الله انبساطهم مع الخلق رحمة لهم، أعني للخلق، و ليس المراد بهذه الرّحمة رحمة الآخرة، بل رحمة الدّنيا، و ذلك بأن يثبّتوهم أن يحكم فيهم سلطان الخوف حتّى يمنعهم من اللذّات المباحة لهم في الدّنيا، و ذلك لأنّ الخوف لا ينبغي أن يغلب الرّجاء، و إن كانت الغلبة و لا بدّ، فليكن الرّجاء، لأنّ الحقّ تعالى يقول:

سبقت رحمتي غضبي.

قوله: فيستضيئون بنورهم، أي يقلّدونهم في البسط، فينبسطون بسطا مباحا، و يعرّفونهم كيف يحفظون الأدب في البسط، فيكون ذلك بمنزلة من نور لهم طريق البسط حتّى مشوا فيه على الحقّ، و نورهم الذي يستضيئون به هو نور المعرفة التي في بواطنهم، لا نور العلم الذي أرسلت شواهدهم فيه كما ذكر في أوّل الباب.

قوله: و الحقائق مجموعة، أي انبسطوا و الحقائق التي هي عالم سرائرهم مجموعة في بواطنهم لم تتفرّق بالانبساط الذي اشتغل به ظاهرهم، فكأنّه قال: إنّ البسط لم يشتّت قلوبهم عن إدراك ما كوشفوا به من عوالم الاختصاص الذي أشار به في أوّل الباب بقوله:/ و يسبل على باطنهم رداء الاختصاص.

قوله: و السرائر مصونة، أي و سرائرهم مصونة، أي لم يكشفوها للجهّال، و إن كانوا معاشرين لهم لأجل البسط الذي آنسهم إليه، و ألّف بينهم و بينهم.

و طائفة بسطت لقوّة معانيهم و تصميم مناظرهم، لأنّهم طائفة لا تخالج الشّواهد مشهودهم، و لا تصرف رياح الرّسوم موجودهم، فهم منبسطون

في قبضة القبض ..

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد۲، ص ۵۳۶

قوله: و طائفة بسطت، أي بسطهم الحقّ تعالى.

قوله: لقوّة معانيهم، أي لقوّة إدراك معانيهم، أو لقوّة ظهور معانيهم لبواطنهم، و كلا المعنيين يقارب الآخر.

و حاصل المقصود أنّهم لا يقدر البسط أن يحجبهم عن معاينة مطلوبهم، فكان البسط مباحا لهم لعدم تأثيره فيهم.

قوله: و تصميم مناظرهم، يعني لتصميم مناظر قلوبهم، و هي لطائفها الإنسانيّة المدركة، و تصميمها هو شدّة توجّهها إلى مشهودها، فكأنّ البسط لم يقدر على حجبها عن مشهودها، فكان الانبساط مباحا لهم لذلك، فهذا معنى قوله: و طائفة بسطت لقوّة معانيهم و تصميم مناظرهم.

قوله: لأنّهم طائفة لا تمازج الشّواهد مشهودهم، يعني بسطهم الحقّ تعالى لأنّهم طائفة لا تمازج الشّواهد مشهودهم ممّا يدركونه بواسطة الشّواهد، فيكون إدراكهم بالاستدلال، بل مشهودهم حاضر لهم، لا يخالط مشاهدتهم له شواهد من غيره، الشّواهد هي مثل الأمارات و العلامات، و مشهودهم هو الحقّ تعالى من حيث المقام الذي أقامهم فيه.

قوله: و لا تصرف رياح الرّسوم موجودهم، يعني أنّ الحقّ تعالى بسطهم لهذا السّبب أيضا، و هو كون رياح الرّسوم و هي صور الخلق لا تصرف موجودهم، و هو شهودهم للحقّ تعالى، أي لا يستطيع البسط أن يصرف عنهم ما وجدوه و هو موجود معهم و لهم، و شبّه الرّسوم بالرّياح، و ذلك لأنّ معاني الصّور الخلقيّة تمرّ على أهل الشّهود الضّعيف، فتحرّك بواطنهم للشّكوك، كما تهبّ الرّياح على الجيف،

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد۲، ص ۵۳۷

فتثير الرّائحة الخبيثة، فهو يقول: إنّ هؤلاء الذين بسطهم الحقّ سالمون من هبوب رياح الرّسوم الّتي هي صور المخلوقات.

قوله: فهم منبسطون في قبضة القبض، أي فهم حالة انبساطهم غير محجوبين عن معاني/القبض، بل يحصل لهم و هم في البسط يحصل للمتوجّهين و هم في القبض، و جعل للقبض قبضة، إشارة إلى أنّ القبض هو عالم حصر، فأشبه القبضة من اليد حين تجتمع على ما في الكفّ فتحصره.

و طائفة بسطت أعلاما على الطّريق، و أئمّة للهدى، و مصابيح للسّالكين.

هذه طائفة المعنى الثالث، و هم في زمان النبوّات الأنبياء صلوات الله عليهم، و في غير زمان النبوّات المشايخ رضوان الله عليهم، غير أنّ شرط هذه الرّتبة قطع السّفر الثاني، و الشيخ رحمه الله لم يذكر في هذا الكتاب شيئا من أحكامه إلى الآن، فإن كان فيما بقي من الأبواب تعرّض بذكره ضمنا فيمكن، فإنّي لم أطالعه إلى الآن، و بعيد أن يذكره، لأنّي لم أر غيره ممّن سلف ذكره.

قوله: أعلاما على الطّريق، أي كان بسط الحقّ إيّاهم ليستأنس النّاس إليهم فيدعوهم إلى الله فيستجيبوا ثم يعيدوا بهم في السّلوك فيهتدوا.

قوله: و أئمّة للهدى، ظاهر المعنى.

قوله: و مصابيح للسّالكين، أي يشبهون في هداية النّاس بهم إلى المصابيح الّتي توقد في أديرة الرّهبان، كما كانت العادة في الزّمان القديم، فإنّ الرّهبان في البراري كانوا يوقدون المصابيح للقوافل ليهتدوا بها، و أيضا مثل الفوانيس يعدّها الملوك و أمراء الرّكب، و المعنى ظاهر.

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد۲، ص ۵۳۹

[**باب السّكر**]

باب السّكر قال الله تعالى حاكيا عن كليمه: **قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ**.

السّكر في هذا الباب اسم يشار به إلى سقوط التّمالك في الطّرب، و هذا من مقامات المحبّين خاصّة، فإنّ عيون الفناء لا تقبله، و منازل العلم لا تبلغه.

قوله: يشار به إلى سقوط التّمالك، سقوط التّمالك هو عدم الصّبر، و تقول: ما تمالكت أن أفعل كذا، أي ما قدرت أن أصبر عنه، فكأنّه قال: هو اسم يشار به إلى قوّة الطّرب الذي لا يملك عنه الصّبر.

قوله: و هذا من مقامات المحبّين خاصّة، و ذلك هو قوله: فإنّ عيون الفناء هي حقائق الفناء، و معنى قوله: لا يقبله، أي لا يقبل السّكر، و ذلك لأنّ السّكر شبه الحيرة و الجهل، و الفناء يفني معاني كلّ شيء، و يفني الحيرة و الجهل أيضا.

فحقائق الفناء إذا لا تقبل السّكر، و المقصود بهذا الكلام ان يبيّن أنّ السّكر ليس من أوصاف العارفين و لا الواصلين أصلا،/لأنّ ما فوق

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۵۴۰

العلم هو للعارفين و البالغين، و حقائقهم هي حقائق الفناء، فهم لا يقبلون صفة السّكر لأجل أنّ مقامهم و هو الفناء لا يقبله، و مقامهم جميع ما فوق العلم من الشّهودات.

قوله: و منازل العلم لا تبلغه، يعني أنّ السّكر صفة تعرض لمن هو فوق مقام العلم و دون مقامات أهل الشّهود فما فوقه، و هي الشّهودات لا تقبله، و ما تحته و هو العلم لا يبلغه، لأنّه فوقه، و اختصّ السّكر في هذا الباب بمقام المحبّة خاصّة، و ذلك أنّ المحبّة هي آخر موضع تلتقي فيه مقدّمة العامّة، و هو طور العلم بساقة الخاصّة، و هو طور الشّهود، و البرزخ الحائل بين المقامين هو مقام المحبّة، فاختصّ به السّكر لما قدّمنا ذكره.

[للسّكر علامات ثلاث]

و للسّكر علامات ثلاث:

[العلامة الأولى الضّيق عن الاشتغال بالخبر]

الضّيق عن الاشتغال بالخبر، و التّعظيم قائم.

هذه العلامة الأولى من الثلاث علامات، و هي قوله: الضّيق عن الاشتغال بالخبر، يعني أنّ المحبّ يشغله شدّة وجده بالمحبوب و حضور قلبه معه، و ذوبان جوارحه من السقم به عن سماع الخبر عنه، و هذا المعنى يشبه رجلا تكون المحبّة الغالبة قد حملته، لا يغفل عن الحقّ طرفة عين، فيسمع من الوعّاظ ما ورد في حقّ الغافلين من الخبر، فإنّ هذا المحبّ لا يقدر أن يسمع ذلك أبدا لضيقه عن سماع الغفلة، لأنّه قطع مقامها، و أبغض زمانها و أيّامها، و هو يشبه أن يقال من أنّ ذكر الجفاء في وقت الصّفاء جفاء، فإذا المحبّ يضيق عن الاشتغال بالخبر.

قوله: و التّعظيم قائم، يعني إنّه يكره الاشتغال بالخبر لما فيه من الغفلة، مع أنّه معظّم جناب من وردت عنه الأخبار، و ذلك أنّه شغله

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۵۴۱

العمل بالحديث النّبوي عن سماع الحديث النّبويّ، فإعراضه إعراض مقبل معظّم للرّسول صلّى اللّه عليه و سلم و للشريعة، و لا إعراض مبغض منكر، فهذه إحدى علامات سكر المحبّة أن يحصل الضّيق عن الاشتغال بالخبر مع وجود التّعظيم له.

و قوله: قائم، أي هو حاضر معه لم يفارقه.

[العلامة الثانية اقتحام لجّة الشّوق، و التّمكين دائم.]

و اقتحام لجّة الشّوق، و التّمكين دائم.

هذه هي العلامة الثانية عن علائم السّكر، أن يقتحم العبد لجّة الشّوق و التّمكين دائم، و اقتحام لجّة الشّوق هو الدخول في بحر الشّوق، فإنّ اللجّة هي البحر، و التّمكين هنا هو لزوم/الورع و العمل بالعلم، و دوام ذلك صحّته غلبة الشّوق.

[العلامة الثالثة الغرق في بحر السّرور و الصّبر هائم.]

و الغرق في بحر السّرور و الصّبر هائم.

هذه العلامة الثالثة من علائم السّكر، و هو أن يكون المحبّ غريقا في بحر السّرور، أي لا يفارق السّرور حتّى كأنّه بحر و قد غرق فيه، فكما أنّ الغريق لا يفارقه الماء، كذلك المحبّ لا يفارقه السّرور، و من ذاق شيئا من المحبّة علم صحّة ما يقول الشيخ رضي اللّه عنه، فإنّ نعيم المحبّة دائم، و إن كان ممزوجا بالألم، إلاّ أنه ألم يطيب لصاحبه، بحيث لا يختار مفارقته.

قوله: و الصّبر هائم، أي يكون غريقا في بحر السّرور، و صبره مفقود، و الهيمان هو التشتّت و الحيرة.

و ما سوى هذا فحيرة تنتحل اسم السّكر جهلا، أو هيمان يسمّى باسمه جورا.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد۲، ص ۵۴۲

يقول: و ما سوى ما ذكرناه من الثلاث علائم، فهو من المحبّة، إلاّ أنّه لا ينبغي أن يسمّى سكرا مثل الحيرة، فإنّها تنتحل اسم السكر، بهذا، أي يسمّى سكرا عند الجهّال، و الجهل بالسّكر هو الذي حملهم على تسميته سكرا، و مثل الهيمان فإنّه قد يسمّيه من لا يعرف السّكر سكرا، و ذلك جور، و الجور هو ضدّ العدل، و أصله الخروج عن الطّريق المستقيم.

و ما سوى ذلك فكلّه يناقض البصائر، كسكر الحرص، و سكر الجهل، و سكر الشّهوة.

يعني ما سوى ما ذكره من المعاني الثلاثة و المعنيين الآخرين و هما الحيرة و الهيمان، فإنّما هو أمر يناقض البصائر، أي يخالف البصائر، و البصائر هي العقول، فكأنّه يذمّ ما سوى ما ذكر أوّلا.

ثمّ عدّد بعض الأشياء التي تناقض البصائر فقال: كسكر الحرص، و هو ضدّ الزهد، و سكر الجهل، و هو ضدّ العلم، و سكر الشّهوة، كشهوة النّكاح، و ما أشبه ذلك من السّكرات التي لا توافق العقل، و قال الشّاعر:

سكرات خمس إذا مني المرء بها صار عرضة للزّمان سكرة الحرص و الحداثة و العشق و سكر الشراب و السّلطان قال بعضهم: و بقي عليه أن يذكر سكرة الموت، و بالجملة فالسّكرات المناقضة للعقل كثيرة، و المراد السّكر المذكور أوّلا.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد۲، ص ۵۴۳

[باب الصحو]

باب الصّحو قال اللّه تعالى: حَتَّى إِذٰا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قٰالُوا ما ذٰا قٰالَ رَبُّكُمْ قٰالُوا الْحَقَّ.

الصّحو فوق السّكر، يعني أنّ السّكر في الانفصال،/ و الصّحو في الاتّصال، و سنذكر الفرق بينهما.

و هو يناسب مقام البسط.

يعني، و الصّحو يناسب مقام البسط، و وجه المناسبة أنّ الصّحو شبيه بالسلوّ الذي يعطي الفراغ، و الفراغ يناسب الانبساط، فإنّه شغل من لا شغل له، فالصّحو أيضا يعطي الفراغ من أحكام السّكر، فكما أنّ السّكر أخو المحبّة، فكذلك الصّحو أخو السلوّ و هما يناسبان البسط.

و الصّحو مقام صاعد عن الانتظار، مغن عن الطّلب، طاهر من الحرج.

قوله: صاعد عن الانتظار، أي هو أعلى من أن يصحبه الانتظار، لأنّ الصّاعد هو المستعلي، و إنّما كان فوق الانتظار، لأنّ صاحبه قد اتّصل.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد۲، ص ۵۴۴

قوله: مغن عن الطّلب، أي أنّ صاحبه مستغن عن الطّلب، و هو التوجّه و السّلوك.

قوله: طاهر من الحرج، أي لا حرج عليه، لأنّه قد قضى حقّ العبوديّة، و قام بوظيفة العمر في بعضه، و الحرج هو الضّيق، و الطّاهر منه هو الخالي.

فإنّ السّكر إنّما هو في الحقّ، و الصّحو إنّما هو بالحقّ.

قوله: فإنّ السّكر إنّما هو في الحقّ، أي محبّة الحقّ، و المحبّة في عالم الغيريّة و السّوى، فكأنّه بعيد.

قوله: و الصّحو إنّما هو بالحقّ، أي بوجود الحقّ، فهو في عالم الوصلة فكأنّه في القرب، و مقصوده أن يفضّل مقام الصّحو و يرفعه عن مقام السّكر.

و كلّما كان في عين الحقّ لم يخل من حيرة، لا حيرة الشّبهة، بل حيرة في مشاهدة نور العزّة.

قوله: و كلّما كان في عين الحقّ لم يخل من حيرة، يريد بذلك السّكر، فإنّه في عين الحقّ، و هو مقام حيرة.

و عندي أنّ الشيخ رحمه الله اضطرب قوله في السّكر، فإنّ كلامه في هذا الفصل يدلّ على أنّ السّكر في عين الحقّ بمشاهدة نور العزّة، و قد تقدّم قوله في مقام السّكر و معانيه الثلاثة، و إنّه لا تقبله عيون الفناء، و لا تبلغه منازل العلم، فجعل مقامه بين العلم و بين المعرفة، و ذلك قبل الشّهود، ثمّ ذكر في هذا الفصل أنّ فيه حيرة في مشاهدة نور العزّة، و نور العزّة هو نور الحضرة الجمعيّة، و هو أعلى من مقام المعارف

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۵۴۵

الصّادرة عن التجلّيات الأسمائيّة، و ليس له عندي عذر، إلاّ أن يفسّر مشاهدة نور العزّة هاهنا باستشراف المحبّ على بوارق المحبوب من وراء أستار الغيوب، على أنّ تلك مطالعة وهميّة في ملابس كثيفة، و أنوار العزّة يطالع مقام/ حضرة الجمع.

و بالجملة فنحن نفسّر معنى لفظه، و نترك تحقيقه فنقول: قوله:

و كلّما كان في عين الحقّ لم يخل من حيرة، يعني أنّ من كان ناظرا في عين الحقيقة لزمته الحيرة.

قوله: لا حيرة الشّبهة يعني أنّ تلك الحيرة المشار إليها حيرة تنوّع الأنوار، لا حيرة من ضلّ عن سبيل المقصود، فإنّ الشّبهة هي اشتباه الطّريق على السّالك، لا يدري أعلى حقّ هو أم على باطل.

قوله: بل حيرة في مشاهدة نور العزّة، هو نور حضرة الجمع، و هو عند ورود العبد إلى الفناء، و هذا عندي هو أعلى من مقام السّكر، و ذكره هنا منسوبا إلى السّكر عند ما أراد أن يفرّق بينه و بين الصّحو، فجعل السّكر في الحقّ، و جعل الصّحو بالحقّ، ثمّ فسّر ما هو في الحقّ الذي هو السّكر بمشاهدة نور العزّة، ثمّ يذكر بعد ذلك ما هو الحقّ و يعني به الصّحو.

و ما كان بالحقّ لم يخل من صحّة، و لم يخف عليه من نقيصة، و لم تتعاوره علّة.

قوله: و ما كان بالحقّ، يعني هنا الصّحو الذي رام أن يفضله على السّكر، و هذا هو القصد الأوّل، و يدخل في ذلك كلّما كان بالحقّ، و يكون ذلك بالقصد الثاني.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۵۴۶

قوله: لم يخل من صحّة، أي لم يخل من صحّة وصلة فيه على مقداره في كونه بالحقّ، و ذلك هو الاسم القيّوم و مراتبه، و قد تقدّم شرحه.

قوله: و لم يخف عليه من نقيصة، أي لم يخف على من يكون بالحقّ نقيصة و ذلك هو مقام في يبصر، و في يسمع، و من يتصرّف بالحقّ لم يتصرّف في نقيصة.

قوله: و لم تتعاوره علّة، التّعاور الاختلاف، كأنّه قال: و لم تتحالف إليه العلل، و العلل هي ملاحظة الأغيار، و طاعة القلب للسّوى، و إجابته لداعيه.

و الصّحو من منازل الحياة، و أودية الجمع، و لوائح الوجود.

قوله: و الصّحو من منازل الحياة، قد قدّم ذكر الحياة، و مناسبة الصّحو للحياة أنّ الحياة هي بالحقّ، و الصّحو أيضا هو بالحقّ.

قوله: و أودية الجمع، هي التي ترمي على الجمع، كما ترمي الأودية أمواهها على البحار، و الجمع قد عرفت شرحه.

قوله: و لوائح الوجود، هو الجمع بعينه، و اللوائح جمع لائحة، و هو ما يلوح لك كالبرق و غيره، و بالجملة فالصّحو هو أعلى من السّكر.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۵۴۷

[باب الاتّصال]

باب الاتّصال / قال الله عزّ و جلّ: **ثُمَّ دَنٰا فَتَدَلّٰى، فَكٰانَ قٰابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنىٰ**.

آيس العقول فقطع البحث بقوله: **أَوْ أَدْنىٰ**.

قوله: **أَوْ أَدْنىٰ**، المعنى المطلوب بالاتّصال هو قوله: **أَوْ أَدْنىٰ**/ و إياس العقول من جهة إنّها لا تقدر على إثبات الاتّصال المفهوم من قوله: **أَوْ أَدْنىٰ**، و إنّما مثبت ذلك الأرواح بالحقّ لا بأنفسها، و انقطاع البحث يعني البحث بالعقل و الفكر.

[درجات الاتصال]

و للاتّصال ثلاث درجات:

[الدّرجة الأولى اتّصال الاعتصام]

الدّرجة الأولى:

اتّصال الاعتصام، ثمّ اتّصال الشّهود، ثمّ اتّصال الوجود.

قوله: اتّصال الاعتصام، قد ذكر الاعتصام في قسم البدايات، و قد تقدّم شرحه.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد۲، ص ۵۴۸

قوله: ثمّ اتّصال الشّهود، و قد ذكر ذلك في باب المشاهدة من قسم الحقائق.

قوله: اتّصال الوجود، يعني باتّصال الوجود الظّفر بحقيقة الشيء، و سيأتي ذكره في باب الوجود من قسم النّهايات.

فاتّصال الاعتصام تصحيح القصد، ثمّ تصفية الإرادة، ثمّ تحقيق الحال.

تصحيح القصد قد تقدّم شرحه في باب القصد، و هو في الدّرجة الأولى صحّة قصد يبعث على الارتياض، و يخلص من التردّد، و يدعو إلى مجانبة الأغراض، و الوصلة في هذه الدّرجة هو القيام بما ذكر على بصيرة من النّور الإلهيّ الذي في قلب كلّ مؤمن.

و هو في الدّرجة الثانية صحّة قصد، و لا يلقي سببا إلاّ قطعه، و لا حائلا إلاّ منعه، و لا تحاملا إلاّ سهّله، و الاتّصال و الوصل في هذا هو أيضا أن يكون بالحقّ لا بنفسه.

و هو في الدّرجة الثالثة قصد الاستسلام ليهدينا إلى علم، و قصد إجابة دواعي الحكم، و قصد اقتحام في بحر الوجود، و الاتّصال في هذه الدّرجة أن تشهد هذه المراتب المذكورة مضمحلّة الرّسم في الحقّ.

قوله: ثمّ تصفية الإرادة، يفهم من باب الإرادة كما رأيت في باب القصد.

قوله: ثمّ تحقيق الحال، هو أن يكون التأثير بالأحوال من تأثيرات التجلّي لا من سكر المحبّة، و ذلك هو تحقيق الحال.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد۲، ص ۵۴۹

[الدّرجة الثانية اتّصال الشّهود]

الدّرجة الثانية:

اتّصال الشّهود، و هو الخلاص من الاعتلال، و الغنى عن الاستدلال بسقوط شتات الأسرار.

قوله: اتّصال الشّهود و هو الخلاص من الاعتدال، الاعتدال هو المرض في القلب، و المراد به العوائق، و الخلاص منه هو الصحّة، أي صحّة التقدّم في السّلوك، و في الحقيقة هذه الأشياء ليست هي الاتّصال، و إنّما يكون بعدها، فعبّر الشيخ بها عنه للقرب الحاصل بينهما.

قوله: و الغنى عن الاستدلال، و الاستدلال هو من أحكام العلم، مثل الاستدلال/ بالمصنوع على الصّانع و ما ينسب إلى ذلك، فهو يقول: إنّ الغنى عن هذا الاستدلال هو اتّصال الشّهود. و أنا أقول:

إنّ الغنى عن الاستدلال هو يصحب اتّصال الشّهود، و ليس هو نفس اتّصال الشّهود، لأنّ الشّهود إذا حصل أغنى عن الاستدلال، فعبّر الشيخ رحمه الله بذلك عن اتّصال الشّهود للقرب الذي بينهما و التّلازم.

قوله: بسقوط شتات الأسرار، يعني أنّ الخلاص من الاعتلال، و الغنى عن الاستدلال هو سقوط شتات الأسرار، فإذا ما كان اتّصال الشّهود.

بل هو مع اتّصال الشّهود.

[الدّرجة الثالثة اتّصال الوجود]

الدّرجة الثالثة:

اتّصال الوجود، و هذا الاتّصال لا يدرك منه نعت و لا مقدار، إلّا اسم معار، و لمح إليه مشار.

قوله: لا يدرك منه نعت و لا مقدار، معناه لا تؤدّي العبارة له نعتا، و إنّما كان ذلك لأنّ اتّصال الوجود هو أن يفنى رسم الموجود في الوجود

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۵۵۰

الحقّ، فيفنى من لم يكن، و يبقى من لم يزل، كما لم يزل، فذهب الثنويّة، و النعت ثنويّة، و هذا المقام بكون الموصوف فيه عين الصفة أبدا، و لا ينعكس، فتكون الصّفة فيه عين الموصوف، و هذا أمر يثبته الشّهود، و ينبو عنه إدراك المعقول، ولي في هذا شعر من جملة أبيات و هو:

سقتك بكأسها المملوء سلمى   فما و أبيك بعد اليوم تظمأ

و أحضرك النّديم على مدام   تريك الاسم من عين المسمّى

قوله: و لا مقدار، يعني لا يوصف بالنّعت و لا بالمقدار، و لا مدخل للمقدار في هذا الشأن، إذ هو أكثر ما يستعمل في الأجسام، لكنّه أخرج المقدار مخرج الموصوف، و النّعت مخرج الصّفة تقريبا للفهم البعيد، و قد يريد بالمقدار الشّرف و المنزلة، كما تقول: فلان عظيم القدر، أي كثير المنزلة و العظمة، فيكون مناسبا.

قوله: إلّا اسم معار، أي لا يدرك من اتّصال الوجود إلّا اسم معار، أي يرى أنّ اسم العبد معار على غير مسمّاه، قد استغرقه مولاه، فبقي اسمه معطّلا معارا، و المعار من العارية.

و لمح إليه مشار، يعني إلّا لمح مشار به إلى الحقيقة، و حاصل المقصود أنّ صاحب شهود الاتّصال يكون فانيا في الوجود، و نقطة في بحر الجوذ، انحلّ تعيّنها، و اضمحلّ تكوّنها، و رجع/عودها على بدئها.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۵۵۱

[باب الانفصال]

باب الانفصال قال الله عزّ و جلّ: وَ يُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ.

ليس من المقامات شيء فيه من التّفاوت ما في الانفصال.

يعني بهذا الكلام، أنّ بين درجات المقامات تناسبا و اختلافا، و مقام الانفصال قليل التّناسب في درجاته، كثير التّفاوت، و سنذكر معنى التّفاوت عند الوصول إليه.

[وجوه الانفصال]

و وجوهه ثلاثة:

[أحدها انفصال هو شرط الاتّصال]

أحدها:

انفصال هو شرط الاتّصال، و هو الانفصال عن الكونين بانفصال نظرك إليهما، و انفصال توقّفك عليهما، و انفصال مبالاتك بهما.

قوله: انفصال هو شرط الاتّصال، يعني انفصال العبد عن رسومه بالفناء هو شرط اتّصال وجوده بالبقاء، و هذه عبارة فصيحة عن المقصود بالنّسبة إلى غيرها، و الزّيادة فيها ممّا ينقصها.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۵۵۲

قوله: و هو الانفصال عن الكونين، الانفصال عن الكونين شهودا هو الغرق في بحر الأزل، بأن يرتفع الحدث بطهارة القدم، و يعني بالكونين عالم الدّنيا و عالم الآخرة.

قوله: بانفصال نظرك إليهما، يعني أنّ الانفصال عن الكونين شهودا يكون بانفصال نظرك إليهما، و يعني بالنّظر إليهما التعلّق بباطنه بشيء منهما، فإذا انفصل التعلّق انفصل النّظر، فيكون انفصال النّظر سبب الانفصال شهودا، و ليس انفصال النّظر عن الكونين هو نفس الانفصال عنهما ذاتا بل انفصال النّظر هو طريق إلى انفصال الذّات.

قوله: و انفصال توقّفك عليهما، هذا أيضا مثل الأوّل، يعني بالتوقّف على الكونين التقيّد بهما، و الانفصال عن التقيّد أيضا طريق إلى الاتّصال بالذّات كما ذكر فيما قبل.

قوله: و انفصال مبالاتك بهما، المبالاة هي الخوف، أي لا يخاف من الكونين و لا يحترز منهما، و هذه الثلاث معان انفصالات العبد عنها هي طريق إلى انفصال الذّات عن الكونين، و هو شرط الاتّصال المذكور، هكذا رتّب الشيخ رضي الله عنه.

[الثاني هو انفصال عن رؤية الانفصال]

الثاني:

هو انفصال عن رؤية الانفصال الذي ذكرناه، و هو أن لا يتراءى في شهود التّحقيق شيئا يوصل بالانفصال منها إلى شيء.

هذا التّفصيل يتضمّن التفاوت الذي أشار إليه في أوّل هذا الباب، و ذلك أنّ الفصل الأوّل ذكر فيه أنّ الانفصال شرط الاتّصال، و ذكر في هذا ما ينقض ما ذكره/ في ذاك، و هو قوله: أن لا يتراءى في شهود التّحقيق شيئا يوصل منها إلى شيء بالانفصال، فكأنّه قال: إنّ الانفصال

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۵۵۳

لا يكون شرطا في الاتّصال، و قد كان ذكر أنّه شرط، و ظاهر هذا يقتضي تناقضا، و أنا أفسّر ما قال و أعتذر عنه إن شاء الله تعالى.

قوله: انفصال عن رؤية الانفصال، يعني أنّ العبد يرى حالة الشّهود أنّه انفصل عن الكونين، ثمّ اتّصل بجناب العزّة، فيشهد اتّصالا بعد انفصال، و هذه الرؤية في التّحقيق ليست صحيحة، لأنّه ما انفصل على الكونين أصلا، لكنّه توهّم ذلك، فإذا تبيّن له أنّه لم ينفصل عن الكونين، فقد انفصل عن الانفصال المذكور لتحقّقه أنّه لم يكن صحيحا، فهذا هو الانفصال عن الانفصال الذي ذكره.

قوله: و هو أن لا يتراءى عند شهود التّحقيق شيئا يوصل بالانفصال منها إلى شيء، شرع يبيّن كيف يتحقّق أنّ ذلك الانفصال من الكونين لم يكن صحيحا، فقال و هو يعني: و الانفصال عن الانفصال المذكور هو أن لا يتراءى، أي لا يظهر لك شيء بطريق الانفصال، كأنّه قال:

أن يشهد التّحقيق فيريك أنّه ما انفصلت من شيء و لا كان الانفصال من شيء يوصل إلى الاتّصال بشيء آخر، و معنى تراءى أي يظهر كما تقول تراءى لي فلان، أي انكشف لي فرأيته، و مدار هذا الفصل على أنّ الانفصال إنّما في نظر العبد لا في نفس الأمر، و أنّ الاتّصال ما كان بسبب شيء.

و أنا أقول: إنّه لم يكن هناك اتّصال أيضا، هو في نظر العبد، ثمّ يتحقّق له الأمر بعد ذلك، فيرى أنّه لا انفصال و لا اتّصال، و سيذكر الشيخ هذا المعنى في الدّرجة الثالثة، و هي التي تلي ما نحن فيه.

و إذا تبيّنت ما في هذا الكلام من الاضطراب، عرفت أنّ هذا المقام فيه تفاوت ليس هو في غيره في المقامات، و عذر الشيخ رضي الله عنه في تناقض.

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد۲، ص ۵۵۴

قوله: فيما بين هذا الفصل و الذي قبله كون العبد لا بدّ له من رؤية الانفصال ثمّ الاتّصال. فذكرهما لذلك، و لم يمكنه أن يهمل ذكرهما، فهذا عذره في ذكرهما، و أمّا عذره في نقضهما فهو اطّلاعه على أنّ الانفصال ليسا في نفس الأمر، لكن في وهم المكاشفة، فلا بدّ له من التّنبيه على ذلك أيضا، فاقتضى ذلك اضطرابا في اللّفظ، و كيف يمكن التوصّل بشيء إلى شيء، و حقائق الأشياء متغايرة و لا نسبة بينهما إلاّ وجود الحقّ/ فإذا وجود الحقّ هو الذي يوصل الأشياء إلى الأشياء، فلا قوّة إلاّ بالله، إذا تأمّلته أعطاك هذا المعنى، ثمّ إنّ نسبة العبد إلى وجود ربّه نسبة صحيحة، و هي النّسبة التي تسمّى العناية، و نسبة كلّ شيء منقطعة عن كلّ شيء، و قد قال شاعر القوم مشيرا إلى هذا المعنى:

فما في من شيء لشيء موافق   و لا منك لي شيء بشيء مخالف

و هو بيت مشهور بين هذه الطّائفة.

[الثالث انفصال عن اتّصال]

الثالث:

انفصال عن اتّصال، و هو انفصال عن شهود مزاحمة الاتّصال عين السّبق، فإنّ الانفصال و الاتّصال على عظم تفاوتهما في الاسم و الرّسم سيّان في العلّة قوله: انفصال عن اتّصال، الشيخ رضي الله عنه ذكر في الذي قبل هذا انفصالا عن انفصال، و ذكر في هذا الفصل انفصالا عن اتّصال، فحصل من ذلك الانفصال عنهما معا، و هذا دليل ما قلناه من أنّ الانفصال و الاتّصال ليسا في نفس الأمر، بل في نظر النّاظر، ذكرنا آنفا، فالانفصال عن الاتّصال معناه أنّ شهود الاتّصال في الحقيقة لا وجود له.

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد۲، ص ۵۵۵

قوله: و هو انفصال من مشهود مزاحمة الاتّصال عين السّبق، أي تنفى بالشهود مزاحمة الاتّصال لعين السّبق، كأنّه قال: جلّ عين السّبق من مزاحمة الاتّصال، أي ما يتّصل بعين السّبق شيء، لأنّ المتّصل به ما زال متّصلا به، فما تجدّد شيء، لأنّ الاتّصال تحصيل للحاصل، فكما لا يقال لما لم يزل متّصلا: أنّه قد اتّصل، فلذلك لا يقال: إنّ هنا اتّصال.

قوله: فإنّ الانفصال و الاتّصال على عظم تفاوتهما في الاسم و الرّسم سيّان، يعني أنّ عين السّبق كما يتنزّه عن الاتّصال فيه، كذلك يتنزّه عن الاتّصال به، فالاتّصال و الانفصال كلاهما في العلّة سواء، أي أنّ كلّ واحد منهما علّة تنزّه معنى السّبق عنها، فقد اتّحدا في العلّة و إن تفاوتا و اختلفا في الاسم و الرّسم. أمّا اختلافهما في الاسم فلأنّ لفظ الاتّصال مخالف للفظ الانفصال، و أمّا اختلافهما في الرّسم فلأنّ حقيقة الانفصال غير حقيقة الاتّصال، فهما مختلفان في اللّفظ و المعنى، و مع هذا فهما واحد في العلّة، أي كلّ واحد منهما علّة تنزّه عنها معنى السّبق.

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد۲، ص ۵۵۷

[قسم النّهايات]

و أمّا قسم النّهايات، فهو عشرة أبواب، و هي:

المعرفة و الفناء و البقاء و التّحقيق و التّلبيس و الوجود و التّجريد و التّفريد و الجمع و التّوحيد

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد۲، ص ۵۵۹

[باب المعرفة]

باب المعرفة قال الله تعالى: وَ إِذٰا سَمِعُوا مٰا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمّٰا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ.

المعرفة إحاطة بعين الشيء كما هو.

قوله: إحاطة بعين الشيء كما هو، أي إدراك الشيء في ذاته و صفاته من الوجه الذي هو به، و ذلك إدراك العرفان، و الفرق بينه و بين العلم،

أنّ العلم يمثّل صورة المعلوم في نفس العالم، و المعرفة وجود ذات المعروف نفسها في ذات العارف من جهة ما يتّخذ به العارف و المعروف و يلزم من هذا أنّه لا يعرف الشيء إلاّ بما فيك منه، أو بما فيه منك، و الكلمات بمعنى واحد، بل تؤدّي إلى مقصود واحد.

[درجات المعرفة]

و هو على ثلاث درجات، و الخلق فيه على ثلاث فرق:

[الدّرجة الأولى معرفة الصّفات و النّعوت]

الدّرجة الأولى:

معرفة الصّفات و النّعوت و قد وردت أساميها بالرّسالة، و ظهرت شواهدها في الصّنعة بتبصير النّور القائم في السرّ، و طيب حياة العقل

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد۲، ص ۵۶۰

لزرع الفكر، و حياة القلب بحسن النّظر بين التّعظيم و حسن الاعتبار، و هي معرفة العامّة التي لا تنعقد شرائط اليقين إلاّ بها، و هي على ثلاث درجات.

قوله: معرفة الصّفات و النعوت، الصّفات و النّعوت واحد و قد يفرّق بينهما بأن يقال: الصّفة باعتبار النّظر إلى الموصوف، و النّعت باعتبار النّظر إلى النّاعت، فما حدّ الصّفة هو الموصوف، و ما حدّ النّعت هو النّاعت، فإضافة النّعت إلى الفاعل لا إلى المفعول، و إن كان أمر يرجع إلى الاصطلاح اللّغويّ فيكشف من كتب اللّغة.

و قوله: و قد وردت أساميها بالرّسالة، يعني قد أخبر الرّسول صلّى الله عليه و سلم عن الصّفات، و نقلت عنه، و هي الأسماء الحسنى.

قوله: و ظهرت شواهدها في الصّنعة، أي ظهر شاهد الاسم الخالق من وجود المخلوق، و ظهر شاهد الاسم الرّازق من وجود المرزوق، و ما أشبه ذلك.

و إذا اعتبرت الموجودات وجدتها بأسرها منسوبة إلى الأسماء الحسنى، فالموجودات شواهد الحقّ تعالى.

قوله: بتبصير النّور القائم في السرّ، يعني أنّ النّور الإلهيّ المودع في سرّ الإنسان هو الذي بصّرنا بشواهد صفات الحقّ تعالى.

قوله: و طيب حياة العقل لزرع الفكر، يعني أنّ السرّ المذكور طيب حياة العقل/لزرع الفكر، أي إنّ السرّ زرع الفكر، فطيّب به حياة العقل، و طيب حياة العقل إنّما هو بصفاء الإدراك.

قوله: حياة القلب بحسن النّظر بين التّعظيم و حسن الاعتبار، يعني أنّ السرّ المقدّم أيضا ذكره طيّب أيضا حياة العقل بحسن النّظر في

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد۲، ص ۵۶۱

الموجودات بتعظيم الموجد الحقّ، و حسن الاعتبار في ذلك النّظر، و الاعتبار هو أن تعتبر آثار صنعة الله عزّ و جلّ في مصنوعاته.

قوله: و هي معرفة العامّة، يريد بالعامّة علماء الرّسوم و العبّاد، و بالجملة كلّ من هو دون المحبّة التي هي الفصل بين الخاصّة و العامّة.

قوله: التي لا تنعقد شرائط اليقين إلاّ بها، يعني أنّ هذه الصّفات محلّ معرفة العامّة، و لا ينعقد يقين الإسلام إلاّ بها، يعني باليقين تيقّن أنّ الله تعالى موصوف بهذه الصّفات.

أحدها:

إثبات الصّفة باسمها من غير تشبيه، و نفي التّشبيه عنها من غير تعطيل، و الإياس من إدراك كنهها، و ابتغاء تأويلها.

يعني أنّ أحد الدّرجات الثلاث المختصّة بمعرفة العامّة هي إثبات الصّفة للحقّ تعالى باسمها الذي أخبرنا بها الرّسول صلّى الله عليه و سلم من غير تشبيه لمعناها بما يناسبها في الاسم من المخلوقات، مثاله، أنّ الله تعالى سميع لكن يثبت أنّ الله سميع، و لا يشبّه سمعه بالسّمع المنسوب إلى المخلوقات، فهذا معنى قوله: عن غير تشبيه، و كذلك يقول في البصير و العالم، و أشباه ذلك كثير.

قوله: و نفي التّشبيه من غير تعطيل، أي ينفي أن يشبّه صفات الخالق بصفات المخلوق من غير أن يبلغ ذلك تعطيل صفات الخالق، فإنّ العقل الضّعيف إذا بلغ في التّنزيه عن التّشبيه أدّاه ذلك إلى تعطيل معنى المشبّه، كما يتوهّم الجاهل من قولنا إنّ الحقّ تعالى ليس هو فوق و لا تحت و لا يمين و لا شمال و لا خلف و لا أمام، و لا كلّ و لا بعض، و لا جوهر و لا عرض، إنّ ذلك يقتضي تعطيل وجوده، و ذلك من ضعف إدراكه،

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۵۶۲

و إلاّ فإذا كان الفوق و التّحت و اليمين و الشّمال و جميع ما ذكر و ما لم يذكر إنّما هو الحقّ، فكيف يكون الحقّ تعالى فيما هو به، و ذلك لأنّه يحيط و لا يحاط به، فوجوده غير متحيّز و لا مقترن، و لا حالّ في شيء/ و لا محلّ لشيء، تبارك و تعالى عمّا يقول الجاحدون و المشبّهون و الملحدون و الحلوليّون و المعطّلون علوّا كبيرا.

قوله: و الإياس من إدراك كنهها، أي إدراك نهايتها.

قوله: و ابتغاء تأويلها، يعني و الإياس أيضا من ابتغاء تأويلها، أي من منفعة ابتغاء تأويلها، فإنّه من يئس من نفع تأويلها، فإنّه لا يبتغيه، و معنى يبتغيه يطلبه.

[الدّرجة الثانية معرفة الذّات مع إسقاط التّفريق بين الصّفات و الذّات]

الدّرجة الثانية:

معرفة الذّات مع إسقاط التّفريق بين الصّفات و الذّات، و هي تثبت بعلم الجمع، و تصفو في ميدان الفناء، و تستكمل بعلم البقاء، و تشاوف عين الجمع.

قوله: معرفة الذّات مع إسقاط التّفريق بين الصّفات و الذّات، هذه المعرفة تختصّ بأهل التجلّيات الجزئيّة، و ذلك لأنّ المقصود من الصّفات هنا إنّما هو الصّفات التي الأسماء الحسنى أسماؤها، فإذا شهدها العبد في حقيقة الموصوف شهودا يهيّئه الحقّ إيّاه حالة كونه به يبصر، فتلك هي شهود الذّات، مع إسقاط الفرق بين الصّفات و الذّات، و ليس ذلك هو الشّهود الذاتيّ، فإنّ الشّهود الذاتيّ هو الفناء في الجمع.

قوله: و هي تثبت بعلم الجمع، يعني و هذه المعرفة تثبت بعلم الجمع لا بالجمع، فإنّ الجمع لا لسان له، و ليس فيه شيء بشيء، و أمّا علمه فتثبت به الأشياء.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۵۶۳

قوله: و يصفو في ميدان الفناء، يعني تلك المعرفة التي تثبت الجمع، هي تصفو في ميدان الفناء، يعني أنّ علم الجمع و المعرفة التي تثبت به كلاهما ليس صافيين، لأنّ الرّسم معهما بعد باق، فأمّا إذا ورد صاحبهما ميدان الفناء، فإنّهما يصفوان، و استعار للفناء ميدانا بين الفناء و القتل في الميدان من المشابهة، لأنّ الفناء قتل.

قوله: و يستكمل بعلم البقاء، يعني يتمّ وجودها بعلم البقاء بعد الفناء، و البقاء بعد الفناء هو أمر يكون بعد الجمع التّام، و إنّما علمه يكون غيره، و بعلمه تتمّ المعرفة المذكورة لا به، فإنّه كما تقدّم، لا سبب فيه و لا مسبّب.

قوله: و تشارف عين الجمع، يعني أنّ المعرفة المذكورة التي هي معرفة الذّات، مع إسقاط التّفرقة بين الصّفات و الذّات هي تشارف عين الجمع، أي هي قرينة من عين الجمع.

و هي ثلاثة أركان:

إرسال الصّفات على الشّواهد، و إرسال الوسائط على المدارج، و إرسال العبارات على المعالم، و هي معرفة الخاصّة التي تؤنس من أفق الحقيقة.

قوله: إرسال الصّفات على الشّواهد، هذا هو الرّكن الأوّل، يعني إطلاق لفظ الصّفات على الشّواهد، و قد عرفت أنّ الشّواهد هي بوارق أو تجلّيات تبدو للشّاهد، فإذا كوشف العبد بأنّ تلك الشّواهد من جملة الصّفات، فقد فتح له باب شهود الذّات، و ذلك لأنّ شاهد الحقّ حقّ، لأنّ الحقّ لا يشهد له سواه.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۵۶۴

قوله: و إرسال الوسائط على المدارج، يعني شهود الوسائط أنّها درجات يترقّى فيها إلى المقصود، و من جملة الوسائط المقامات، و المدارج هي الطرق، لأنّ المدرجة هي الطريق الّتي يدرج فيها، و قد يراد بالمدارج الدّرج الذي يعبّر عنه بالسلّم، و كلا المعنيين حسن موافق، و هذا هو الرّكن الثاني، أعني إرسال الوسائط على المدارج.

قوله: و إرسال العبارات على العالم، هو الرّكن الثالث، و معناه شهود العبارات معالم على الحقيقة المطلوبة، و المعالم هي الأمارات التي يعلم بها المطلوب.

و مقصود الشيخ في هذه الأركان الثلاثة أن يبيّن حال صاحب معرفة الذّات، و كيف تترقّى الأشياء في نظره. مثال ذلك، أنّ الشّواهد كانت قبل عنده أغيارا، فشاهدها صفات، و هذا ترقّ في القرب، و أنّ الوسائط التي كان يراها دالّة على المدارج صارت هي عين المدارج، و هذا ترقّ في القرب، و أنّ العبارات التي كانت عنده ألفاظا خارجة عن المعبّر عنه صارت عنده أمارات موصلة إلى المعبّر عنه، و هذا ترقّ في القرب، فهذه الأركان الثلاثة شواهد للعبد أنّه صار من أهل معرفة الذّات، و مع هذا فإنّ صاحب معرفة الذّات محجوب عن حضرة الجمع، لكنّه يشار فيها، أي يقاربها.

قوله: و هي معرفة الخاصّة، يعني معرفة الذّات هي معرفة الخاصّة، و أمّا أهل حضرة الجمع، فهم خاصّة الخاصّة.

قوله: الّتي تؤنس من أفق الحقيقة، أي تدرك من أفق الحقيقة، و أفق الحقيقة هو طرفها،/ و لا طرف للحقيقة، و إنّما هي استعارة، و أفق السّماء طرفها و ناحية من نواحيها.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۵۶۵

[الدّرجة الثالثة: معرفة مستغرقة في محض التّعريف لا يوصل إليها الاستدلال]

الدّرجة الثالثة: معرفة مستغرقة في محض التّعريف لا يوصل إليها الاستدلال، و لا يدلّ عليها شاهد، و لا تستحقّها وسيلة، و هي على ثلاث أركان:

مشاهدة القرب، و الصّعود عن العلم، و مطالعة الجمع، و هي معرفة خاصّة الخاصّة.

قوله: معرفة مستغرقة في عين التّعريف، أي إنّ المعرفة الحاصلة عنده و هي معرفة الخاصّة إذا استغرقت في عين هذا التعريف الثاني كانت هي معرفة خاصّة الخاصّة، و في عبارة الشيخ رحمه الله تسامح، و ذلك لأنّه ذكر الدّرجة الثالثة، و شرع يصف معرفتها، فقال: إنّها مستغرقة في عين التّعريف، و ليس كذلك، بل التّعريف مستغرق فيها، و إنّما تستغرق في عين التّعريف المعرفة الّتي قبلها التي منها ينتقل إلى هذه، لكنّه رأى أنّ المعرفة الأخيرة طمسة لا علم، فقال: هي مستغرقة في التعريف، و الحقّ إنّها هي مستغرقة في وجود المعروف لأنّها آخر مرتبة، و أمّا التي قبلها فإنّها ليست النّهاية، فإنّها تقبل التّعريف و تغرق فيه، و هذه الثالثة لا تقبل شيئا سوى المعروف الحقّ، فهي غريقة في الحقيقة، و ليس هذا نقصا في الشيخ. لكنّه سامح نفسه في العبارة.

قوله: محض، أي خالص التّعريف، فإنّ اللّبن المحض هو الذي لم يختلط به لبن، فهو خالص.

قوله: لا يوصل إليها الاستدلال، يعني هذه المعرفة في الدّرجة الثالثة لا يوصل إليها بسبب، و هذا أيضا يدلّ على صحّة قلبه من أنّ هذه المعرفة لا تقبل التّعريف، فهي إذا ليست مستغرقة في ذلك التّعريف، لكن في المعروف.

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد ۲، ص ۵۶۶

قوله: و لا يدلّ عليها شاهد، يعني أنّ شاهدها هو مشهودها، و دليلها هو مدلولها.

قوله: و لا تستحقّها وسيلة، الوسيلة هي السّبب أو الشّفيع و شبه ذلك، و الأعمال و الأحوال و المقامات كلّها تشبه الوسائل، و ليس شيء من الوسائل يستحقّ أن يوصل إلى هذه المعرفة، و إنّما هي معرفة مكتسبة.

/ قوله: مشاهدة القرب، هو محو الرّسوم، فعلى قدر ما يمحى من الرّسوم يكون القرب، و على قدر ما يبقى يكون البعد، فليس الحجاب إلاّ أنت، فمتى فنيت ظهرت الحقيقة، و هذا معنى قول بعضهم:

و هو من أبيات أوّلها: و لاح صباح كنت أنت ظلامه

بدا لك سرّ طال عنك اكتتامه و لاح صباح كنت أنت ظلامه

فأنت حجاب النّفس عن سرّ غيبه و لولاك لم يطبع عليك ختامه

و بقيّة الأبيات فيها نقص عن الوفاء بالعبارة، فلم أر أن أوردها هنا، و قد ذكر في المواقف: أوقفني في القرب و قال لي: أدنى علوم القرب أن ترى آثار نظري في كلّ شيء تكون تلك الآثار أغلب عليك من معرفتك بذك الشيء.

قوله: و الصعود عن العلم، يعني أن يأخذ مشهوده كفاحا و لا يأخذه عن الخبر.

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد ۲، ص ۵۶۷

قوله: فإنّ الخبر هو طور العلم، و إدراك العقل أيضا هو من طور العلم، فالصّعود عن العلم هو الترقّي عن حدود العلم.

قوله: و مطالعة الجمع هو المطلوب، و الغاية المعتبرة في السّفر الأوّل مطالعة الجمع و لا يكون إلاّ بفناء جميع الرّسوم.

قوله: و هي معرفة خاصّة الخاصّة، هذا ظاهر، و إنّما سمّى الشيخ رحمه الله هؤلاء خاصّة الخاصّة لإعراضه عن ذكر أهل السّفر الثاني و الثّالث و الرّابع.

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد ۲، ص ۵۶۹

[**باب الفناء**]

باب الفناء قال الله عزّ و جلّ: كُلُّ من عَلَيْهٰا فٰانٍ وَ يَبْقىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلاٰلِ وَ الْإِكْرٰامِ.

الفناء في هذا الباب اضمحلال ما دون الحقّ علما ثمّ جحدا ثمّ حقّا.

قوله: اضمحلال ما دون الحقّ، يعني أن تذهب الصور في شهود العبد، و تغيب في العدم كما كانت قبل أن توجد، و يبقى الحقّ تعالى كما لم يزل، و تغيب صورة المشاهد أيضا بالصّفة المذكورة، و يبقى الحقّ تعالى وصفا من صفاته العلا يشاهد وجوده، في طور عبده، ثمّ يعيد عبده و قد سمّاه غير اسمه، و ألبسه خلعا من صفاته، و أقامه نشأة أخرى، فوجد في ذاته حقائق مشهوده، و الاضمحلال هو مثل / الذوبان، كما يضمحلّ السحاب، لا بمعنى أنّه احتجب، بل بمعنى أنّه استحال هواء يخفى عن الأبصار.

قوله: علما ثمّ جحدا ثمّ حقّا، هذه الثلاثة من مراتب الاضمحلال، و هو إذا جاء التّعريف للعبد على التّرتيب، فأمّا إذا جاء دفعة واحدة،

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد ۲، ص ۵۷۰

فلا يشهد شيئا من ذلك، لكنّه إذا ثبت بعد المحو عرف ذلك، و بيانه الحقّ تعالى إذا رقّى عبده بالتّدريج نوّر باطنه و عقله في العلم، فرأى أن لا فاعل في الحقيقة إلاّ الله تعالى، فهذا توحيد العلم، و لا يقدر طور العلم على أكثر من هذا بأدلّته و براهينه، ثمّ إذا رقّاه الحقّ تعالى عن هذا المقام أشهده عود أفعاله إلى صفاته، و عود صفاته إلى ذاته، فحجب وجود السّوى بالكلّية، فهذا هو الاضمحلال جحدا، ثمّ إن رقّاه الحقّ تعالى عن هذا المقام بأن أراه البحر الذي فيه أغرق الأفعال و الأسماء و الصّفات، فذلك هو الاضمحلال حقّا، أي أراه الحقّ المبين، فهذه

مراتب الاضمحلال، و ليس وراءها إلاّ مبدأ السّفر الثاني، و هو الأخذ في البقاء حتّى يبلغ القطبيّة الكبرى.

[درجات الفناء]

و هو ثلاث درجات:

[الدّرجة الأولى فناء المعرفة في المعروف]

الدّرجة الأولى:

فناء المعرفة في المعروف، و هو الفناء علما، و فناء العيان في المعاين، و هو الفناء جحدا، و فناء الطّلب في الموجود و هو الفناء حقّا.

قوله: فناء المعرفة في المعروف و هو الفناء علما، يعني غيبة، معاني المعرفة في وجود المعروف الحقّ جلّ جلاله.

قال الشيخ رضي الله عنه: و هو الفناء علما، و عندي أن يقول: فناء العلم في المعروف، و ذلك لأنّ طور العلم هو الخبر و العقل، و فناؤه إنّما هو فيما فوقه، و الذي فوق العلم هو المعرفة، ثمّ المعرفة في المعروف، و إلاّ فمتى ذكر فناء المعرفة و ترك فناء العلم، ففي أيّ الأوقات يفنى طور العلم إذا فاته ما يليه، و هو طور المعرفة و المحبّة،

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد۲، ص ۵۷۱

و لست ممّن يأخذ على الشيخ، غير إنّي أقول: ربّما تركه لقصد يعرفه، أو تسامح فيه، أو اكتفى بشارحه، أو غير ذلك.

قوله: و فناء العيان في المعاين هو الفناء جحدا، أي يظهر وجودا لموجود بالعيان، فنفى العيان منه، فنكّر الأسماء و الصّفات بعد الأخذ في الغيب الذي/ لم تبق فيه بقيّة يرى بها الاعتبارات.

قوله: و فناء الطّلب في الموجود، و هو الفناء حقّا، أي لا يبقى لصاحب هذه المشاهدة طلب، لأنّه ظفر بالغاية بالمشاهدة الذّاتيّة، و فيها تفنى ذاته.

[الدّرجة الثانية فناء شهود الطّلب لإسقاطه]

الدّرجة الثانية:

فناء شهود الطّلب لإسقاطه، و فناء شهود المعرفة لإسقاطها، و فناء شهود العيان لإسقاطه.

قوله: فناء شهود الطّلب لإسقاطه، يعني أنّ الطّلب يسقط فيشهد العبد فناءه، أي عدمه، كأنّه قال: فناء الطّلب هو سقوطه و شهود سقوطه و سقوط شهوده أيضا، و العبد إنّما يشهد سقوط الطّلب إذا ظفر بالمطلوب، فيستغني عن الطّلب فيسقط للغني عنه، و يشهد العبد سقوطه، فذلك هو فناء شهود الطّلب لإسقاطه.

قوله: و فناء شهود المعرفة لإسقاطها، يعني أنّ المعرفة أيضا تسقط في شهود العيان، فإنّ العيان فوقها، و هي تفنى فيه، و سبب ذلك أنّ الشيخ يرى أنّ المعرفة قد يصحبها شيء من حجاب العلم، و العيان يرفع ذلك الحجاب، فيصير العبد من أهل المعاينة، و تفنى في حقّه المعارف، و هذا أمر حقّ. غير أنّ الشيخ رحمه الله ذكر في باب من الأبواب أنّ المعرفة تجري فوق حدود العلم، و ظاهر هذه العبارة يعطي أنّ العارف

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد۲، ص ۵۷۲

لا يخالطه شيء من العلم، فيكون بين الكلامين تناقض، و الله أعلم.

و بالجملة، فالعارف يخالطه بقيّة من العلم تزول بالمعاينة الجامعة، و قد ورد في المواقف: أوقفني فقال لي: أين من أعدّ معارفه للقائي، لو أبدأت له لسان الجبروت لأنكر ما عرف و لمار مور السّماء يوم تمور مورا، فهذا هو فناء شهود المعرفة لإسقاطها.

قوله: و فناء شهود العيان لإسقاطه، يعني أنّ العيان أيضا يسقط فيشهده العبد ساقطا، و إنّما يسقط في مبادئ حضرة الجمع، و ذلك لأنّ العيان يقتضي معاين و معاين و معاينة ثلاثة، و حضرة الجمع تفني التّعداد فيسقط العيان. و بالجملة فكلّ/ رتبة تفنى في التي فوقها إلى أن ينتهي

الأمر إلى حضرة الجمع، و هذا هو فناء العيان في المعاين جحدا، أعني هذه الدّرجة.

[الدّرجة الثالثة الفناء عن شهود الفناء]

الدّرجة الثالثة:

الفناء عن شهود الفناء، و هو الفناء حقّا، شائما برق العين، راكبا بحر الجمع، سالكا سبيل البقاء.

قوله: الفناء عن شهود الفناء، هو في حضرة الوقفة، و هي مبدأ الجمع، أي يشهد فناء كلّ ما سوى الحقّ في وجود الحقّ، و يشهد الفناء قد فنى أيضا، كما يقال: آخر من يموت ملك الموت، قال: و ذلك هو الفناء حقّا، و قد فسّرها في أوّل درجة.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۵۷۳

قوله: شائما برق العين، هي حضرة الجمع، و معنى شائما، أي ناظرا.

قوله: راكبا بحر الجمع، أي راكبا لجّة البحر الجمعيّ، و ركوبه إيّاه هو فناؤه فيه.

قوله: سالكا سبيل البقاء، يعني أنّ من فنى فقد تأهّل للبقاء بالحقّ، يعني البقاء بعد الفناء، و ذلك هو أوّل السّفر الثاني. و يتلو هذا الباب باب البقاء المذكور.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۵۷۵

[باب البقاء]

باب البقاء قال الله عزّ و جلّ: وَ اللهُ خَيْرٌ وَ أَبْقىٰ.

البقاء اسم الباقي قائما بعد فناء الشّواهد و سقوطها.

قوله: بعد فناء الشّواهد، يعني بالشّواهد الرّسوم كلّها، و قد كان استعمل لفظ الشّواهد فيما سبق في معالم الشّهود، و هي من الحقّ لا من الرسوم، و استعمالها هنا في الرّسوم، و بالجملة فإذا جعل الشّواهد هي الرسوم فما يبقى بعد الرّسوم قائما غير الحقيقة، فإنّ الرّسوم هي الخليقة، فإذا استعمل البقاء فيما قبل حضرة الجمع، فليس يقبل، فإنّه لا بدّ من حقيقة قوله تعالى: **كُلُّ مَنْ عَلَيْهٰا فٰانٍ وَ يَبْقىٰ وَجْهُ رَبِّكَ**، فليس الباقي حقيقة إلاّ الله تعالى.

[درجات البقاء]

و هو على ثلاث درجات:

[الدّرجة الأولى: بقاء المعلوم بعد سقوط العلم عينا لا علما.]

الدّرجة الأولى:

قضاء المعلوم بعد سقوط العلم عينا لا علما.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۵۷۶

هذه هي الدّرجة الأولى، و معنى بقاء المعلوم بقاء سقوط العلم، أي يشهد العبد بعد محوه في حضرة الجمع بعد إثباته في حضرة البقاء أنّ العلوم و إن أسقط الشّهود حكمها في حقّ العارف، فإنّها ثابتة المراتب لمن هي له من أهل الحجاب لا يمكن إسقاطها، فالعلم يسقط و المعلوم منه يثبت، و ذلك لأنّ طور العلم هو حضرة اسم عظيم من الأسماء الأصليّة و هو الاسم الظّاهر، فالعبد إذا بقي بعد الفناء شاهد/ مرتبة العلم في عيان الاسم الظّاهر.

قوله: عينا لا علما، يعني إذا نظرت العلم باعتبار العين التي هي حضرة الجمع سقط العلم، و إذا نظرت إليه باعتبار الطور الأوّل و الاسم الظّاهر لم يسقط، فهذا معنى قوله: عينا، أي يسقط عينا.

و قوله: لا علما، أي لا يسقط علما.

[الدّرجة الثانية بقاء المشهود بعد سقوط الشّهود وجودا لا نعتا]

و بقاء المشهود بعد سقوط الشّهود وجودا لا نعتا.

هذه هي الدّرجة الثانية، و معنى بقاء المشهود هو ظهور بقاء الحقّ، و معنى قوله: بعد سقوط الشّهود، أن يفنى الخلق فيفنى بفنائه الشّهود، و ذلك لأنّ الشّهود صفة المشاهد، و هو خلق في هذه المرتبة، و الصّفة تسقط بسقوط موصوفها، فإذا يسقط الشّهود عند بقاء المشهود.

قوله: وجودا بمعنى أنّ ذلك لا يكون إلاّ في حضرة الوجود، و هي حضرة الجمع.

قوله: لا نعتا، يعني في حضرة الذّات التي هي حضرة الجمع، لا في حضرة الصّفات، فكأنّه قال: فناء الشّهود ذاتا و وصفا، فذلك هو فناء في حضرة الجمع.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۵۷۷

ولي في هذا المعنى من أبيات بيت دالّ عليه و هو:

كيف لا نشرب التي تشرب العقل و تنفي الأغيار ذاتا و وصفا

[بقاء من لم يزل حقّا بإسقاط ما لم يكن محوا.]

الدّرجة الثالثة بقاء من لم يزل حقّا بإسقاط ما لم يكن محوا.

هذه هي الدّرجة الثالثة، و معناه بقاء الحقّ، و فناء الخلق.

قوله: بقاء من لم يزل، فيه تسامح في اللّفظ، لأنّ معناه بقاء الباقي، و الباقي ما زال باقيا، و تحرير الكلام يعود إلى الباب الذي قبله و هو فناء الخلق في شهود المشاهد ذاتا و وصفا، فيظهر بذلك بقاء من لم يزل باقيا، فما غير الظّهور تجدّد، و إلاّ فالأمر على ما كان عليه.

و قوله: حقّا، أي متحقّقا أنّه الحقّ، و قوله: محوا، أي يظهر أنّ الخلق امّحى في حضرة الجمع، و بالجملة فالعبارة في هذا المجال قصيرة، و من خاصيّة هذه الحضرة أنّ الذي يقال فيها من العبارة لا تفي، و الذي تفي لا يقال، و الاعتماد في إدراك القول على نور باطن السّماع، فإن كان من أهل المشاركة في هذا الشأن، فأقلّ من هذه العبارة تكفيه، و إن لم يكن من أهله، فكلّ ألسنة الوجود لا تكفيه.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۵۷۹

[باب التّحقيق]

باب التّحقيق قال الله عزّ و جلّ: قَالَ أَ وَ لَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى، وَ لَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي.

الحقّ تلخيص مصحوبك / من الحقّ، ثمّ بالحقّ، ثمّ في الحقّ.

قوله: تلخيص مصحوبك، أي تحقّق ما حصل لك، و أمّا قوله من الحقّ، ثمّ بالحقّ، ثمّ في الحقّ، قد فسّره الشيخ رضي الله عنه في الثلاث درجات التي سنذكرها.

و هي أسماء و درجات ثلاث، أمّا درجة تلخيص مصحوبك من الحقّ.

بأن لا يخالج علمك علمه.

قوله: أسماء، يعني هذه الثلاثة أسماء، و هي ثلاث مراتب من الحقّ، و بالحقّ، و في الحقّ، فكأنّه قال: هذه الثلاثة هي أسماء الثلاث مراتب.

قوله: تلخيص مصحوبك من الحقّ إلى آخره، يعني شهودك أنّ العلم الذي كنت تنسبه إلى نفسك فإنّك في حالة التّحقيق تعود فتنسبه إلى الحقّ، و ذلك لفنائك عنك في وجوده.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۵۸۰

و أمّا الدّرجة الثانية، فأن لا ينازع شهودك شهوده.

معناه مثل المعنى الأوّل، و هو أنّ الشّهود الذي كنت تنسبه إلى نفسك قبل الفناء تصير بعده تنسبه إلى الله تعالى لا إليك، و معنى المنازعة المشاركة، فإنّها داعية المنازعة.

و أمّا الدّرجة الثالثة:

فأن لا يناسم رسمك سبقه.

يعني لا تتمازج خليقيّتك الحادثة سبقه بالقدم، و ذلك أنّ الرّسم هو الخلق و هو محدث، و الحقّ تعالى هو القديم و له السّبق، فإذا تحقّق العبد بالحقيقة شهد الحقّ، و لم يتنسّم معه شائبة من الخلق، و هو معنى قولهم: و هو الآن على ما كان، فإنّهم يقولون الحديث النبويّ و يلحقون به هذه اللّفظة، و الحديث هو قوله صلّى الله عليه و سلم: «كان الله و لم يكن شيء»، فالصّوفيّة يقولون عقيب هذه الكلمة: و هو الآن على ما عليه كان، و هو عين ما قاله الشيخ في هذا الفصل، و هو أن لا يناسم رسمك سبقه، أي لا ترى أنّك الآن معه، بل هو وحده.

فتسقط الشّهادات، و تبطل العبارات، و تفنى الإشارات.

يعني إنّك إذا لم تشهد معه غيره، فقد سقط معنى شاهد و مشهود، فسقطت بذلك الشّهادات، و بطل أيضا معنى معبّر و معبّر عنه، فتبطل أيضا بذلك العبارة، و تفنى أيضا بذلك نسبة مشير و مشار إليه، فتفنى بذلك أيضا الإشارة، و الفرض أنّ المحقّق لا يرى الحقّ سواه، هذه إرادة الشيخ رحمه الله في هذا الفصل.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۵۸۱

[باب التّلبيس]

باب التّلبيس قال الله تعالى: وَ لَلَبَسْنا عَلَيْهِمْ ما يَلْبِسُونَ.

التّلبيس تورية بشاهد معار عن موجود قائم.

قوله: تورية بشاهد معار عن موجود قائم،/ يعني كما تقول:

فلان قتل فلانا، ورّيت بفلان، و هو شاهد معار، يعني أنّ وجوده معار، و القاتل في الحقيقة هو الله، فقد حصلت التورية بالشّاهد المعار الذي هو فلان عن موجود قائم بذاته الذي هو الحقّ، فقال: هذا تلبيس على السّامع، و التورية هي أن تذكر لفظا يحتمل معنيين و مقصودك أحدهما، و التّلبيس هو التّشكيك، و سيأتي أمثلة التّلبيس فيما يذكره الشيخ رضي الله عنه.

[معانى التلبيس]

و هو اسم لثلاثة معان:

[أوّلها تلبيس الحقّ بالكون على أهل التّفرقة]

أوّلها:

تلبيس الحقّ بالكون على أهل التّفرقة، و هو تعليقه الكوائن بالأسباب و الأماكن، و الأحايين، و تعليقه المعارف بالوسائط، و القضايا

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۵۸۲

بالحجج، و الأحكام بالعلل، و الانتقام بالجنايات، و المثوبة بالطّاعة، و أخفى الرّضا و السخط اللّذين يوجبان الوصل و الفصل، و يظهران السعادة و الشقاوة.

يقول: تلبيس الحقّ بالكون عند أهل الحجاب، و هم أهل التّفرقة، فإنّ الجمع عنده هو الحقّ، و التّفرقة هو الباطل، فهو يرى أنّ أهل التّفرقة يلتبس عليهم الحقّ بالباطل.

قوله: و هو يعني التّلبيس تعليقه الكوائن بالأسباب، يعني أنّ الحقّ تعالى لبّس على أهل التّفرقة هذه المسألة و هي الكوائن، و الكوائن هي الأفعال علّقها بالأسباب، فنسبها أهل التّفرقة إلى أسبابها، و عموا عن رؤية الحقّ، فكأنّه يقول: لا فعل إلاّ باللّه، و أهل التّفرقة يجهلون ذلك فينسبون الأفعال إلى أسبابها.

قوله: و الأماكن بالأحايين، الأماكن معروفة، و الأحايين هي الأزمنة، و لست أعرف بين الأحايين و بين الأماكن تعلّقا، لأنّ الزّمان إنّما يتعلّق بالحركات، و الأماكن تتعلّق بالأجسام، إلاّ أن يريد حذف مضاف، فيكون تقديره، و تعليقه حركات أهل الأماكن بالأحايين، فيجوز، و قد يجوز انّه أراد وجود المكان بالزّمان، فإنّ وجود المكان بحركة بخلاف المكان نفسه، فإنّه ليس بحركة.

قوله: المعارف بالوسائط، يعني أنّ الحقّ تعالى علّق في نظر أهل التّفرقة المعارف بالوسائط، فظنّوا أنّه لو لا الوسائط لما عرفوا، و هذا تلبيس.

قوله: و القضايا بالحجج، القضايا هي التي يقضي بها القاضي، أو يحكم بها العالم،/ و منها القضايا الجوازم في الإخبارات كلّها ما تصحّ

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۵۸۳

عند أهل التّفرقة إلاّ بالأدلّة هي حجج، فما تثبت عندهم قضيّة إلاّ بحجّة، فعلّقوا القضايا بالحجج، و نسوا أنّ تعلّقها إنّما هو بالحقّ، و ثبوتها إنّما هو بالحقّ.

قوله: و الأحكام بالعلل هي مثل القضايا، و العلل هي الأسباب، و أهل التّفرقة ينسبون الأشياء إلى عللها، و يحجبون عن أنّ نسبتها إنّما هو للحقّ تعالى.

قوله: و الانتقام بالجنايات، أي يجعلون سبب الانتقام هو الجناية، و ينسون أنّ الجناية و الانتقام كلاهما يرجعان إلى فعل الحقّ تعالى لا إلى غيره.

قوله: و المثوبة بالطّاعة، يعني و يرون أنّ المثوبة مثل الجنّة مثلا إنّها إنّما تحصل بالطّاعة و يحجبون عن أنّ الجنّة و المثوبة لا تحصل إلاّ برحمة الله تعالى.

قوله: و أخفى الرّضا و السّخط اللّذين يوجبان الوصل و الفصل، يعني أنّ الحقّ تعالى لمّا لبّس عليهم الأمر بما ذكره من المثوبة و الانتقام، أخفى السّبب الصّحيح عنهم و هو الرّضا و السّخط، فإنّ الرّضا هو الذي أوجب المثوبة لا الطّاعة، و الرّضا هو صفة الحقّ تعالى، و السّخط هو الذي أوجب الانتقام لا الجناية، فأخفى عن خلقه هذين السببين، و أظهر لهم أسبابا أخر علّقوا الأحكام عليها، و هو تلبيس من الحقّ تعالى عليهم، و معنى يوجبان الوصل، أي المثوبة، و الفصل أي العقوبة، فإنّ العقوبة كلّها في الفصل الذي هو الحجاب و البعد، إذ ليس العذاب إلاّ منه.

قوله: و يظهران السّعادة و الشّقاوة، يعني الرّضا و السّخط، أمّا الرّضا فيظهر السّعادة التي سبقت، و أمّا السّخط فيظهر الشّقاوة التي سبقت لهم.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۵۸۴

[التّلبيس الثاني تلبيس أهل الغيرة على الأوقات بإخفائها]

التّلبيس الثاني:

تلبيس أهل الغيرة على الأوقات بإخفائها، و على الكرامات بكتمانها، و التّلبيس بالمكاسب و الأسباب، و تعليق الظّاهر بالشّاهد و المكاسب تلبيسا على العيون الكليلة، و العقول العليلة، مع تصحيح التّحقيق عقدا و سلوكا و معاينة، و هذه الطّائفة رحمة من الله تعالى على أهل التّفرقة و الأسباب/ في ملابستهم.

قوله: تلبيس أهل الغيرة على الأوقات بإخفائها، يعني، يغارون على الأوقات أن يظهروها لغيرهم، فهم يخفونها أبدا، و الأوقات قد شرحنا معناها في باب الوقت، فطالعه من هناك.

قوله: و على الكرامات بكتمانها، يعني أنّ أهل الغيرة يغارون أيضا على الكرامات أن يعابها النّاس، فهم يخفونها أبدا غيرة عليها، فهذا أيضا تلبيس على النّاس كونهم ما يعرفون أحوال أهل الكرامات، و لا أحوال أهل الأوقات.

قوله: و التّلبيس بالمكاسب و الأسباب و بتعليق الظّاهر بالشّاهد و بالمكاسب تلبيسا، كأنّه يقول: و التّلبيس المذكور إنّما يكون على أهل العيون الكليلة، و يريد بذلك أهل الإحساس الضّعيف.

قوله: و العقول العليلة، يعني السقيمة المنحرفة التي لا تدرك الحقّ.

قوله: مع تصحيح التّحقيق حقّا، يعني أنّ الخواصّ يلبّسون هذه الأمور على الضّعفاء في الحسّ و العقل، مع أنّهم عارفون بالتّحقيق و اعتقاده، فهم أهل تصحيح التّحقيق، و أهل اعتقاد التّحقيق، و هو معنى قوله: عقدا و اعتقادا.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۵۸۵

قوله: و سلوكا، يعني أنّهم أهل التّحقيق سلوكا أيضا في السّلوك.

قوله: و معاينة، يعني أنّهم أهل التّحقيق بالعيان، ليس بالاعتقاد و السّلوك فحسب.

قوله: و هذه الطّائفة رحمة من الله تعالى على أهل التّفرقة و الأسباب، يعني هؤلاء الذين لبّسوا أمورهم على النّاس هم رحمة من الله تعالى ساقها إلى أهل التّفرقة و الأسباب، و هم أهل الحجاب و البعد.

قوله: في ملابستهم، يعني هم رحمة من الله تعالى في مخالطتهم للنّاس، فإنّ الملابسة هي المخالطة.

[التّلبيس الثالث تلبيس أهل التمكّن على العالم]

التّلبيس الثالث:

تلبيس أهل التمكّن على العالم، ترحّما عليهم بملابسة الأسباب، توسّعا على العالم لا لأنفسهم، و هذه درجة الأنبياء عليهم السّلام، ثمّ للأئمة الربّانيّين الصادرين عن وادي الجمع المشيرين عن عينه.

قوله: تلبيس أهل التمكّن على العالم، يعني بأهل التمكّن الأنبياء عليهم السّلام، و الوارثين لهم من العلماء في كونهم يأمرون النّاس بالأسباب و الاشتغال بالحرف، ترحّما عليهم بتعاطي الأسباب، فإنّ فيها راحة لهم مع علمهم، أعني الأنبياء عليهم السّلام، إنّ السّبب ما له أثر، بل الله هو الرّازق، لكن لمّا علموا بعجز النّاس عن إدراك/ ذلك لبّسوا عليهم و أمروهم بالأسباب رحمة لهم و توسعة عليهم.

قوله: لا لأنفسهم، يعني لم يقصدوا بذلك أنفسهم لأنّهم يشهدون المسبّب الحقّ، و يستغنون به عن الأسباب.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۵۸۶

قوله: و الصّادرين عن وادي الجمع، يعني الذين فنوا في الجمع، ثمّ حصلوا في البقاء بعد الفناء، فذلك هو صدورهم عن وادي الجمع، و هم عندي أهل السّفر الثاني، و آخره هو القطبيّة الكبرى، و من لم يبلغ إليها لم يصلح أن يكون أستاذا، و لا شيخا مسلّكا، و لا مرشدا إلى الله تعالى، لأنّه لم يفرّغ من نفسه، فكيف يتفرّغ لغيره.

قوله: المشيرين عن عينه، يعني الذين إذا أشاروا إلى الحقيقة كانت إشاراتهم هي عين إشارة حضرة الجمع، لأنّهم نوّاب الحضرة في الدّعوة إليها، و المراد بالعين الحقيقة الجمعيّة.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۵۸۷

[باب الوجود]

باب الوجود قد أطلق الله عزّ و جلّ في القرآن اسم الوجود صريحا في مواضع فقال: يَجِدِ الله غَفُوراً رَحِيماً لَوَجَدُوا الله تَوَّاباً رَحِيماً.

و وجد الله، الوجود اسم للظّفر بحقيقة الشيء.

الظفر بحقيقة الشيء هو شهوده و الفناء فيه، و قد تقدّم شرحه لأنّ الظّفر إن كان للعارف فهو معرفة تجري فوق العلم، و إن كان للمعاين كانت معاينة، و هي فوق المعرفة، و إن كانت جمعيّة و وجوديّة فهي الفناء المذكور في ثالث درجة من مقام الفناء، و قد تقدّم شرحه.

[معاني الوجود]

و هو اسم لثلاثة معان:

[أوّلها وجود علم لدنّي يقطع علوم الشّواهد في صحّة مكاشفة الحقّ إيّاك.]

أوّلها:

وجود علم لدنّي يقطع علوم الشّواهد في صحّة مكاشفة الحقّ إيّاك.

قوله: وجود علم لدنّي، يعني بالعلم اللّدنّي المعرفة، و سمّاه لدنيّا، أي هو من لدن ربّه عزّ و جلّ بغير واسطة الخبر، بل الوجدان.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۵۸۸

قوله: يقطع علوم الشّواهد، الشّواهد هي نوع من الاستدلال، و هي تنقطع بوجدان الحقّ، و ذلك هو بالمعاينة و بالمعرفة أيضا التي تحت المعاينة.

قوله: في صحّة مكاشفة الحقّ إيّاك، أي في كون الحقّ كشف لك كشفا صحيحا.

[و الثاني وجود الحقّ وجود عين منقطعا عن مشارع الإشارة.]

و الثاني:

وجود الحقّ وجود عين منقطعا عن مشارع الإشارة.

وجود الحقّ وجود عين، أي معاينة، بل فوق المعاينة و هو حضرة الجمع، و دليل ذلك قوله: منقطعا عن الإشارة، فإنّ الإشارة إنّما تنقطع بالكلّية في حضرة الجمع.

[الثالث وجود مقام اضمحلال رسم الوجود فيه بالاستغراق في الأزليّة.]

و الثالث:

وجود مقام اضمحلال رسم الوجود فيه بالاستغراق في الأزليّة.

يعني باضمحلال رسم الوجود فيه، يعني فناء رسم الوجود في الوجود، و الوجود لا يفنى في الوجود، و لكن رسم الوجود يفنى في الوجود لكنّه ربّما عبّر بالوجود عن الموجود.

و بالجملة قد يفنى بالوجود الوجدان، فيكون الوجدان يغرق في بحر الوجود، و ذلك حقّ، و الاضمحلال هو الفناء، و الاستغراق كذلك، و الأزليّة هي شهود الأزل تقدّست صفاته.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۵۸۹

[باب التّجريد]

باب التّجريد قال الله تعالى: فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ.

التّجريد، انخلاع عن شهود الشّواهد.

الانخلاع عن شهود الشّواهد هو إمّا بالمعاينة أو بما فوقها من حضرة الجمع، و قد تقدّم شرح ذلك جميعه، و هو غيبة الشّاهد عن المشهود.

[درجات التجريد]

و هو على ثلاث درجات:

[الدّرجة الأولى تجريد عين الكشف عن كسب اليقين.]

الدّرجة الأولى:

تجريد عين الكشف عن كسب اليقين.

تجريد عين الكشف، أي حقيقة الكشف عن كسب اليقين، أي بعزل ما اكتسبته من اليقين العلميّ الحقيقيّ، فيتجرّد الكشف بسقوط الكسب و اليقين.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد۲، ص ۵۹۰

[الدّرجة الثانية تجريد عين الجمع عن درك العلم]

الدّرجة الثانية:

تجريد عين الجمع عن درك العلم: قوله: تجريد عين الجمع، هو حقيقة الجمع.

قوله: عن درك العلم، أي نزّه مرتبة الجمع، فلا تشهد للعلم فيها أثرا، و ذلك أنّ العلم في الرّسوم و حضرة الجمع يمحو الرّسوم، و صاحب هذه الدّرجة المذكورة يكون أبدا في تجريد الجمع خاليا عن اعتبار العلم الرسميّ، و هذا هم حال المولّهين و المجذوبين، و المراد بالدرك، و قد يريد به الدّرك الأسفل، كأنّه يرى أنّ حضرة الجمع هي أعلى الدّرجات، و أنّ العلم من الدّرجات بالنسبة إليها، و هذا بعيد.

[الدّرجة الثالثة تجريد الخلاص من شهود التّجريد]

الدّرجة الثالثة:

تجريد الخلاص من شهود التّجريد، يعني أن لا يشهد تجريدا و لا مجرّدا لاستغراقه هو و فنائه في عين الجمع، و ذلك هو الفناء المذكور في بابه.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد۲، ص ۵۹۱

[باب التّفريد]

باب التّفريد قال الله عزّ و جلّ: وَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ.

التّفريد اسم لتخليص الإشارة إلى الحقّ، ثمّ بالحقّ، ثمّ عن الحقّ.

سيأتي شرح هذا في درجات/ هذا الباب مفصّلا إن شاء الله.

و أمّا تفريد الإشارة إلى الحقّ تعالى، فعلى ثلاث درجات:

تفريد القصد عطشا، ثمّ تفريد المحبّة تلفا، ثمّ تفريد الشّهود اتّصالا.

قوله: تفريد القصد، أي تخليصه ممّا يعوقه، و قد عرفت القصد في بابه، فطالعه من هناك.

قوله: عطشا، يعني القصد المقترن بالعطش، و العطش على ما ذكره الشيخ في بابه، هو غلبة ولوع، بمأمول، و شرحه قد تقدّم.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد۲، ص ۵۹۲

قوله: ثمّ تفريد المحبّة تلفا، تفريد المحبّة تخليصها ممّا يعوق حكمها، فقد عرفت شرح المحبّة في بابه، و التّلف هو الهلاك، فكأنّه قال: المحبّة المهلكة.

قوله: ثمّ تفريد الشّهود اتّصالا، يعني تخليصه من ملاحظة الأغيار.

قوله، اتّصالا، يعني أنّ سقوط الأغيار لا يكون إلاّ شهود الاتّصال، و قد عرفت معنى الاتّصال في بابه.

و أمّا تفريد الإشارة بالحقّ تعالى: فعلى ثلاث درجات:

تفريد الإشارة بالافتخار بوحا، و تفريد الإشارة بالسّلوك مطالعة، و تفريد الإشارة بالقبض غيرة.

قوله: تفريد الإشارة، يعني تخليصها.

قوله: بالافتخار، يعني بالمعنى يستحقّ الافتخار، فإنّ الافتخار هو إظهار المزيّة على أبناء جنسه، و هذا هنا غير مقصود، لكنّه إظهار الأحوال السنيّة.

قوله: بوحا، أي يبوح بسرّ الأحوال السنيّة، لا على حكم الفخر، و الشيخ رضي الله عنه سمّى ذلك افتخارا.

قوله: و تفريد الإشارة بالسّلوك مطالعة، أي تخليص الإشارة إلى المطلوب بالسّلوك.

قوله: مطالعة، أي اطّلاعا على حقائقه بالفعل.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۵۹۳

قوله: تفريد الإشارة بالقبض غيرة، أي تخليص الإشارة إلى المطلوب بالقبض، و القبض قد عرفته في بابه، غيرة، و الغيرة أيضا ذكرناها.

و أمّا تفريد الإشارة عن الحقّ تعالى، فبانبساط تبسّط ظاهر يتضمّن قبضا خالصا للهداية للحقّ و الدّعوة إليه.

قوله: فانبساط تبسّط ظاهر، يعني أن يكون صاحب هذه الإشارة منبسطا بسطا ظاهرا، و باطنه مجموع على الدّعوة إلى الله من طريقها، و طريقها هو لكلّ/أحد بحسبه، و هذه طريق الخصوص، و أمّا طريق العموم فظاهر العلم.

قوله: يتضمّن قبضا، أي يكون باطنه مقبوضا، أي مجموعا ظاهره منبسطا، كما ذكرنا على الدّعوة إلى الحقّ تعالى.

قوله: خالصا للهداية، أي ذلك القبض و البسط خالصان للهداية، أي لطلب هداية الخلق إلى الحقّ تعالى.

قوله: و الدّعوة إليه، الدّعوة إلى الله تعالى عبارة عن الإرشاد إليه، قال تعالى: **قُلْ هٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللّٰهِ عَلىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَ مَنِ اتَّبَعَنِي**.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۵۹۵

[باب الجمع]

باب الجمع قال الله عزّ و جلّ: وَ ما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ، وَ لٰكِنَّ اللّٰهَ رَمىٰ.

الجمع ما أسقط التّفرقة، و قطع الإشارة، و شخص عن الماء و الطّين بعد صحّة التّمكين، و البراءة من التّولين، و الخلاص من شهود الثنويّة، و التّنافي من إحساس الاعتلال، و التّنافي من شهود شهودها.

استشهاد الشيخ رضي الله عنه بهذه الآية مشعر بمعنى الفناء في الجمع، و ذلك قوله تعالى: **وَ ما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَ لٰكِنَّ اللّٰهَ رَمىٰ**، فهذا فناء يرفع الرّسم، و لكن الله رمى، يثبت من لم يزل، فاستصحاب شهود معنى هذه الآية وجودا هو الجمع.

قوله: الجمع ما أسقط التّفرقة، يعني الجمع ما أفنى الرّسوم، و هو معنى: و ما رميت إذ رميت، و ذلك الذهاب عن شهود السّوى و قيام الذّات لذاتها بذاتها من ذاتها أزلا و أبدا، و معنى التّفرقة هو اعتبار الفرق بين الوجود و الموجود، فإذا زال الفرق في نظر المشاهد، فقد حصل في الجمع.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۵۹۶

قوله: و قطع الإشارة، يعني أنّ الإشارة تنقطع بارتفاع المشير، لأنّها نسبة بين شيئين، فإذا ذهبت السويّة ذهبت النّسبة، فهذا معنى قطع الإشارة، أي سقوطها.

قوله: و شخص عن الماء و الطّين، أي شهود العبد علوّه عن درجة من خلق من الماء و الطّين، و ذلك شهود غيبته في الحقّ.

قوله: بعد صحّة التّمكين، يعني بعد حفظ الأصل الذي هو إبقاء شهود الرّسوم ثابتة في طور الخبر و العلم، و كأنّه احترز من القوم الذين

تأخذهم لوائح شهود الجمع و أهليّتهم ضعيفة، فينكرون صور الخلق أصلا و رأسا، حتّى لو قلت لهم: إنّك صورة مركّبة من لحم و دم لأنكر ذلك، و قال: بل أنا نور من نور ربّي عزّ و جلّ، و ذلك لما يغلب/ عليه من شهود الجمع، و عدم تمكينه في التّفاصيل العلميّة، فكأنّ الشيخ رحمه الله اشترط أن لا يثبت شهود الجمع إلاّ لمن تمكّن في شهود طور الفرق، و إن كان في الحدّ، لكن لا بدّ من إثباته في طوره.

قوله: و البراءة من التّلوين، و هم الذين يجذبون تارة فينكرون الفرق، و يردّون أخرى فينكرون الجمع، و هؤلاء شهود أهل نور الجمع لا حقيقة الجمع، و معنى البراءة هنا الخلاص، كما تقول: أنا بريء من هذا الأمر، أي بعيد منه.

قوله: و الخلاص من شهود الثنويّة، أي يرفع مع وجود الحقّ وجودا لسواه.

قوله: و التّنافي من الإحساس بالاعتلال، الاعتلال عندهم شهود التّفرقة و النّظر إلى ارتباط المسبّبات بالأسباب، و هو ربط لا يحلّه إلاّ شهود الجمع.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۵۹۷

قوله: و التّنافي من شهود شهودها، يعني و أن ينتفي عنه شهود هذه الأشياء التي ذكرها كلّها، فإنّه متى لم يفن عن ذكرها فهو معها لأنّه يحسّ بها، و لا يقع الإحساس إلاّ بما هو موجود عند الحاسّ، فإذا غاب عن شهودها ثمّ عن شهود الشّهود، فقد استقرّت به الدّار في حضرة الجمع، و ارتفع عن العطاء و المنع.

[درجات الجمع]

و هو على ثلاث درجات:

جمع علم. ثمّ جمع وجود. ثمّ جمع عين.

[الدرجة الأولى جمع العلم]

فأمّا جمع العلم، فهو تلاشي علوم الشّواهد في العلم اللدنّي صرفا.

جمع العلم فهو تلاشي، أي ذوبان علوم الشّواهد في العلم اللدنيّ و استحالتها إليها، فيصير ما كان علما معرفة، و قد عرفت الفرق بين العلم و المعرفة، و علوم الشّواهد هي استدلال فيه بالأثر على المؤثر، مثل الاستدلال بالمصنوع على الصّانع، فالمصنوعات شواهد، و علومها هو ما حصل من الاستدلال بها من مسائل إثبات الصّانع، و استحالة هذه العلوم في العلم اللّدنّي هو أن يصير المعلوم مشهودا، و الشّاهد في المشهود غيبا، و هذا هو العلم اللّدنّي، أي الذي هو من لدن العالم مطلقا بالعلم الأزليّ سبحانه و تعالى، و لدن بمعنى عند.

قوله: صرفا، أي من غير تلوين، فيشهد ذلك في وقت دون وقت.

[الدرجة الثانية جمع الوجود]

و أمّا جمع الوجود فهو تلاشي نهاية الاتّصال، أي هو معاينة فناء العبد في المشهود، و قد ذكر الاتّصال في بابه،/ و المراد من الاتّصال

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۵۹۸

هو ما ذكر في الدّرجة الثالثة في باب الاتّصال، و هو قول الشيخ: و هذا الاتّصال لا يدرك منه نعت و لا مقدار، إلاّ اسم معاد و لمح إليه يشار، فهذا هو تلاشي نهاية الاتّصال، فإنّ نهاية الاتّصال هي الدّرجة الثالثة من باب الاتّصال كما ذكر.

قوله: في عين الوجود، أي في حقيقة الوجود، و قد عرفت الوجود في بابه، و ذلك هو ما ذكر في الدّرجة الثانية منه، و هو قوله: وجود الحقّ وجود عين منقطعا عن مشايخ الإشارة، و شرح ذلك هناك.

قوله: محقا، المحق هو الذوبان و الفناء.

[الدرجة الثالثة جمع العين]

و أمّا جمع العين فهو تلاشي كلّما تقلّه الإشارة في ذات الحقّ، قد عرفت معنى التّلاشي.

قوله: كلّما تقلّه الإشارة، أي تحمله الإشارة، تقول: هذا الجمل ما يقلّ هذا الحمل، أي ما يحمله، و الإشارة بالحسّ هي بالإصبع و اليد و شبه ذلك، و هي بالعين تسمّى الغمز و ما ناسب ذلك، و تكون الإشارة بالعقل و بالذهن، و قد تكون برمز الصوفيّة، و كلّ أنواع الإشارة تضمحلّ و تتلاشى و يبطل حكمها عند شهود العين في حضرة الجمع و ظهور جلال الذّات المقدّسة، و هو قوله في ذات الحقّ، و الذّات هي التي يمكن أن يتّصف بالصّفات و يضاف إليها الأفعال.

و الجمع غاية مقام السّالكين، و هو طرف بحر التّوحيد.

الجمع قد عرفت معناه، و المقامات قد عرفت معناها و السّالكين هم السّائرون في المقامات إلى الله تعالى.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۵۹۹

قوله: و هو غاية مقام السّالكين، يعني في السّفر إلى الحقّ، و لم يذكر السّفر في الحقّ، فإنّ ذلك هو السّفر الثاني و بعده السّفر إلى الحقّ بالحقّ، و بعده السّفر إطلاقا في الترقّي إلى غير نهاية.

قوله: و هو طرف بحر التّوحيد، بحر التّوحيد نذكره في باب التّوحيد و هو هذا.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۶۰۱

[باب التّوحيد]

باب التّوحيد قال الله عزّ و جلّ: شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لا إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ.

التّوحيد تنزيه الله تعالى عن الحدث.

إنّما خصّ بعض الآية بالذكر، و لم يذكر الملائكة و أولي العلم من جهة أنّ التّوحيد لا يكون فيه مع الحقّ غيره، فهو الشّاهد لنفسه بنفسه، فما شهد أن لا إله إلاّ هو غيره، و من حقّق هذا فقد شهد التّوحيد.

قوله:/ التّوحيد تنزيه الله تعالى عن الحدث، هذا كلام مجمل قد يدّعيه أهل الفكر بالعقول، فيقولون: نحن الذين ننزّه الله تعالى عن الحدوث، و الشيخ رحمه الله لم يقصد تنزيه العقل، و ذلك لأنّ العقل يثبت الحدوث ثمّ ينفيه، و شهود التّوحيد ترفع الحدوث أصلا و رأسا و تثبته بعد ذلك بالحقّ (من فعل الحقّ)، و أمّا العقل لا يهتدي إلى مسلك التّوحيد الذي لا يرى فيه مع الحقّ سواه.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۶۰۲

و إنّما نطق العلماء بما نطقوا به، و أشار المحقّقون بما أشاروا إليه في هذا الطّريق لقصد تصحيح التّوحيد و ما سواه من حال أو مقام، فكلّه مصحوب العلل.

يعني أنّ التّوحيد بالعلم لا يخلص من العلل، بل هو طور جماع العلل، و إشارات المحقّقين أيضا لا تخلو من العلل في ذكر الأحوال و المقامات و في تصحيح التّوحيد، و العلل هي الجهالات هنا، أعني في معنى التّوحيد.

[وجوه التوحيد]

و التّوحيد على ثلاثة أوجه:

[الوجه الأوّل توحيد العامّة]

الوجه الأوّل:

توحيد العامّة الذي يصحّ بالشّواهد.

يعني بالشّواهد كما ذكرنا العلامات، كالاستدلال بالمصنوع على وحدانيّة الصّانع، و ذلك بالنّظر و الفكر و براهين العقول، كما يقال في تفسير

قوله تعالى: **لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلاَّ اللهُ لَفَسَدَتا**، تقديره و ما فسدتا فليس فيهما آلهة إلاّ الله، و هذا و أمثاله توحيد العامّة، و أدلّته هي الشّواهد المذكورة.

[الوجه الثاني توحيد الخاصّة]

الوجه الثاني:

توحيد الخاصّة، و هو الذي يثبت بالحقائق.

قوله: توحيد الخاصّة و هم المتوسّطون أهل الحقائق.

قوله: الذي يثبت بالحقائق، أي التّوحيد الذي يحصل و يثبت بالحقائق لأهل الحقائق، و الحقائق هي المذكورة في قسم الحقائق، و هي عشرة:

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد۲، ص ۶۰۳

المكاشفة، و المشاهدة، و المعاينة، و الحياة، و القبض، و البسط، و السّكر، و الصّحو، و الاتّصال، و الانفصال، و أهل الحقائق، و هم أهل هذه المقامات المذكورة.

[الوجه الثالث توحيد قائم بالقدم]

و الوجه الثالث:

توحيد قائم بالقدم، أي هو توحيد الحقّ لنفسه كما قال: شهد الله أنّه لا إله إلاّ هو، و أهل هذا المقام هم المذكورون في الدّرجة الثالثة من كلّ باب من أبواب قسم النّهايات، و هو آخر هذا الكتاب، و هؤلاء هم خاصّة الخاصّة.

و أمّا التّوحيد الأوّل، فهو شهادة أن لا إله إلاّ الله وحده، لا شريك له الأحد الصّمد الذي لم يلد و لم يولد، / و لم يكن له كفوا أحد، هذا هو التّوحيد الظّاهر الجليّ الذي نفى الشّرك الأعظم.

الشّهادتان بالنسبة إلى هذه الدّرجة و هي الأولى معلوم شرحها، و الاسم الأحد، و الاسم الصّمد ذكرنا شرحهما في الخطبة، و معنى لم يلد و لم يولد في هذه الدّرجة، نفي الصاحبة و الولد و الوالد و إن كان له اعتبار في التّحقيق آخر، و لم يكن له كفوا أي مماثلا، أحد أي لا يماثله أحد.

قوله: الذي نفي الشّرك الأعظم، يعني بالشّرك الأعظم اعتقاد عبّاد الأصنام و الشّمس و القمر و الشعرى و شبه ذلك، هذا هو الشّرك الأعظم، و هذه الشّهادة تطرد هذا الشّرك.

و عليه نصبت القبلة.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد۲، ص ۶۰۴

يعني على هذا التّوحيد بنيت الملّة المحمّديّة، و بنيت الكعبة التي هي مصلّى إبراهيم خليل الرّحمن، و لهذا ورد في الكتاب العزيز: **مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْراهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ**، و هو الذي بنى القبلة و أسّسها على الإسلام.

و به وجبت الذمّة.

أي بهذا المقدار من التّوحيد وجبت ذمّة المسلم على المسلمين، أي حرمته و حفظه.

و به حقنت الدّماء و الأموال.

أي بهذه الشّهادة حقنت دماء الكفّار الذين صاروا مسلمين خوفا من السّيف، و كذلك المنافقين، و تركت لهم أموالهم، و لم يغنمها المسلمون.

و انفصلت دار الإسلام عن دار الكفر.

أي بهذه الشّهادة عرفت دار الإسلام، أي بلادهم من دار الكفر، أي بلاد الكفر.

و صحّت به الملّة من العامّة، و إن لم يقوموا بحقّ الاستدلال بعد أن سلموا من الشّبه و الحيرة و الرّيبة بصدق شهادة صحّحها قبول القلب.

صحّت بهذه الشّهادة، و هذا التّوحيد الملّة الإسلاميّة من العامّة الجهّال.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۶۰۵

قوله: و إن لم يقوموا بحقّ الاستدلال، أي و إن لم يقدروا على معرفة وحدانيّة الحقّ تعالى بالدّليل بعد أن سلموا من الشّبه أي الشّكوك، يعني العامّة سلموا من الشّكوك، و ما عرفوا الاستدلال و الحيرة، و الرّيبة هي الشكّ أيضا.

قوله: بصدق شهادة صحّحها قبول القلب، أي حصلت لهم الملّة بصدق شهادة صحّحها في الشّرع قبول قلوبهم لها تقليدا.

هذا توحيد العامّة الذي يصحّ بالشّواهد، و الشّواهد هي الرّسالة، و الصّنائع تجب بالسّمع، و توجد بتبصّر الحقّ، / و تنمو على مشاهدة الشّواهد.

قوله: الشّواهد، هي الرّسالة، أي مضمون ما وردت به الرّسالة من الشّواهد.

قوله: و الصّنائع، يعني إنّ الصّنائع أيضا من جملة الشّواهد، و المراد بالصّنائع حسن صنعة المصنوعات، فإنّها دالّة على الصّانع.

قوله: و الصّنائع بالسّمع، أي يجب قبول هذا التّوحيد بالسّمع.

قوله: و توجد بتبصّر الحقّ تعالى، أي و لا يجد العبد حلاوة هذا التّوحيد و إدراك معناه إلاّ بتبصير الحقّ تعالى.

قوله: و تنمو على مشاهدة الشّواهد، أي زاد على مباشرة رؤية الشّواهد و اعتبارها.

و أمّا التّوحيد الثاني الذي يثبت بالحقائق، فهو توحيد الخاصّة، و هو إسقاط الأسباب الظّاهرة، و الصّعود عن منازعات العقول، و عن التعلّق بالشّواهد، و هو أن لا يشهد في التّوحيد دليلا، و لا في التوكّل سببا، و لا في النجاة وسيلة.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۶۰۶

و قد فسّرت معنى قوله: يثبت بالحقائق في أوّل هذا الباب.

قوله: إسقاط الأسباب الظّاهرة، يعني الأسباب المعروفة بين النّاس.

قوله: و الصّعود عن منازعات العقول، أي اختلاف مدارك العقول، و ذلك أنّ المشتغلين بعلوم العقل لا يزالون مختلفين، و المنازعات هنا هي المجادلات، و كأنّه لا يريد أن يشارك أهل العقول في مسالكهم، فإنّه يؤدّي إلى المنازعات و هي المجادلات.

قوله: و من التعلّق بالشّواهد، يعني و الصّعود بالتعلّق عن الشّواهد و هي الدّلائل.

قوله: و هو أن لا يشهد في التّوحيد دليلا، يعني إنّ الصّعود عن الشّواهد هو أن لا يشهد في التّوحيد دليلا، يعني أن يكون التّوحيد أظهر من أدلّته عندك.

قوله: و لا في التوكّل سببا، أي لا يمازج التوكّل عندك سبب.

قوله: و لا في النّجاة وسيلة، أي لا يرى أنّ من ينجو من العذاب و العقاب إنّه نجا بالوسائل، و هي الأعمال الصّالحة.

فيكون مشاهدا سبق الحقّ بحكمه و علمه، و وضعه الأشياء مواضعها، و تعليقه إيّاها بأحايينها، و إخفائه إيّاها في رسومها، و يحقّق معرفة العلل، و يسلك سبيل إسقاط الحدث، هذا توحيد الخاصّة الذي يصحّ بعلم الفناء، و يصفو في علم الجمع، و يجذب إلى توحيد أرباب الجمع.

قوله: فيكون مشاهدا سبق الحقّ بحكمه، أي الأشياء بعين سوابقها التقديريّة، فيقول ما ظهر من الحكمة/ إلاّ ما سبق في التّقدير، فيغلب

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۶۰۷

شهود السّوابق، و تعرض عن اللّواحق بشهودك إيّاها ثابتة للحقّ بالسّبق لا الخلق، فكيف إن رأيت لحوقها إنّما هي للحقّ، هذا أشرف.

قوله: و علمه، أي يشاهد السّبق بالعلم على المعلوم، فترى الأشياء ثابتة في علم الحقّ في السّابقة، فيغلب عليك ملاحظة ذلك، فإن انضاف إلى ذلك ملاحظة المعلوم في حقيقة العلم، فيكون بذلك مع العالم الحقّ لا مع المعلوم فهو أشرف.

قوله: و وضعه، أي يعاين سبق الحقّ في تعلّق الأشياء كلّها بوصف الحقّ تعالى، فإنّ الموجودات كلّها أفعال الله تعالى و وجودها من نوره، و يرجع في نظرك إلى أوصاف الحقّ كما كانت في العلم، فكأنّك نظرت السبق للحقّ، و بالجملة فسبق الحقّ هو أن تراه أولى بالأشياء من نفسها، أي هو يستحقّ نسبتها إلى وجوده، فهو الواضع لها في مواضعها، و لا تصرّف لغيره فيها.

قوله: و تعليقه إيّاها بأحايينها، الأحايين هي الأزمنة، و قد علق الحقّ تعالى أشياء كثيرة بأزمنتها، كما يتعلّق بفصول السنّة من متعلّقات الكون و متجدّداته.

قوله: و إخفائه إيّاها في رسومها، أي غطّى حقائقها عن بصائر النّاظرين إليها بما وجدوه من تعلّق الأسباب بالمسبّبات، فاحتجب وجه الحقّ عنهم بنسبتهم الأشياء إلى أسبابها، فصاحب هذه الدّرجة يشهد كيف أخفى الحقّ تعالى الأشياء في رسومها، و الرّسوم هي الصور الخلقيّة و كأنّه يريد بها هنا الأسباب.

قوله: و يحقّق معرفة العلل، العلل قد يريد بها الأسباب، فإنّ الشيء سببه، و قد يريد بها عوائق السّالك من نظره إلى السّوى، فإنّها عنده

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۶۰۸

أيضا علل، فكأنّه يقول: إنّ صاحب هذه الدّرجة يحقّق العلل، بخلاف الكائن في الدّرجة الأولى.

قوله: و يسلك سبيل إسقاط الحدث، أي هو في هذه الملاحظات المذكورة سالك سبيل الذين ظهر لهم الأزل، فنفى عنهم شهود الحدث، و ذلك بالفناء في حضرة الجمع، فإنّها هي التي يفنى فيها من لم يكن، و يبقى فيها من لم يزل.

قوله: الذي يصحّ بعلم الفناء، يعني بعلم الفناء إدراكه بالإحساس من وراء حجاب العلم، و لذلك قال: بعلم الفناء، و لم يقل بالفناء نفسه، فإنّ علم الفناء/قبل الفناء، لأنّ درجة العلم دائما في هذا السّلوك قبل درجة المعرفة، و هي أوّل درجة السّلوك.

قوله: و يصفو في علم الجمع، علم الجمع كما تقدّم قبل الجمع، و فيه يصفو حال صاحب هذه الدّرجة، و هم الخاصّة.

قوله: و يجذب إلى توحيد أرباب الجمع، يعني أنّ هذا المقام يجذب أهله إلى توحيد الذين فوقهم، و هم أهل حضرة الجمع.

و أمّا التّوحيد الثالث، فهو توحيد اختصّه الله لنفسه، و استحقّه لقدره، و ألاح منه لائحا إلى أسرار طائفة من صفوته، و أخرسهم عن نعته، و أعجزهم عن بثّه، و الذي يشار إليه على ألسن المشيرين إنّه إسقاط الحدث، و إثبات القدم على أنّ هذا الرمز في ذلك التّوحيد علّة لا يصحّ ذلك التّوحيد إلاّ بإسقاطها، هذا قطب الإشارة إليه على ألسن علماء هذا الطّريق، و إن زخرفوا له نعوتا، و فصّلوه فصولا، فإنّ ذلك التّوحيد تزيده العبادة جفاء، و الصّفة نفورا، و البسط صعوبة، و إلى هذا التّوحيد شخص أهل الرّياضة و أرباب الأحوال، و إليه

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۶۰۹

قصد أهل التّعظيم، و إيّاه عني المتكلّمون في عين الجمع، و عليه تصطلم الإشارات، ثمّ لم ينطق عنه لسان، و لم تشر إليه عبارة، فإنّ التّوحيد وراء ما يشير إليه مكوّن، أو يتعاطاه حيّز، أو يقلّه سبب، و قد أجبت في سالف الزّمان سائلا سألني عن الصّوفيّة بهذه القوافي الثلاث:

ما وحّد الواحد من واحد إذ كلّ من وحّده جاحد
توحيد من ينطق عن نعته عارية أبطلها الواحد

التّوحيد الثالث هو [illegible] العبارة و لا الإشارة و لا شيء من أحكام الخلق يصل إليه، لأنّه حيث يفنى الخلق دفعة واحدة، و يبقى الحقّ و لا شيء معه.

قوله: اختصّه الله لنفسه، أي لا يوحّد به غيره، فإنّها حضرة لا تقبل السّوى.

قوله: و استحقّه لقدره، أي استحقّه بمقدار كنهه الذي لا يبلغه غيره.

قوله: و ألاح منه لائحا، يعني لأسرار أهل حضرة الجمع الوجود الفانيين في التّوحيد الذاتيّ.

قوله: و أخرسهم عن نعته، أي هو لا يقبل نعت المخلوق، فعبّر عن ذلك بقوله: أخرسهم، مع أنّ لفظة أخرسهم توهم أنّ نعته ممكن، لكنّ الحقّ أخرس عنهم ألسنتهم، و ليس كذلك، بل طور النّعت هو تحت هذا المقام، و هو بحيث لا يقبل النّعت/ في هذه الحضرة خاصّة.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۶۱۰

قوله: و أعجزهم عن بثّه كذلك، و البثّ هو الإخبار، تقول. بثت الحديث أبثّه، إذا أخبرت به.

قوله: و الذي يشار به إلى قوله بإسقاطها، هو أيضا يرجع إلى ما ذكره من كونه لا يقبل النّعت، و أمّا لفظ إسقاط الحدث و إثبات القدم، فهو صحيح في نظر الوارد على هذه الحضرة لضعفه، فإذا تمكّن عرف أنّ الحدث لم يزل ساقطا، فلا معنى لقوله: إسقاط الحدث، و يعرف أنّ القدم لم يزل ثابتا أيضا، و لا معنى لقوله: إثبات القدم أيضا، و بهذا القدر استنقص الشيخ رضي الله عنه هذه الإشارة، فإنّ التّوحيد يستغرق القول في الطمس، فإن كان هناك نطق، فليس هناك شهود، و إلى هذا أشار التنزّل الوارد في الموقف بقوله: أنا أقرب إلى اللسان من نطقه إذا نطق، فمن شهدني لم يذكر و من ذكرني لم يشهد.

و قوله: و من ذكرني لم يشهد، هو عين قول الشيخ: لا يصحّ ذلك التّوحيد إلاّ بإسقاطها.

قوله: هذا قطب الإشارة إليه، يعني إلى التّوحيد، يعني أنّ قولهم:

أنّ التّوحيد هو إسقاط الحدث و إثبات القدم، هو قطب مدار الإشارات إلى التّوحيد عند هذه الطّائفة من سائر المتقدّمين، و مع ذلك فلا يصحّ التّوحيد إلاّ بإسقاط ما قالوه، و الذي بعد هذا من الكلام ظاهر إلى قوله:

و رآه ما يشير إليه مكوّن، أي مخلوق.

قوله: أو يتعاطاه حيّز و هو وراء أهل الاختبار، و فوق نطقهم، فإنّ المتحيّز محصور، و نطقه محصور، و المحصور لا يحيط بالمطلق.

قوله: أو يقلّه سبب، أي و لا يحمله سبب، يعني لا يتعلّق بالأسباب.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۶۱۱

و أمّا الأبيات فقوله: ما وحّد الواحد من واحد، يعني ما وحّد الله عزّ و جلّ أحد حقّ توحيده إلاّ بهذا التّوحيد الخاصّ، فإنّه حقّ التّوحيد.

قوله: إذ كلّ من وحّده جاحد، أي كلّ من وحّده فقد وصف موحّده و مكوّنه صفة جحد حقّه الذي هو عدم انحصاره تحت الأوصاف، فمن وصفه فقد جحد إطلاقه عن قيود الصّفات.

قوله: توحيد من ينطلق عن نعته عارية، يعني مردود عليه، كما تردّ العارية، فإنّ العارية مردودة، كذلك توحيد من ينطق عن نعت توحيد الحقّ تعالى.

قوله: أبطلها الواحد، أي الواحد من كلّ الوجوه أبطل ببساطة ذاته تركيب نطق واصفه، فهذا معنى أبطلها الواحد، يعني الواحد من كلّ الوجوه.

قوله:/ توحيده إيّاه، توحيده معناه أنّ توحيده الحقيقيّ هو توحيده لنفسه بنفسه من غير أثر لسواه، إذ لا سوى هناك.

قوله: و نعت من ينعته لاحد، أي مشرك، و سبب كونه مشركا إنّه أسند إلى نزاهة الحقّ ما لا يليق به إسناده، فإنّ حضرة أزليّته تأبى نطق الحدث، و الله من ورائهم محيط.

تمّ شرح بعض مقاصد الشيخ أبي إسماعيل عبد الله بن إسماعيل الأنصاري، قدّس الله روحه، و أسأل الله الإقالة ممّا لعلّه وقع فيه ممّا لا يليق ذكره، أو من تقصير أدّى العجز إليه، و الرّغبة إلى الله و إلى كلّ واقف عليه ممّن أبيح له الكلام في البيان أن يصلح ما يجده فيه، و لا يسامح في شيء منه، فإنّي أبرأ إلى الله من الخطأ و الخطل، و أستغفره من الذنوب و الزّلل.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۲، ص ۶۱۲

نجز منه العبد الفقير الرّاجي رحمة ربّه الكبير عليّ بن مظفّر بن العقل، و ذلك لثلاث عشرة ليلة مضت من رمضان سنة ثلاث و سبعين و ستّ

مائة و الحمد لله ربّ العالمین، و صلواته علی خیر خلقه محمّد و آله و أصحابه الطیّبین الطّاهرین، و سلّم تسلیما کثیرا دائما أبدا.